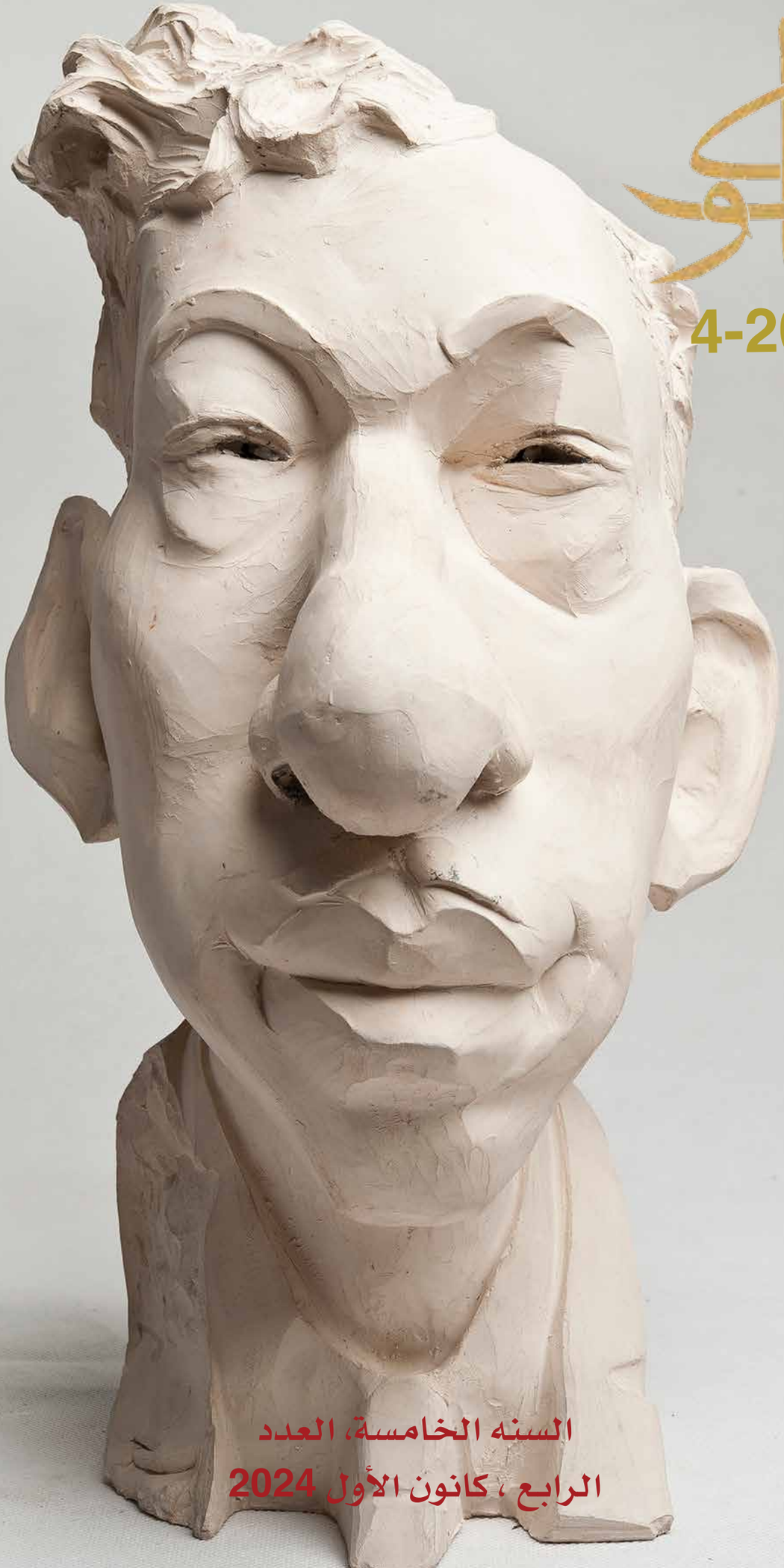

مآقي

4-2024

السنه الخامسة، العدد
الرابع ، كانون الأول 2024

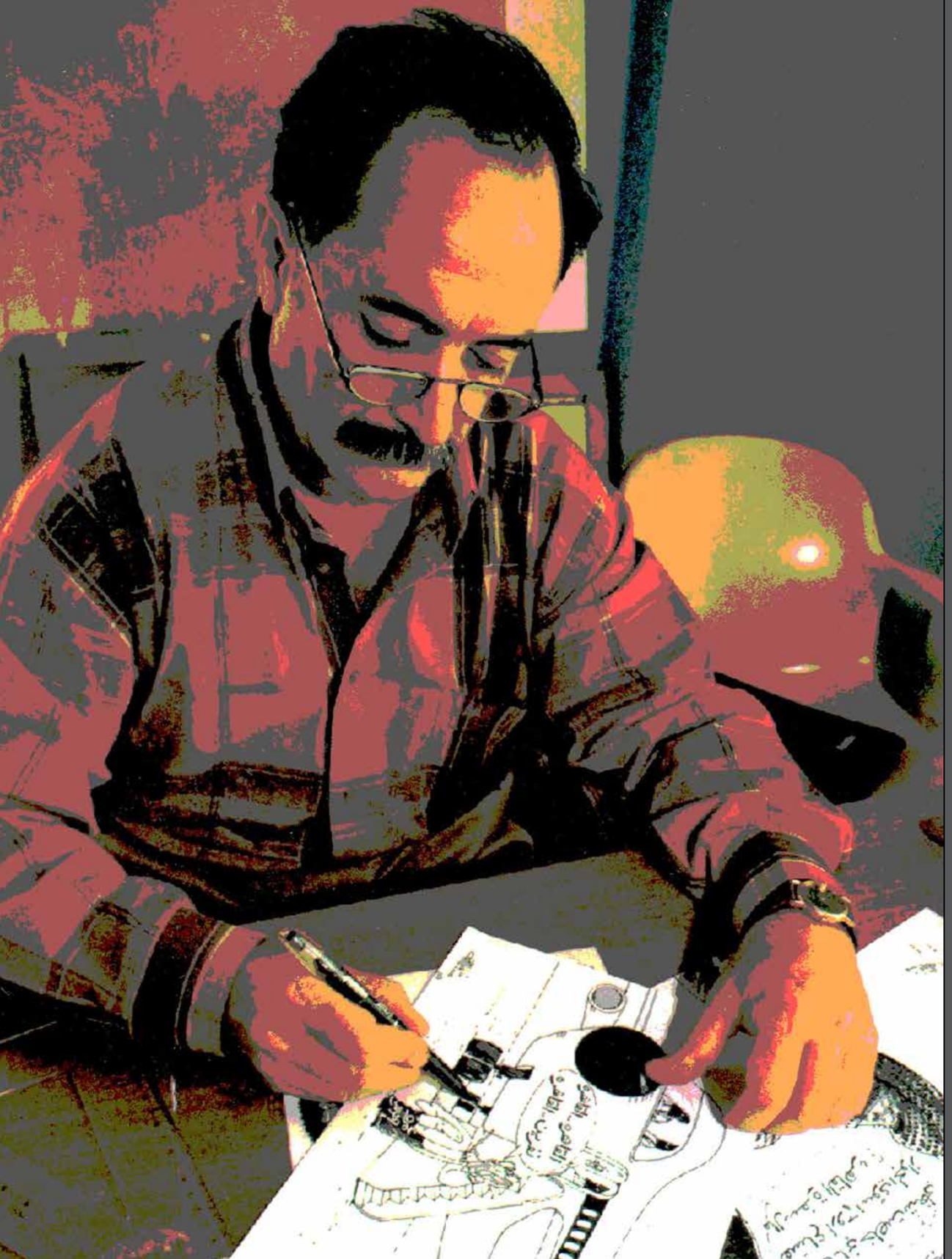

الغلاف الأول
مؤيد نعمة، السياب،
عمل فخاري
20 x 21 x 38 سم .
2003

الغلاف الثاني
بسام فرج

هذا العدد ..

في هذا العدد تقدم (ماكو) تجربة فنية لها خصوصيتها المهمة في تاريخ الفن العراقي. إنها تجربة الكاريكاتير، الرسم ، والأخيلة، والموضوعات، والمناخ السياسي – الاجتماعي العراقي دائم السخونة.

والحال يدور اهتمام هذا العدد حول اثنين من المبدعين الذين ظهرا في فترة معقدة وأسهما في جعل فن الكاريكاتير واحداً من قوى النقد الاجتماعي والسياسي ، مثلما هو أحد وجوه الفن التشكيلي العراقي المتقدم، وهما مؤيد نعمة وبسام فرج. الاثنان أسهما في فضح الهيمنة السياسية وما ترتب عليها من إشكالات اجتماعية.

في معرض أقيم في المركز الثقافي في لندن لمختارات خزفية من إنتاج طلاب أكاديمية الفنون فرع الخزف جلب الانتباه عمل فخاري لرأس الفنان إسماعيل الشيخلي. بدا هذا العمل خارج السياق الحرفي للآخرين، من حيث التعبير والمادة والمظهر الصنعي المتماسك.

لقد استهوى الخزف على إهتمام مؤيد نعمة أثناء دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة، واختص فيه، وأنجز مجموعة مثيرة من الأعمال الفنية بتقنية النحت الفخاري لوجوه أساتذته: فايق حسن، وفالنتينوس، وسعد شاكر، كما أنجز وجه الشاعر نزار قباني بنفس التقنية. عدّت هذه الأعمال الأولى من نوعها في العراق، وربما في العالم العربي. فهي فن البورتريت كما هي فن الكاريكاتير وقد اتخذ مادة الطين والتزجيج.

قبل إنجاز هذه الأعمال الطليعية دخل مؤيد نعمة الساحة الساخنة للرسم الساخر في أيام نكسة يونيو (حزيران) ١٩٦٧، برسم كاريكاتيري يمثل الرئيس الأميركي جونسون، وهو يرفع بدل شعلة تمثال الحرية الأميركي قنبلة «نابالم» وكانت إسرائيل قد استخدمت هذه القنابل المحرمة دولياً بوقاحة في حربها ضد العرب. أرسل مؤيد هذا الرسم إلى المجلة البغدادية الساخرة «المتفرج»، وكم كانت دهشته كبيرة عندما وجدها تحتل مساحة الغلاف الأول من المجلة المثيرة للجدل. ولم يمض سوى عامين حتى التحق بمغامرة إصدار المجلة الأولى للطفل العراقي «مجلتي»، ثم مطبوع «المزمار»، وبسرعة هضم مؤيد التقنيات الخاصة جداً لهذا النوع الجديد من الرسم، فأبدع في خلق الكثير من الشخصيات الكرتونية الأخاذة.

لعل ما يميز مؤيد بين أقرانه من رسامي الكاركتير أنه غير معني بالاضحاك المجرد بل بكشف التناقضات واكتشاف ما هو غير ظاهر ومقموع. كان يقول: إن مهمة رسام الكاريكاتير هي الكشف عن الممنوع ونزع أستار المبهم والصراحة القاسية أحيانا في قول الحقيقة أو البحث عنها. وهو يقترح الحلول او يفترضها بالإيحاء والإشارة.

إذا كانت تجربة مؤيد نعمة جاءت من إلهامه الخاص، فإن تجربة زميله الفنان بسام فرج جاءت متفرعة من الروح الشعبية التي ميّزت أعمال الفنان غازي الذي كان يرسم في مجلة قرندل، من حيث الموضوع والشغب الذي يستولي على الخطابات والأقوال المأثورة والأغاني.

بسام فنان متنوع وأعماله في العراق كانت تشن حملات على مظاهر النفاق والفساد واللعب بالكلمات. فيما بعد ساعدته الغربة على تبني خطوط بسيطة سهلة قليلة التفاصيل ليس فيها تعقيدات الرسم الساخر القديم. كما أدخل بعض التحسينات على رسومه من خلال استخدام الشبك والتلصيق (الكولاج) كما في كاريكاتير الصحف الأجنبية، ما أضفى على رسومه رونقاً مختلفاً لم يألفه الرسم الساخر العراقي من قبل.

خضير الحميري — حوار لم ينشر مع الفنان مؤيد نعمة.
علي المندلاوي — حوار مع مؤيد نعمة، العراق يمتلك خصوصية متفردة في فن الكاريكتير.
خالدة حامد — الحوار الأخير للراحل مؤيد نعمة. الكاريكتير فن المستقبل.
حسين الهنداوي — مؤيد نعمة، منح السخرية وظيفة سامية ورصينة.

فيصل صاحي
علي المندلاوي — يالها من أيام مع هذا النجم !
أنا ومؤيد نعمة وحكايات عن الحياة والكاريكتير.

سعد القصاب
مها البياتي — مؤيد نعمة: الدائب على التلويح بخفّة وبأسى اليوم الذي غادرنا فيه مؤيد .. زوجي وحبيبي

شهادات — فاطمة المحسن، قاسم محمد عباس، حميد قاسم ، دلير سعد شاكر.
تواصل — احمد المالكي، عبيد الرحيم ياسر ، علي المندلاوي
صالون المجلة
وثائق

ماكو 2

فيصل لعيبي — بسام الساخر.
مجيد خليل — مقابلة مع الفنان بسام فرج.
موسى الخميسي — تعيش في قلب كل من احبك يابسام.
ياسين النصير — بسام فرج، فنان كاريكاتير الفكاهة.
صالون المجلة :
وثائق

ماكو 3

شاكر حسن ال سعيد — الرؤية التشكيلية في شعر المربد لعام 1971

تشكر مجلة ماكو الفنانين علي المندلاوي. خضير الحميري، عبد الرحيم ياسر، ثامر الخفاجي واحمد المالكي والصحفي علاء المفرجي، علي الزيني، الفنان دلير شاكر، الفنان عمار دواود ، مجموعة تالة العزاوي، بورنموث، مجموعة ضياء العزاوي، لندن

حوار لم ينشر مع الفنان الراحل مؤيد نعمة:

- أميل إلى استفزاز وعي القارئ أكثر من إضحاكه
- رسومي امتلكت القدرة على المراوغة مع مقص الرقيب
- العمل اليومي لرسام الكاريكاتير يجعله أقرب إلى الحقيقة

أجرى الحوار: خضير الحميري

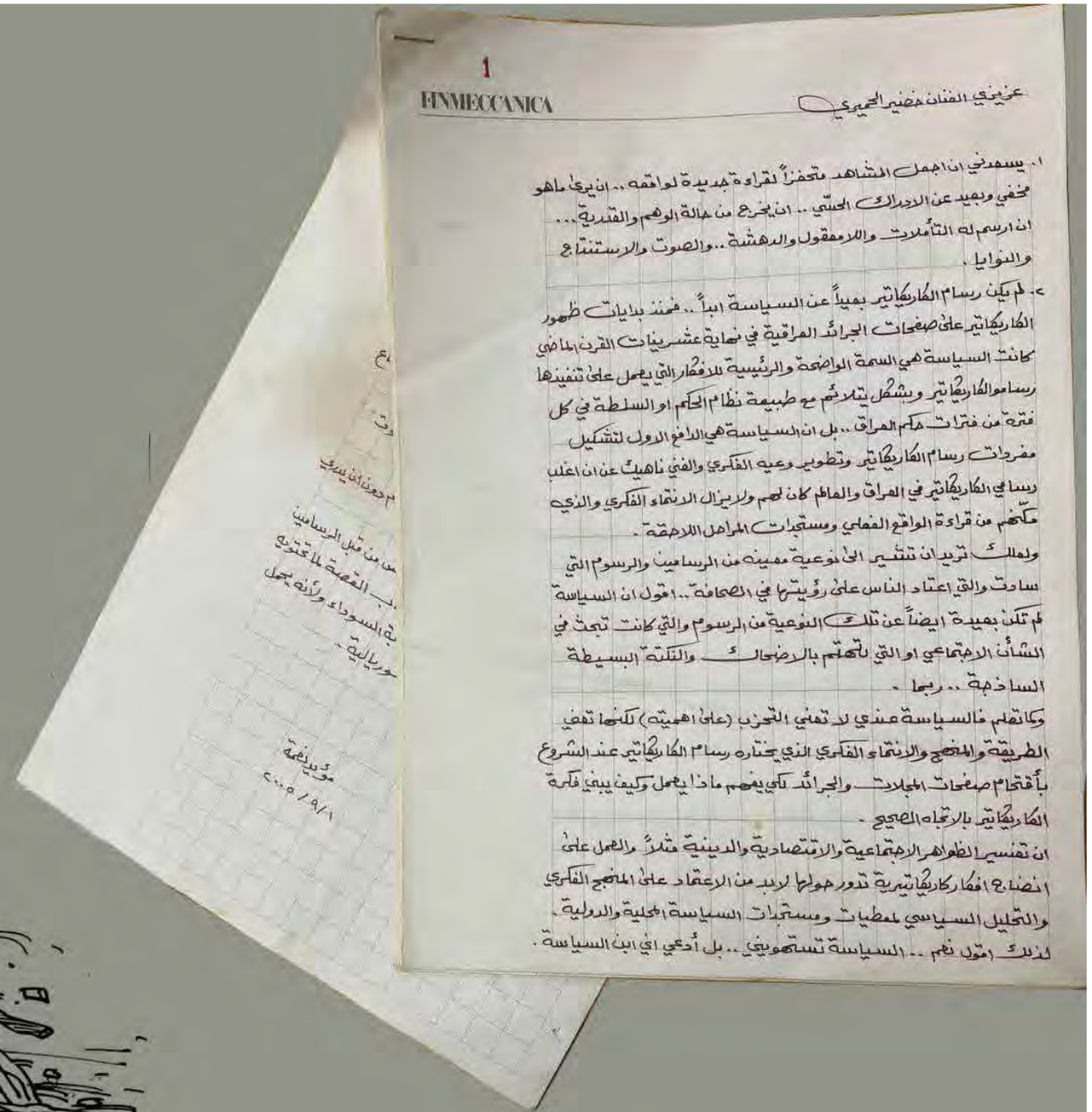
1

FINMECCANICA

حوار مع الفنان خضير الحميري

١. يسعدني ان اجعل الشاهد متحفزاً لقراءة جديدة لواقعه .. ان يرى ما هو مخفي وبعيد عن الادراك الحسي .. ان يخرج من حالة الوهم والقدرية ... ان ارسم له التأمرت والمعقول والدهشة .. والصوت والاستنتاج والنوايا .

٢. لم يكن رسام الكاريكاتير بعيداً عن السياسة ابداً .. فمنذ بدايات ظهور الكاريكاتير على صفحات الجرائد العراقية في نهاية عشرينات القرن الماضي كانت السياسة هي السمة الواضحة والرئيسية للافكار التي يعمل على تنفيذها رسام الكاريكاتير وبشكل يتلاءم مع طبيعة نظام الحكم او السلطة في كل فترة من فترات حكم العراق .. بل ان السياسة هي الدافع الاول لتشكيل مفردات رسام الكاريكاتير وتطوير وعيه الفكري والفني ناهيك عن ان اغلب رسامي الكاريكاتير في العراق والعالم كان لهم ولا يزال الانتماء الفكري والذي مكنهم من قراءة الواقع العياني ومستجدات المراحل اللاحقة .

ولعلك تريد ان تشير الى نوعية معينة من الرسامين والرسوم التي سادت والتي اعتاد الناس على رؤيتها في الصحافة .. اقول ان السياسة لم تكن بعيدة ايضاً عن تلك النوعية من الرسوم والتي كانت تبحث في الشأن الاجتماعي او التي تهتم بالرضحاك والنكتة البسيطة الساذجة .. ربما .

وكانت لم السياسة عندي لا تعني التحزب (على اهميته) لكنها تعني الطريقة والمنهج والانتماء الفكري الذي يختاره رسام الكاريكاتير عند الشروع بأقتحام صفحات المجلات والجرائد لكي يفهم ماذا يعمل وكيف يبني فكرة الكاريكاتير بالاتجاه الصحيح .

ان تفسير الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والدينية متدرجاً والعمل على انضاج افكار كاريكاتيرية تدور حولها لابد من الاعتماد على المنهج الفكري والتحليل السياسي لمعطيات ومستجدات السياسة المحلية والدولية . لذلك اقول نعم .. السياسة تستهويني .. بل أدعي اني ابن السياسة .

لم أكن أتمنى أن تسوقني المصادفة المؤلمة لأجري حواراً مع الفنان والصديق مؤيد نعمة، ينطبق عليه وصف (آخر لقاء مع الفنان الراحل) إذ كنت أسخر من شطارة بعض الصحافيين والكتّاب الذين يتصيدون مثل هذه المصادفات المشؤومة ويفخرون بذخيرتهم المتخمة بـ (آخر اللقاءات)!!

فقد كلفتني مجلة (هلا) في الشهر الثامن من عام 2005 بإجراء حوار مع الفنان مؤيد، وكان الرأي أن يكون اللقاء في مقر المجلة ليتم تصويره وتوثيقه والمشاركة فيه، وليتني وافقت على هذا الرأي إلا أني ارتأيت حينها أن يُترك الأمر لنا أنا ومؤيد لإتمام الحوار في الوقت والمكان الذي نريد.. أما مسألة التصوير فقد تعهدتها بنفسي معتمداً في ذلك على كاميرتي الصغيرة، التي خذلتني في اللحظة الأخيرة، متذرعة بهبوط البطاريات. اتصلت بالفنان مؤيد واتفقنا على اللقاء في بيته، وكنت قد دونت أسئلتي التحريرية وقلت له: لا أجيد أن أسألك وأكتب ما تجيب فقد تسقط كلمة هنا وتعبير هناك، وأعرف مدى حرصك على إيصال ما تريد.. ثم نجلس جلسة أخرى في بيتي أو بيتك أو في المعهد(معهد الحرف والفنون الشعبية) لنغطي ما قد تفرزه الإجابات من أسئلة جديدة، أخذ الأسئلة وأراد أن يطلع عليها، إلا أن الكهرباء كان لها رأي آخر.

التقينا بعدها بتاريخ 1 أيلول 2005 في المركز الثقافي للطفل العراقي في المنصور وكان قد هيأ الإجابات بخطّه المعروف الذي يزاوج فيه ما بين الرقعة والنسخ بنكهة لا يجيدها سواه.

التقينا بعد ذلك للمرة الثالثة في بيتي ودردشنا بما يكمل الحوار بحضور أحد الأصدقاء، استفسر عن موعد نشر اللقاء فقلت له إذا صدر العدد الأول من المجلة في شهر تشرين الأول فسينشر حوارنا في تشرين الثاني، بيد أن صدور (هلا) قد تأخر، وتأخر معه نشر الحوار.. ولم يتأخر الخبر المر..

(حيث تناقلت الأنباء خبر وفاته بتاريخ 29 تشرين الثاني 2005)

***

يبدو لمن يقرأ ملامحه من الخارج بهيئة المعلم الصارم الذي لا يسمح لتلاميذه بالشغب أو الحديث خارج الحصّة المدرسية، ويردع أية حركة طائشة قد يبديها التلاميذ لإثارة البلبلة في الصف بنظرة قاسية يرسلها من زاوية العين لمصدر الحركة فيعود التلاميذ لمتابعة المنهج المقرر.

إلا أنك ما إن تتجاذب معه أطراف الحديث تدرك بطلان تلك القراءة الخارجية، وتكتشف بأنك تقف إزاء شخص تخصّص بإثارة البلبلة والخروج عن المناهج المقررة.. بالكلام حيناً، ومن دونه أغلب الأحيان، فرسومه (البريئة) تلاحقها التهمة الأزلية بكونها تُبطن أكثر مما تُظهر، ولذلك كان رؤساء ومدراء التحرير يحرصون على فحصها وقراءة ما بين سطورها جيدا قبل دفعها إلى النشر، خشية أن تدفع بهم إلى (سين.. جيم) لا تحمد عقباه. فحين يتحدث في رسومه عن انعدام الوئام بين الزوج والزوجة، يطيب للبعض أن يُسقط عليها حالة (الوئام المستعصي) بين الحاكم والمحكوم، وحين يصوّر مُشاهداً يتجول في معرض تشكيلي (مثل الأطرش بالزفة) تتعدد التأويلات في تشخيص الأطرش وتحديد الزفة.. وحين يتناول قضية سياسية تدور أحداثها في الواق واق، يتطوع أحدهم ويعيد تشكيلها لتنطبق على ما يحصل في العراق..

وتلك هي ميزة فن الكاريكاتير وربما علته أيضاً، كونه مرآة متشظية تعكس أكثر من صورة وتفسير في آن، وهي الميزة أو العلة التي اشتغل عليها مؤيد في محاولة مدروسة لتوريط القارئ وإشراكه في لعبة التأويلات على مسؤوليته الخاصة. وأذكر في لعنة أو لعبة التأويلات التي تميزت فيها رسوم الفنان مؤيد حادثتين: دخلت في الأولى على سكرتير تحرير مجلة الف باء في أواسط الثمانينات، لأتسلم رسومي بعد استحصال الموافقة على نشرها حيث كنت أتولى تصميم الصفحات الخاصة بي، وأتابع مونتاجها في المطبعة، فلمحت رسمين للفنان مؤيد نعمة حصلت الموافقة على نشرهما عبر توقيع بالقلم الأخضر تم وشمه على ظهر كل رسم، فطلب مني سكرتير التحرير أن آخذهما معي إلى المطبعة، فقلت وأنا أحمل احد الرسمين: الله! فقال: ومالذي يعنيه هذا الرسم لتقول عنه.. الله.. أنا لم أفهم منه شيئاً.. مجرد شخص (يرافس) وهو ممسك برقبته!

فشرحت الرسم كما وصلني بحسن نيّة، وقد يصل غيري بشكل آخر.. قلت: هذا شخص يخنق نفسه ويضيّق عليها.. ربما بسبب حشد الممنوعات الوهمية والحقيقية التي تحيط به.. (أو شيء قريب من هذا الشرح).. فقال لي: إذا كان هذا معناه فهاته .. فهو غير صالح للنشر.. ظننته يمزح، فقد كان صديقاً مشتركا لي ولمؤيد، إلا أن الرسم لم ينشر في العدد اللاحق، أو في الأعداد اللاحقة.

والثانية حين استدعاني رئيس تحرير جريدة القادسية يوماً والغضب يملأ وجهه، وهو يفترش الصفحة الأخيرة من الجريدة وفيها رسم لمؤيد نعمة، يصور شخصاً بكرش كبير وشاربين غليظين وهو يقود شخصاً آخر بواسطة (حبل) وهذا الشخص يحبو على أربع وكأنه خروف، مع تعليق لم أعد أذكره عن علاقة المتكرش بالخروف.. قال لي: لماذا تسمح بنشر مثل هذا الرسم؟ قلت: ليس من صلاحيتي أن أسمح أو لا أسمح (كنت وقتها مسؤولاً عن القسم الفني في الجريدة).. والرسم كما هو واضح حصل على موافقتكم للنشر..(كان رئيس التحرير المعني هنا يؤشر على وجه الرسم صح أو خطأ على طريقة تصحيح أجوبة التلاميذ)، قال: مع ذلك أنت المسؤول..

(فهمت أن مشكلة ما قد حصلت والرجل

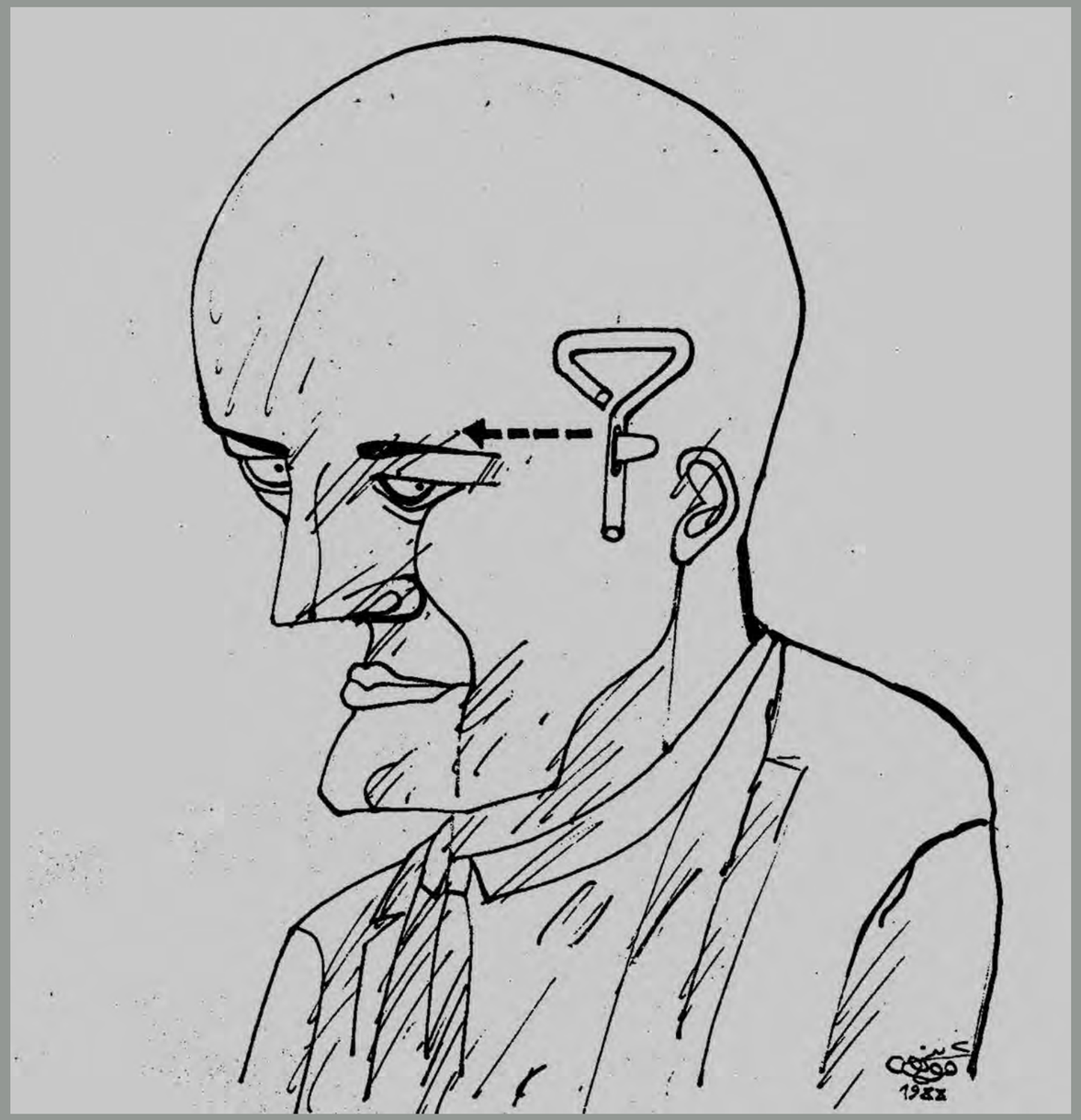

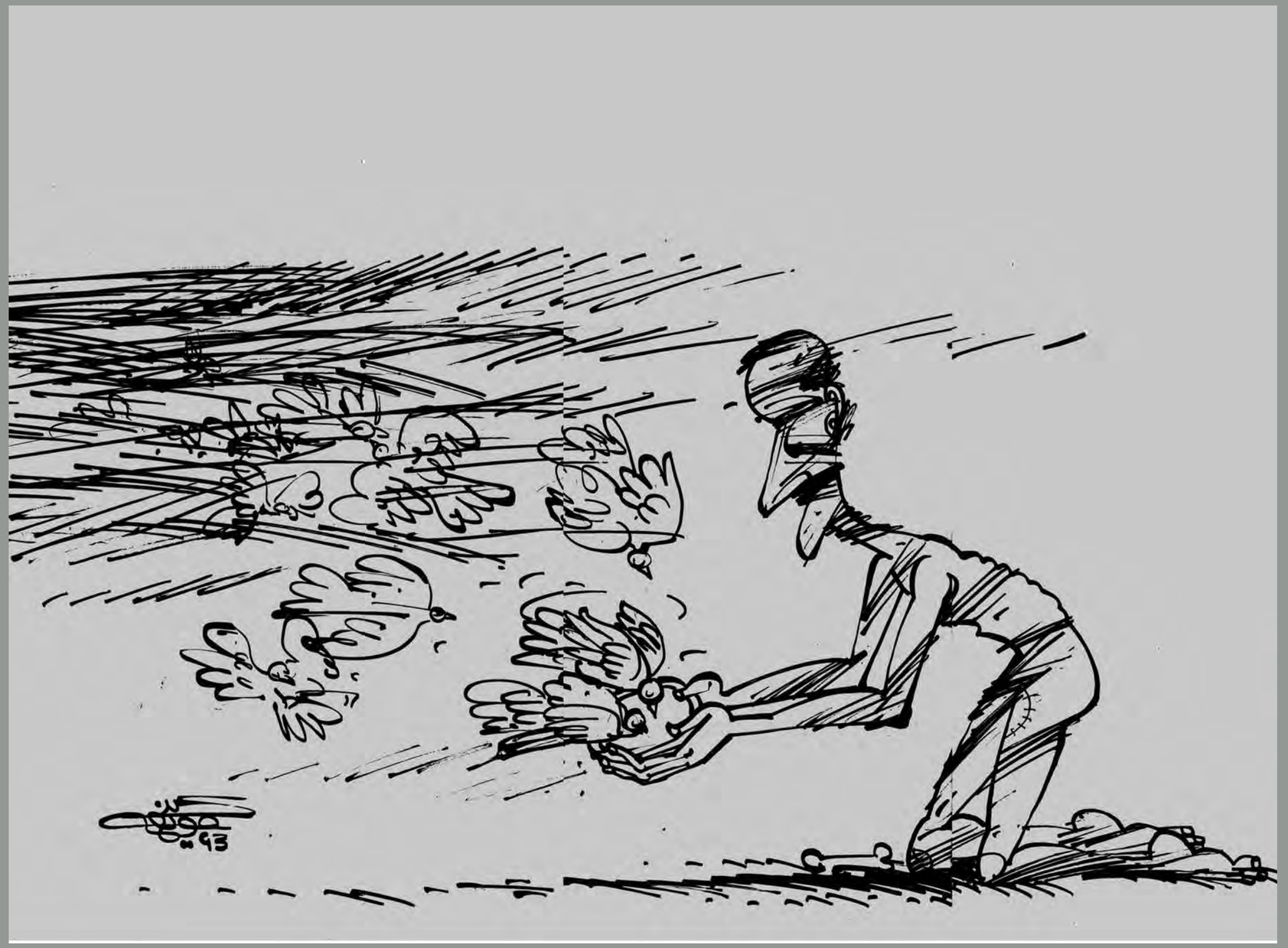

يحاول أن يحملني تبعاتها) قلت: الرسم بسيط ولا يحتمل التأويل.. قال: كيف لا يحتمل التأويل.. ومن هذا الذي (يقود) المواطن وكأنه خروف؟ قلت: أغلب الظن ..تاجر..
قال: تاجر ها.. ومن هذا الذي يحبو خلفه؟
قلت: أغلب الظن.. مواطن..
قال: مواطن ها..
عاد ليتأمل الرسم من جديد وهو يطلب مني المغادرة، ثم رفع سماعة الهاتف.. ليصحح لجهة ما المعنى المغرض الذي فهموه من الكاريكاتير.. حمدت الله أن رسم مؤيد أتاح لي تأويلاً من تأويلاته الكثيرة يضمن براءتي وبراءته معا..
الريبة والشك التي وسمت العلاقة بين الفنان مؤيد نعمة والمسؤولين لفترة طويلة قادته لأقامة جسور العلاقة المباشرة مع القارئ مراهناً على الفطنة التي اكتسبها هذا القارئ وهيأته لقراءة ما بين السطور .. أو ما بين الخطوط..
ومنها نبدأ حوارنا

*** كان رهانك على ذكاء القارئ وتأويلاته فما الذي تريد إيصاله لمن يتابع رسومك؟**

– يسعدني أن أجعل المشاهد متحفزاً لقراءة جيدة لواقعه، أن يرى ما هو مخفي وبعيد عن الإدراك الحسي. أن يخرج من حالة الوهم والقدرية. أن أرسم له التأملات واللامعقول والدهشة ..الصوت والاستنتاج والنوايا.

*** ما الذي يعنيك أكثر في العلاقة مع القارئ، إضحاكه أم استفزاز وعيه؟**

– على الرغم من أهمية الابتسامة والضحك في فن الكاريكاتير إلا أنني أميل فعلا إلى استفزاز وعي القارئ أكثر من اهتمامي بإضحاكه، بل أسعى أحيانا إلى محاولة جعله يتألم ويبكي لواقع حزين يعج بالكوارث والمصائب كما في لوحة (العائلة العراقية) التي تسير بزورقها في بحر من الجثث التي خلفها الإرهاب.

*** رسام الكاريكاتير العراقي وجد نفسه فجأة، في خضم السياسة بعد أن كان لفترة طويلة صدى أو ضحية لها، فهل تستهويك السياسة؟**

– لم يكن رسام الكاريكاتير العراقي بعيداً عن السياسة أبداً، فمنذ بداية ظهور الكاريكاتير على صفحات الجرائد العراقية في نهاية عشرينات القرن الماضي، كانت السياسة هي السمة الواضحة والرئيسة للأفكار التي يعمل على تنفيذها رسامو الكاريكاتير وبنحو يتلاءم مع طبيعة نظام الحكم أو السلطة في كل فترة من فترات حكم العراق، بل إن السياسة هي الدافع الأول لتشكيل مفردات رسام الكاريكاتير وتطوير وعيه الفكري والفني، ناهيك عن أن أغلب رسامي الكاريكاتير في العراق والعالم كان لهم وما زال الانتماء الفكري الذي مكنهم من قراءة الواقع الفعلي ومستجدات المراحل اللاحقة.
وكما تعلم فالسياسة عندي لا تعني التحزب (على أهميته) لكنها تعني الطريقة والمنهج والانتماء الفكري الذي يختاره رسام الكاريكاتير عند الشروع باقتحام صفحات المجلات والجرائد، لكي يفهم ماذا يعمل وكيف يبني فكرته بالاتجاه الصحيح.

*** ما ضرورة المنهج السياسي الذي تتحدث عنه لرسام الكاريكاتير؟**

– إن تفسير الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والدينية مثلا، والعمل على إنضاج أفكار كاريكاتيرية تدور حولها لابد من اعتمادها على المنهج الفكري والتحليل السياسي لمعطيات ومستجدات السياسة المحلية والدولية، ولذلك وعطفا على سؤالك السابق، أقول نعم .. السياسة تستهويني.. بل أدعي إنني ابن السياسة.

*** تحليل المعطيات والمستجدات السياسية لم يعد حكراً على المناهج الفكرية.. ثم ألا ترى أن الفنان أكبر من التحزب والأيديولوجيا؟**

– فعلاً هو أكبر، إلا أن التحزب يعطي الفنان موقفاً فكرياً واضحاً، فبدلاً من أن يصبح عرضة للتقلبات دون منهج فكري معين، عليه أن يكون على معرفة واطلاع لكي تكون معالجاته في المكان والاتجاه الصحيحين.

*** هل تريد الإشارة هنا لفكرة (الالتزام) أو الفن الملتزم التي راجت في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي؟**

– لا.. المسألة خارج موضوع الالتزام، الفنان يعرف ماذا يفعل، أنا ألاحظ وجود كتاب ورسامين لا يفهمون القضية التي يعملون عليها تمام الفهم، هناك ارتباك وأحيانا يحصل تناقض بين ما يقولونه اليوم وما يصرحون به غداً، فمثلا البعض يخوض في موضوع معين أو يتصدى لشخصية معينة، من دون أن يكون لديه وضوح فكري. يهاجم هذا المسؤول أو ذاك ويتهمه بالسرقة أو الفساد انصياعاً لشائعة لا يسندها دليل، أنا لا أفعلها وخضير وعبد الرحيم مثلا لا يفعلانها، بسبب الحرص على الإلمام بجوانب الموضوع وعدم تحويل فن الكاريكاتير إلى وسيلة للهجوم لمجرد الهجوم.

*** في الثمانينات تحولتَ إلى النقد الاجتماعي والثقافي هروباً من ظل السياسة التي تعشقها، فكانت زاوية (طبق الأصل) في مجلة الف باء، والتي تواصلها الآن بنكهة مختلفة على صفحات جريدة المدى، فما قصة هذا التحول؟**

– هذا صحيح، في الحقيقة ليس تحولاً بمعنى الانتقال، بل كان (أحياناً) تغليفاً قسرياً لأفكار سياسية بصيغة النقد الاجتماعي والثقافي، فقد تعرضت في نهاية السبعينات إلى الاعتقال في نفس الفترة التي حصلت فيها على الجائزة الدولية الثالثة لفن الكاريكاتير من بلغاريا، ولك أن تتخيل مقدار الإحباط والألم الذي كنت أمر به والذي توج باستدعائي للخدمة العسكرية مع بداية الحرب ضد إيران.. يا للسعادة !

لذلك انقطعت عن الرسم حتى عام 1983 ، مكتفياً بالرسم لصحافة الأطفال في كل إجازة من جبهة القتال، وخلال هذه الفترة كنت أفكر في طريقة للعودة الى أجواء الصحافة ورسم الكاريكاتير، من نافذة النشر الأسبوعي الذي يمكن أن أقوم بتأمينه وتنفيذه من داخل الملجأ الذي كنت أتواجد فيه ضمن قاطع العمليات وهكذا فعلت. فاقترحت على رئيس تحرير مجلة الف باء أن تكون لي زاوية بعنوان (طبق الأصل) تنطوي تحتها كل الأفكار الثقافية و الاجتماعية، وأحيانا السياسية العامة والإنسانية التي لا يمكن الاستدلال منها على مكان وزمان حدوثها..

*** ثم حاولت أن تشعل الفتنة بين النساء والرجال في فترة لاحقة..**

– (يضحك ويواصل) ولكي أوسع مشاركتي اقترحت زاوية ثانية بعنوان (نساء ورجال) وهي واضحة في مهمتها حيث تجمع كل ما يتعلق بالعلاقات الإنسانية والعاطفية بين الرجال والنساء، وقد كانت في حقيقة الأمر منفذاً ومتنفساً لمجموعة أفكار بلون مختلف، أخذت أهميتها لدى القارئ.

*** هل تخشى من عودة الدكتاتورية، ولغة المحذورات، بأي شكل من الأشكال مجدداً؟**

– بعد الذي كان من حكم الطاغية الدكتاتور، لا أعتقد بوجود شبيه لما جرى في العراق منذ أربعين عاماً، لذلك فأني لا أخشى شيئاً من هذا القبيل..

*** كان هنالك شرطي في ريشة رسام الكاريكاتير العراقي (وقد أحيل إلى التقاعد الآن) فكيف استطعت التعايش مع هذا الشرطي أو الاحتيال عليه؟**

– أعتقد أن هناك شرطياً في عقل رسام الكاريكاتير وليس في ريشته، وهذا الكلام ينطبق على رسامي بلدان العالم الثالث المبتلى بـ «القادة الضرورة» وأجهزتهم القمعية. ورُب ضارة نافعة، حيث جعلني هذا الشرطي أو الرقيب الافتراضي أجتهد حول موضوعة الكاريكاتير الصامت والذي قد يحمل عدة مضامين ومعانٍ متناقضة أحيانا، يمكن تفسيرها إيجاباً أو سلباً في الوقت نفسه، أي انها تتيح للفنان القدرة على المراوغة مع مقص أو مقصلة الرقيب من دون أن يخشى المساءلة، وهكذا كانت العديد من الرسوم تجد طريقها إلى القارئ في عهد النظام السابق من دون أن تلاحقها هراوة الشرطي.

*** وهو نفس السبب الذي أدى إلى تطور الكاريكاتير في الاتحاد السوفيتي (السابق) و دول أوربا الشرقية، اللجوء إلى التورية والرمز والتلميح، هرباً من رقابة فعلية أو مفتعلة.**

– هذا صحيح تماماً، إذ منح هذا الأمر الفنان مجالاً للاجتهاد، وتطوير الأدوات وتوصيل الفكرة مشحونة بالإحساس الخفي، أكثر من الكلام أو المعنى المباشر.

*** يقول عنك الفنان فيصل لعيبي بأنك أول من حدّث الرسم الساخر في العراق وأعطاه مسحة المعاصرة، فما هي المسحة التي أعطاها فن الكاريكاتير لحياتك؟**

– عزّز فن الكاريكاتير عندي الولاء للإنسان المقهور.. وأضاف لي وسيلة أخرى للتعبير بقوة عن أفكار قد لا يمكن تحقيقها أو تنفيذها بأسلوب آخر سوى الكاريكاتير، كما حقق لي مساحة مهمة للحركة فنياً وثقافياً. فالعمل الصحفي اليومي لرسام الكاريكاتير يجعله أقرب إلى الحقيقة وأكثر التصاقاً بالواقع ليترجم ذلك برسوم قد تكون أبلغ وأوضح ومشبعة بخيال وأفق جميل.

*** هل فكرت يوماً بترك الكاريكاتير.. جراء**

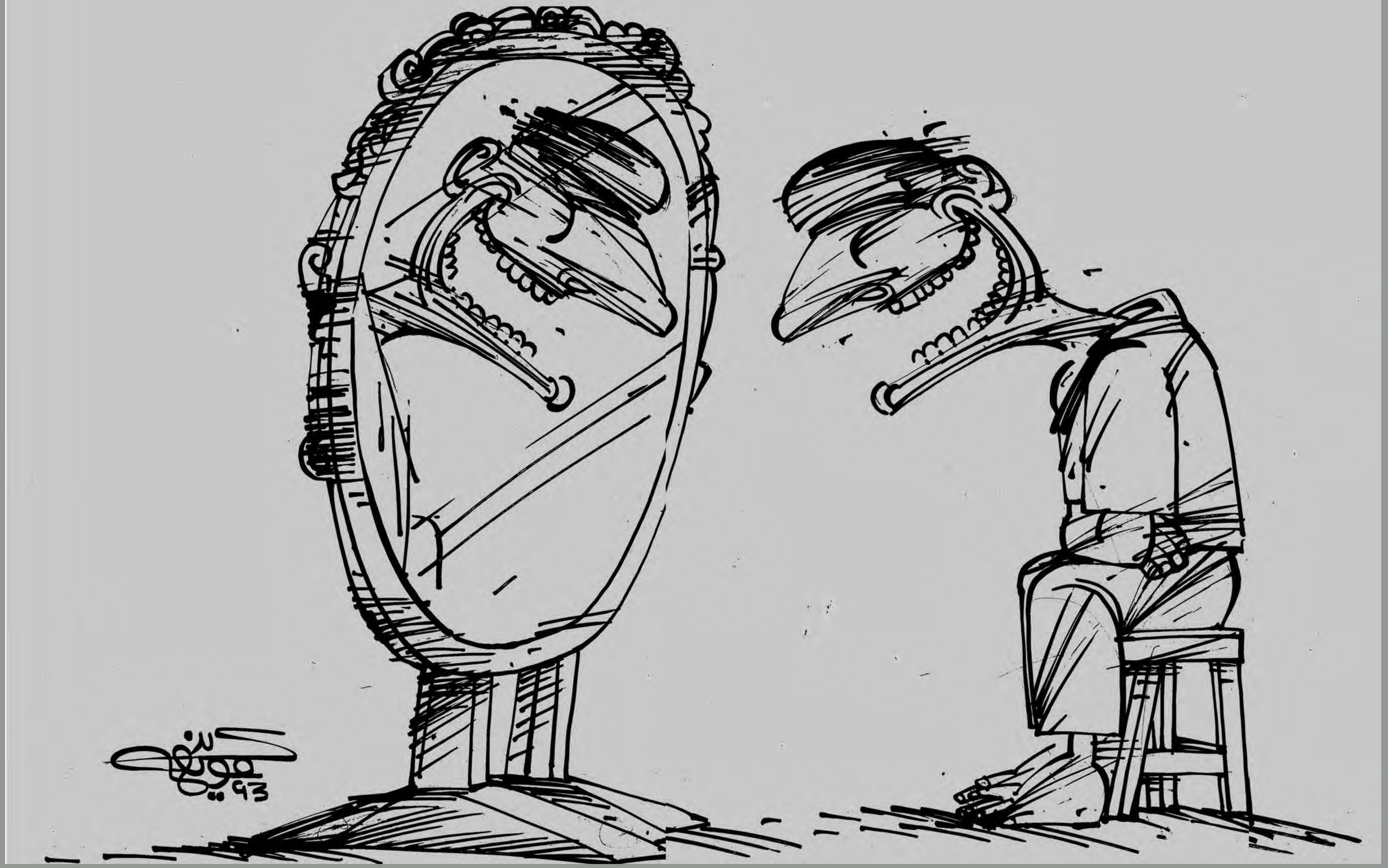

المشاكل التي جلبها لك هذا الفن؟

– نعم.. بعد أحداث عام 1979 وحملة الاعتقالات التي تعرض لها اليسار العراقي فكرت جدياً بترك رسم الكاريكاتير والاهتمام فقط بالسيراميك (اختصاصي الأكاديمي) ورسوم الأطفال.

واستمر الحال كذلك حوالي سنتين ثم تراجعت عن قراري. وكان لابد من العودة، وهكذا بدأت من جديد ووجدتها فرصة مناسبة لإعادة صياغة الأسلوب الفني وإعادة قراءة الكاريكاتير كأداة ثقافية وفنية وأثره على الإبداع الثقافي بشكل عام.

*** إعادة صياغة الأسلوب وإعادة صياغة التوقيع أيضا إذ عدت بتوقيع مركب على طريقة خط الثلث، أقرب الى البصمة أو الختم.**

– لأن أسلوبي الجديد كان يتطلب توقيعاً يتناغم معه بدلاً من التوقيع القديم والذي كان عبارة عن إسمي الأول فقط بخط الرقعة مع إطالة حرف الدال أحياناً..

*** هل تعتقد بأن رسام الكاريكاتير في العراق قد أمسك بحريته الحقيقية، وصار بإمكانه أن يقول ما يشاء، أم ما زالت هناك بعض الخطوط الحمراء؟**

– تمكن رسام الكاريكاتير الآن من التنفس بحرية وهذا ما أراه واضحاً في مجموعة رسوم الكاريكاتير المنشورة في الصحف، وها أنت ترسم ما يحلو لك من أفكار وتنتقل فوق خطوط كانت حتى الأمس القريب، حمراء، من دون خوف وتصل بيتك سعيداً بما أنجزت وتحصل على ما تطلب من استحقاق مادي كان في عهد الطاغية من المستحيلات. ويمكنك أن تنتقد وتستنكر وأحيانا تلعن وأنت مطمئن..

*** أستطيع أن أتخيل عدد الرسوم التي رفضت أو قمعت لك في الفترة السابقة، فهل رفضت لك بعض الرسوم في فترة ما بعد التغيير؟**

– رُفض لي رسم واحد، ولكن بعد نشره بعدة أيام في جريدة النهضة، بمعنى أنه تم الاعتراض عليه بعد نشره في الجريدة وذلك بسبب وجود خطاب تهديد نُقل بواسطة أحد الصحفيين من العاملين سابقاً في جريدة الثورة، و يا للمصيبة صحفي كان يعمل في جريدة الثورة، تم تعيينه في جريدة النهضة لكي يستمر في العمل (وهذا حق مشروع) لكنه يتعامل مع الإرهابيين كمراسل في إيصال خطابات التهديد لزملائه!

الكاريكاتير كان يهزأ من الجماعات الإرهابية التي تذبح على الهوية قبل أن يتم كشفها على شاشات التلفاز ويتضح صحة ما ذهبت إليه في الكاريكاتير..

*** إذا قيض لك أن تضيف أو تعدل مادة في الدستور، فما هي هذه المادة؟**

– فصل الدين عن الدولة..(السياسة)

*** هل صدمتك إفرازات الأحداث على صعيد المجتمع العراقي: الحواسم، النفاق السياسي، التطرف الديني، اللهجة الطائفية ..؟**

– بعضها صدمني فعلاً .. وبعضها الآخر كان طبيعياً أو متوقعاً في سياق الأحداث..

*** حدثت في الوسط الكاريكاتيري العربي مؤخرا فضيحة (سطو) مجلجلة ومؤسفة، فهل سطوت يوما، أو تم السطو عليك؟**

– بين فترة وأخرى تنفجر فضيحة سرقة و اقتباس أفكار بين رسامي الكاريكاتير وكذلك بين الشعراء وكتاب القصة والروائيين، وهي تعني عجز المقلدين وأصالة وأهمية المبدعين. وتفرد صفحات المجلات والجرائد لمثل هذه السرقات والاقتباسات، ففي بينالي كابروفو/ بلغاريا مثلاً يضع منظمو المسابقة الرسوم الكاريكاتيرية المتشابهة داخل دوائر ترتبط ببعضها دلالة على تطابقها بالفكرة ويتم نشرها من خلال كاتلوج المعرض على أنها (توارد خواطر). يمكن أن يتم تناول الفكرة من قبل أكثر من رسام، لكن ذلك لا يعفي بعضهم من تهمة السرقة أحيانا..

وقد وجدتُ أن بعضاً من رسومي قد تم (اقتباسها) والسطو عليها من قبل أكثر من رسام ويخبرني الأصدقاء بأن إحدى رسومي قد تم الاستيلاء عليها .. في هذا البلد أو ذاك. ولأن فترة عملي في السبعينات في طريق الشعب كانت فترة توهج واندفاع فقد حفلت بالكثير من الأفكار المميزة، والتي تستهويني للعودة إلى رسمها مرة أخرى وبأسلوب آخر، لذلك يمكن القول بأنني سطوت على نفسي عدة مرات.. كما أن هناك أفكاراً لرسامين آخرين قد تعلق في ذاكرة الرسام من دون ان يدري وبعد حين يرسمها وكأنها من بنات أفكاره..

***

تعقيباً على إجابة الفنان مؤيد..

أذكر أن جلسة جمعتني بأحد الرسامين يوماً في عمان تذاكرنا فيها بعض الرسوم الكاريكاتيرية التي تعلق في الذاكرة للرسامين العرب، وقد ذكرت من ضمن ما ذكرتُ رسماً للفنان مؤيد رسمه في فترة مطاردة الشيوعيين أواخر السبعينات يمثل وردة حمراء منتصبة وفي الأرضية عدد من المقصات المحطمة التي أخفقت في اقتلاعها، وبعد مدة التقيت مؤيدا وكنا نعمل معاً في جريدة العرب اليوم الأردنية، فأخبرني مستغرباً أنه شاهد إحدى أفكاره وقد رسمها رسام آخر على غلاف إحدى الصحف، فقلت له (امسحها بلحيتي!).. فقال :لماذا؟ .. فذكرت له ما حصل من وصفي للرسم أمام ذلك الرسام، فقال: (خوما وصفت له الكثير من الرسوم؟)، فقلت له ضاحكاً: بما يكفي أن يرسم لعامين قادمين!!

***

أشرتُ للفنان مؤيد قبل ختام الحوار.. ومن دون أن أعلمه بأني سأنشر ما يقول..

*** لم تجب على ثلاثة أسئلة من الأسئلة المكتوبة.. كان الأول: كيف تنظر إلى الجيل الجديد من رسامي الكاريكاتير العراقيين الذي ظهر مع اتساع فرصة النشر والتعبير؟**

– قال: لم أجب لأحد سببين، إما لأن متابعتي قليلة، أو لأن رسومهم لا تستحق المتابعة – ثم ضحك وأضاف: من المبكر إطلاق الأحكام، والموهبة الحقيقية تعرف طريقها إلى القراء..

*** السؤال الثاني الذي لم تجب عليه كان: أين أنت من محاولات استخدام تقنيات الكومبيوتر في رسم الكاريكاتير والتي بدأت تنتشر على نطاق واسع بين فناني الكاريكاتير؟**

– لا تغريني كثيرا!

*** ألم تستوقفك بعض التجارب في هذا المجال؟**

– بالتأكيد هناك تجارب ناجحة.. ومبدعة، خذ تجربة صديقنا عماد حجاج مثلا..

*** السؤال الآخر: الكاريكاتير.. السيراميك.. اللوحة التشكيلية، من يغار من الآخر لديك ولمن تنتصر وقت الخصام؟**

– قال: لماذا نسيت رسوم الأطفال؟

الفنان مؤيد نعمة، دموع الوداع 1990

*** قلت: سقطت سهواً!**

- أجابني ضاحكاً: وجوابي أيضاً سقط سهواً.. ثم أضاف: (كلهم أولادي) ألا يقولونها هكذا.. كلهم أولادي!!

*** قلت: في الأولاد قد يتقدم الكبير على الصغير!**

- أجاب: مسألة ظرفية، فقد يتقدم السيراميك في فترة والكاريكاتير في أخرى ورسوم الأطفال في ثالثة، فمثلا في هذه المرحلة أنا أعطي الكاريكاتير أهمية بالغة، وهو يأخذ الكثير من وقتي..

*** قلت: ولذلك تتوزع رسومك على ثلاث صحف..**

- أجاب: (محبوس) وأطلق سراحه ..لكن بيني وبينك بدأت في الفترة الأخيرة بمراجعة هذا التوزع لأنه أتعبني كثيرا، ولذلك قررت حصر رسومي في جريدة المدى فقط..

*** أخيرا.. هل أنت متفائل.. هل ثمة ضوء في نهاية النفق؟!**

- نعم متفائل جدا، وعلى ذكر الضوء في نهاية النفق فقد رسمت كاريكاتيرا يصور شخصاً وقد حوله انفجار إرهابي إلى أشلاء، تقطعت أطرافه وبانت ضلوعه، وهو يكلم صاحبه قائلاً (آني أدري أكو ضوء في نهاية النفق.. بس كلي شلون راح نوصل)..

قلت: وأنا رسمت في الموضوع ذاته فكرة تتجسد بشخصين يسيران في الشارع ليلاً، يحاول أحدهما إشعال سيجارته، فيقول له الآخر متلفتاً، طفي جكارتك خاف يشوفنه واحد من بعيد ويتصورنه ضوء في نهاية النفق!

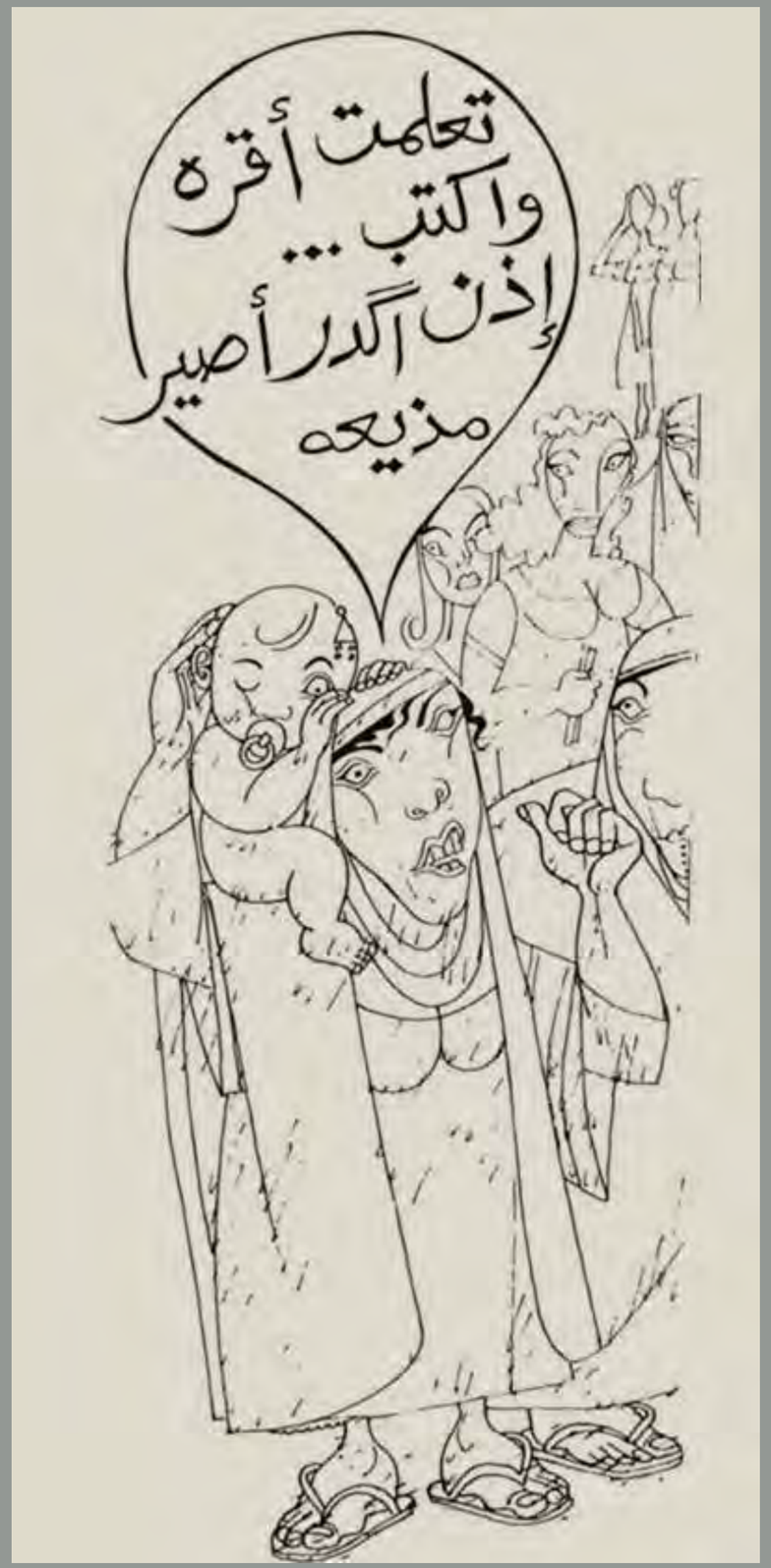

حوار مع مؤيد نعمة:

العراق يمتلك خصوصية «متفردة» في فن الكاريكاتير

أجرى الحوار : علي المندلاوي

دخل مؤيد نعمة (1951 بغداد)، الساحة الساخنة للرسم الساخر في أيام نكسة يونيو (حزيران) 1967، برسم كاريكاتيري يمثل الرئيس الأميركي جونسون، وهو يرفع بدل شعلة تمثال الحرية الأميركي قنبلة «نابالم» كانت إسرائيل تستخدمه بوقاحة في حربها ضد العرب..

أرسل الفتى مؤيد رسمته تلك إلى المجلة البغدادية الساخرة «المتفرج»، وكم كانت دهشته كبيرة عندما وجدها تحتل مساحة الغلاف الأول من المجلة المثيرة للجدل. ولم يمض سوى عامين حتى التحق بمغامرة إصدار المجلة الأولى للطفل العراقي «مجلتي»، وبسرعة هضم الشاب مؤيد التقنيات الخاصة جداً لهذا النوع الجديد من الرسم، ليبدع في خلق الكثير من الشخصيات الكارتونية الأخاذة.

في محترفه ببغداد، التقيت الفنان مؤيد نعمة، وتبادلت معه أطراف الحديث حول تجربته التي قادته إلى كبرى المهرجانات العالمية لرسوم كتب الأطفال، والرسم والنحت السّاخرين.

* سألته عن الخطوات اللاحقة التي تلت تلك البدايات الجريئة في رحلته الطويلة مع الرسم الساخر، فقال

– في عام 1973، دعيت للرسم لجريدة «الجمهورية» البغدادية، وعندما صدرت صحيفة «طريق الشعب» بعد فترة وجيزة من ذلك التاريخ، انتقلت إليها، وبدأت برفدها بكاريكاتير سياسي يومي، وهو ما حفزني لرصد الاحداث والتفكير بأوجه معالجتها النقدية الساخرة.

ولا شك أن الالتزام بإنتاج هذا الرسم اليومي بكل ما فيه من تحد، أفضى إلى تطوير ملكتي الخاصة في ابتداع الجديد في هذا الفن رسماً، وأسلوب معالجة لعجينة الفكرة، وتحويلها عبر قناة السخرية والنقد إلى رسم كاريكاتيري نافذ.

* وماذا عن تجربتك المتميزة جداً في مجال نحت الوجوه كاريكاتيريا؟

- بعد أن أكملت دراستي الأكاديمية للرسم في معهد الفنون الجميلة، واصلت دراستي الفنية في أكاديمية الفنون الجميلة. وهناك اقترح عليّ الفنان اسماعيل فتاح الترك، أن أتوقف عن دراسة الرسم وأختار تخصصاً آخر لإغناء تجربتي، فاخترت الفخار الذي كان الترك يدرسه ، وكان أول وجه حققته بأسلوب النحت الفخاري «شاه إيران»، بدأت بعدها بوجوه عدد من الأساتذة الفنانين الكبار كالفنان فائق حسن وسعد شاكر وفالنتينوس وآخرين.
كان ذلك في عام 1973، وكانت تجربة مثيرة وجديدة، بل ونادرة على الصعيد العالمي.
وعندما اشتركت بدورة عام 1975 من مهرجان «غابروفو"بعمل فخاري من المجموعة، أبرقت إدارة المهرجان تعرب عن أملها بموافقتي على ضم العمل إلى مجموعة المتحف الخاص بالمدينة،
وفي الفترة نفسها، خضت تجربة تجسيد الموضوع الكاريكاتيري بنحته بدلاً من رسمه.
وعن تجربته الطويلة في الرسم لصحافة وكتب الأطفال، وأهم الشخصيات الكرتونية، قال:
- بدأت هذه التجربة مع الإعلان عن تأسيس مجلة خاصة بالطفل في بغداد عام 1969.
وكان الفنان الكبير طالب مكي هو المدير الفني المشرف على تدريب الرسامين على هذا النوع الجديد من الرسم، وعلى يديه تلقيت تدريباً رائعاً، فرغم أنه لم يسبق له العمل في هذا المضمار، إلا أن موهبته الخارقة أعطته قابلية عجيبة في استيعاب تقنيات هذا التخصص..
تأثرت بطالب واستوعبت دروسه المدهشة، وأصبحت في وقت قصير أحد الرسامين المعتمدين في المجلة. ومن أشهر الشخصيات التي ابتدعتها واستمرت بطولاتها على صفحات المجلة لسنين طويلة شخصية «جدو من العصر الحجري» و«عبقري ومساعده سليم» و«جحا» و«أشعب».

وعن سؤال حول ماهية الكاريكاتير، أجاب:
- اعتقد بأن الكاريكاتير، وخلال السنين القليلة

الماضية، بدأ يأخذ طابعا أكثر شمولية وإبداعاً عما مضى من عمر إنتاجه قبل هذا التاريخ، فالرسم الكاريكاتيري الناجح فيه فكرة وإنشاء وفيه أحاسيس الرسام وبصمته، وهو فن غير اعتيادي يشتمل على فنون عديدة في عين الوقت مثل الجرافيك والرسم والنحت، وحتى الموسيقى التي أكاد اسمعها في رسوم العديد من الفنانين، وبشكل خاص في رسوم زميلي الفنان» عبد الرحيم ياسر».

ومن الملابسات التي خلقها هؤلاء الرسامون المبدعون، تجريد الكاريكاتير من صبغته القديمة كوسيلة لرواية النكتة.

ففي الكثير من الرسوم، لا يوصل الرسام مشاهد أو قارئ لوحته الكاريكاتيرية إلى بهجة الضحك، بل يضع إصبعه على الجرح وعلى مساحة من الكآبة لأنه يوضح أبعاد حالة إنسانية حدثت داخل مجتمع فيه الأذى والمأساة، وهي حالة موجودة بهذا القدرأو ذاك في كل المجتمعات.

* وما هو تقييمك لأداء زملائك من رسامي الكاريكاتير العراقيين والعرب؟

- أجمع عدد كبير من رسامي الكاريكاتير العرب والأجانب على تميز الرسم الكاريكاتيري في العراق وخصوصيته، بمعنى أنه لم يخرج من تحت معطف الكاريكاتير المصري مثلما حدث مع رسامي باقي الأقطار العربية، وهنا أذكر مقال الفنان المصري «محيي الدين اللبّاد»، عن طريقة عملنا في العراق، الذي نشر في الصحافة القاهرية، وكان عنوانه «كاريكاتير ما عدّاش على مصر»، وقد أصاب اللبّاد في تحليله، لأننا أيضا لم نشعر بمثل هذا التأثير، ولهذا يمكن القول إن في العراق كاريكاتيراً ذا سمات مستقلة عن باقي المشتغلين بهذا الفن في العالم العربي.

أما بالنسبة للكاريكاتيريين العرب، فإن أهم التجارب وأكثرها تميزاً في اعتقادي، تتركز في مصر وسورية والجزائر.

* وما هو المشروع الذي تعمل على تنفيذه حاليا؟

- أعد رسوماً كاريكاتيرية لصحيفة عراقية ستصدر قريباً، وفي عودة إلى أعمالي النحتية - الفخارية الكاريكاتيرية، كلفت بعمل مجموعة تتكون من عشرة وجوه عراقية مبدعة كالسياب والجواهري وآخرين، وأعكف حالياً على تنفيذها.

EUROP
اوربا
USA

الحوار الاخير
للراحل مؤيد نعمة:
الكاريكاتير فن المستقبل

حاورته في بغداد خالدة حامد:

ولد مؤيد نعمة في بغداد عام 1951. وحينما كان في السادسة عشرة من عمره نشر أول رسم له، وشارك بعد عامين في تأسيس أول مجلة للأطفال في العراق. تخرج من معهد الفنون الجميلة في بغداد عام 1971. حصل على بكالوريوس سيراميك من أكاديمّية الفنون الجميلة في بغداد. وشارك في العديد من المعارض داخل الوطن وخارجه. تم انتخابه عام 1991 رئيساً للجنة الكاريكاتير العراقي. يعمل في الصحافة منذ سن مبكرة وما يزال يواصل نشاطه الآن في صحيفتيّ «المدى» و«النهضة» العراقيتين. التقيته في بغداد وهاهو الجزء الثاني والأخير من حواري معه:

*** يقال إن البورتريه فن وسيط بين الكاريكاتير والفن التشكيلي، والملاحظ على رسوماتك أنها توظفه بشكل مميز، ما أهمية هذا الفن بالنسبة للكاريكاتير؟ وما علاقتك بالفنون التشكيلية الأخرى سيّما أنت تخصصت بالسيراميك؟**

– مثلما تعرفين فإن اختصاصي هو السيراميك، وهوايتي كانت الكاريكاتير، لكن الحالة أصبحت أن صار الكاريكاتير هو الاحتراف وأصبح الخزف هواية. لكنها هواية ممتعة مكملة لعملي ولشخصيتي الفنية. أما عن الكاريكاتير فهو فن تشكيلي متنوع، فأين الوساطة في هذا؟ والبورترية الكاريكاتوري ينطوي على معالجات رائعة في رسم الوجوه قد لا يتوصل لها الرسام الاكاديمي بمعنى الاهتمام بالتعبير والايحاء والمبالغة والابتعاد عن التطابق في الخطوط وايهام المشاهد (نفسياً) بفرضية ان الصورة متطابقة مع الموديل. ولتوضيح الكلام ارجو ان نتأمل رسوم وبروتريهات الفنان (جورج البهجوري) لكي نصاب بالدهشة في كيفية تنفيذها المذهلة من خطوط والوان توحي للمشاهد بان الشخص المرسوم لابد وان يكون كما نراه في اللوحة. كذلك الحال وبطريقة مختلفة عند الفنان عبد الرحيم ياسر الذي يميز حقاً بتخيير ملامح الشخصية المرسومة دون المساس بحجم الحقيقية في تلك الملامح.. أليس هذا فن تشكيلي رائع؟ وهكذا اعمل على الايحاء بتطابق الشبه بين بورتريه النحت الكاريكتوري وشخصية الموديل.

تقول في إحدى المقابلات التي أجريت معك إن الكاريكاتير « شامل لكل الفنون، هو فن

مجموعة ضياء العزاوي، لندن

المستقبل « ألا ترى أن في هذه المقولة شيء من المبالغة؟

– فن المستقبل.. هو فن التعاطي مع المشاعر.. فن التلويح بالمعاني المكبوتة... فن شامل لبقية الفنون؛ فن المبالغة التي لا يدركها التصوير والرسم الاكاديمي او الرسم الحديث (التجريدي) فن الاحساس بالموسيقى التي تنساب بين الخطوط.. فن السحر والإلهام الذي يجسده رسام الكاريكاتور بخطوط والوان قد لا تسعف القواعد الأكاديمية في تنفيذها. وبذا فهو فن شامل بتخطيطه، ألوانه، نحته، غرافيكه، موسيقاه، شعره المفعم بالأحاسيس التي تظهر على رسوم الفنان. ولابد من الالتفات إلى مسألة مهمة، وهي أني أتحدث هنا عن فئة الكاريكاتور اللوحة والموقف وليس كاريكاتير النكتة السمجة والضحك المسطح البليد والشائع في الصحافة..
خذي مثلاً رسام الكاريكاتير الروسي (سميرنوف) والتشكيلي (ادولف بورن) صاحب

لاتخافين
عنده فتوى
وخبره ثلاثين سنه
بالذبح

الجوائز الكبرى في المهرجانات الدولية.. والفنان العراقي (عبد الرحيم ياسر) والفنان الألماني (هنري بوتر) والفنان المصري (محي الدين اللباد) والفنان الكوبي (رينيه ويلانويز) والفنانين السوريين (يوسف عبد مكي وعلي فرزات) والفنان الاميركي الروماني الاصل (سول شتاينبرك) والفنان الروسي (سيرجي تيونن) والفنان الفرنسي (فولون) ... وعشرات الأسماء المحلقة في سماء الكاريكاتير.

*** للشأن السياسي في رسوماتك الآن حضور يطغى على الجوانب الأخرى، كالاجتماعية مثلاً إذ توقفت عن زاويتيّ (طبق الأصل) و(نساء ورجال) اللتين تناولتهما في السبعينيات والثمانينيات، ما السبب؟**

– مما لاشك فيه أن الظروف التي مر بها بلدنا كان لها تأثير كبير علي أبناء المجتمع، ومنهم رسام الكاريكاتير قطعاً، مما دفعني إلى أن أعكس المعاناة السياسية في رسوماتي. المعاناة كبيرة ولهذا شغلت حصة كبيرة من تفكيري. وكانت هناك أسباب موضوعية ومعروفة في تلك السنين لكي ارسم خلف عناوين « رجال ونساء « و « طبّق الأصل « . وجاءت الأحداث الأخيرة بسقوط النظام الديكتاتوري لكي تفجر مخزوناهائلا من الأفكار المكبوتة والمؤجلة إلى حين. لذلك تجديني ارسم الان في صحيفتين يوميتين اتخذت في إحداها عنوان « طبق الأصل « ليشمل المواضيع السياسية والاجتماعية.

***** هل حقاً أن الكاريكاتير هو فن التحريض؟

– نعم الكاريكاتير فن التحريض ضد الظلم والتعسف والخطأ والشاذ والسيء ويمكن ملاحظة ذلك جلياً في اية لوحة تنتمي لفن الكاريكاتير وليس لفن التهريج.

هل علاقة هذا الفن بالحكومات سيئة دائماً؟

وهل تعرضت رسوماتك إلى المنع؟

– علاقة الكاريكاتير بالحكومات متقاطعة غالباً وسبب ذلك يعود إلى طبيعة هذا الفن المنفلت من اية قيود حكومية او ديكتاتورية.. الكاريكاتير ينشد الخلاص من كل القيود يتمكن من ان يكون مؤثراً ومتميزاً. وفي طبيعة الحال فقد تعرضت بعض من رسومي إلى المنع في الثمانينات بسبب (المبالغة) كما ادعى سكرتير التحرير في إحدى المجلات، والتي كانت عن أسعار البيض تحديداً، إذ ذكرت أن سعر طبقة البيض في تلك الفترة وصل إلى عشرين ديناراً، والحقيقة أن سكرتير التحرير قال إنها بثمانية عشر ديناراً. تصوري ! وبعد أسبوع فقط قفزت الأسعار إلى خمسة وعشرين ديناراً و مائة دينار وهكذا! كما تم تشويه إحدى الكاريكاتيرات التي رسمتها وذلك بواسطة الحبر الاسود لإخفاء شخصيتين داخل الكاريكاتير يرتديان الزي العربي، وقد اخبرني المصمم بأن رئيس التحرير هو الذي طلب ذلك « لحساسية الموقف « !

* تبعاً لإحصائيات لجنة حماية رساميّ الكاريكاتير في العالم التي يرأسها روبرت راسيل فإن (43) رساما كاريكاتيرا في دول العالم الثالث صاروا ملاحقين بسبب رسومات لا تتقبلها بلدانهم، ولا تخفى عليك قصة اغتيال ناجي العلي، هل يدفع ذلك برسام الكاريكاتير إلى الترميز والتشفير؟ وهل سيؤدي ذلك إلى تحجيم « رسالته «؟

– اصبح الترميز من اساسيات فكر الكاريكاتور في البلدان العربية لضرورة التحايل على مقص الرقيب أو الملاحقة الأمنية، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى.. ففي مصر كان رسامو الكاريكاتير يتفننون في تمرير أفكارهم « المشاكسة

« على مقص الرقيب لتنشر بعدها وتبدأ الجماهير بالغمز واللمز على هذا المسؤول او ذلك الوزير. وفي سورية كذلك والعراق والجزائر وبمستويات مختلفة حسب هامش الحرية الممنوح للصحافة في كل بلد. ويستدعي ذلك فطنة رسام الكاريكاتير واجتهاده وشجاعته في ايجاد التبرير المناسب عند استجوابه من قبل السلطات الأمنية (وأنت وحظك).

وبالتأكيد يصبح « التشفير » عبئاً مضافاً على الرسام ويضعف من قدرته على ايصال كل ما يجول في مخيلته إلى المشاهد ويقلل من امكانية التوغل الاعمق في موضوعات قد تكون ملتهبة ومهمة لا يمكن للرسام تحت هذه الظروف من تناولها.

*** هل الغليان الذي يشهده عالمنا اليوم يسهم في سرعة إنضاج هذا الفن، بمعنى آخر هل يزدهر هذا الفن في الأزمات؟**

– إن مهمة رسام الكاريكاتير هي الكشف عن الممنوع ونزع استار المبهم والصراحة القاسية احيانا في قول الحقيقة او البحث عنها ويقترح الحلول او يفترضها بالايحاء والاشارة لذلك فالكاريكاتير وليد الازمات ومروّضها وكاشف المستور منها. ولأن هذا الفن يهتم بشؤون الانسان ومشاكله الاجتماعية والسياسية والفكرية لذلك يستجيب لكل هذه المواضيع ويستمد منها أفكاراً ومواقف مختلفة ويزدهر بها.

*** أيصح القول إن الكاريكاتير هو فن الفكرة أساساً وإن مقياس الرسم والمهارة يأتي بالدرجة الثانية؟**

– نعم الكاريكاتير من الفكرة ولكن الوسيلة لإيصال هذه الفكرة هي الأسلوب الفني المدهش بالتنفيذ الذي يساعد في ترسيخ الفكرة ويعزز من مصداقيتها لدى المشاهد. وأنا أعتمد الفكرة أساسا، أي أنها عندي قبل الأسلوب الفني، قبل التخطيط، قبل الخطوط. أعتمد الفكرة، وتنفيذها يبقى سهلاً. المهم أن الفكرة تصل مباشرة، أو بشكل غير مباشر، إلى المتلقي. وأتمنى في كل عمل أنجزه، أن يشاركني القارئ أو المشاهد باستنباط أفكار جديدة من الفكرة التي أطرحها أنا.

نشر في صحيفة المدى عام 2005
بعد يوم من رحيل مؤيد نعمة

مؤيد نعمة
منح السخرية وظيفة سامية ورصينة

حسين الهنداوي

إقامة مؤتمر (فستيفال) دوري عالمي لفن الكاريكاتير ببغداد كل عامين هي الأمنية – الدعوة التي رأيت ضروريا إطلاقها في ذكرى رحيل مؤيد نعمة أهم فنان كاريكاتير عراقي في تاريخنا المعاصر. فهل ستهتم اليونسكو أو الجامعة العربية أو الدولة العراقية أو الجمعيات والمؤسسات الفنية في بلاد الرافدين بدعوة كهذه؟ لا أتوقع ذلك منها في الواقع، بيد أن الحلم بمشروع كهذا يستحق أن يظل مراوداً بقوة وفاءً لهذا الفنان على الأقل.

لقد كانت فعلاً نكبة صامتة تلك التي حلت بفن الرسم العراقي قبل عامين برحيل مؤيد نعمة، نكبة تضاعفت بفعل الطابع المباغت وأكاد أقول الغادر الذي تلبسه ذلك الرحيل في لحظة كان فيها الفنان الكبير النفس والموهبة في ذروة تألقه وتحضيراته للعطاء الحياتي والتشكيلي الاهم في كل عمره ربما، ومن بينها معرض كبير مشترك مع صديقه الفنان عبدالرحيم ياسر كان من المتفق أن يتم افتتاحه في لندن نهاية العام نفسه ثم ينقل إلى عدد من عواصم االفن الأخرى للتعريف بهذا الوجه الحيوي من الفن التشكيلي العراقي المعاصر.

كما أن غياب مؤيد نعمة خسارة عميقة أيضا للحركة الإبداعية العراقية والعربية الناهضة من رماد القمع والسطحية والفجاجة كلها باتجاه الحرية والسمو والمستقبل. فمؤيد نعمة في هذا الميدان، من خلال أعمال جريئة وطليعية كثيرة، بدا رائداً مبادراً وأميراً كريما بلا ادنى جدال. وهذا ما استطيع الشهادة عليه عن قرب ومعرفة مباشرة من خلال صداقة متأخرة وكثيفة في آن من خلال مؤسسة"عراق للابداع"التي كنا قد أسسناها في بغداد آنئذ ولعب هو في إنشائها وإرسائها دوراً أساسياً كما حرص على تصميم شعارها مانحاً فيه كلمة (عراق) أقصى ما يمكن من الخصب والمجد وبإصرار لم يكن لأي من الأعضاء العشرة أو أكثر المؤسسين إلا الاستجابة لفكرته.

وأقول كثيفة لأنني أعرف وأحترم فن مؤيد نعمة منذ نحو ربع قرن، وبشكل خاص منذ معرض عالمي لفن الكاريكاتير أقيم في النصف الثاني من الثمانينات في"معهد العالم العربي"بباريس وشارك فيه بلوحتين أثارتا جدلاً كبيراً حول موهبة رائعة ولامعة عرفت كيف تتسامى على الرطانة البعثية دون أن تفقد مسامة واحدة من روحها العراقية الجليلة: "المهم في فن الكاريكاتور ليس قوة الصنعة بل قوة الأفكار"كما قال لنا مراراً، وهذا ما ظللت أواصل اكتشافه من خلال عشرين سنة من المتابعة المبعثرة لكن العميقة دائماً لرسوم هذا الفنان الكبير الباحث دائما عما وراء الابتسامة والذي منح السخرية وظيفة سامية ورصينة وان بدت مثقلة بالحزن والاسئلة الاليمة غالبا. لكنها صورة بدت مرشحة اخيرا للتغيير جدياً لأول مرة منذ عقود:

«الآن بدأنا نحقق أحلامنا"هذا ما صرنا نردده بثقة مع مؤيد بعد سقوط النظام السابق كالخشخاشة اليابسة، ورغم أن نزعة العداء للثقافة ولحرية الإبداع لاحت سلفاً كاحدى أبرز ملامح الطغم الحاكمة الجديدة التي أخذت تدعي وتمارس شرعية شكلية باسم ملل ونحل وشراذم مستخدمة أدوات قمع فكري وجسدي كنا نعتقد بإنها حكراً على الفاشيات التقليدية.

هل بعد هذا نستطيع تلمس حجم الضربة القاسية التي تلقاها كل واحد منا بفقدان ذلك الإنسان الثري بالأمل بالعراق وبالتواضع الجم أيضا؟ بالنسبة لي لم أجد أمامي سوى الهرب من تصديق خبر رحيل هذا الفنان الشاب (عن عمر يناهز بالكاد الرابعة والخمسين عاما) المولود في بغداد عام 1951 والمتوفى فيها في 2005/11/26 والمعروف في كل بلاده بجرأته الفنية في تناول محرمات فن الكاريكاتير عبر رسومات لم تتقطع أبان العقود الثلاثة الأخيرة والذي كان قد نشر أول رسم له في عمر السادسة عشرة ليشارك بعدها بعامين في تأسيس أول مجلة للأطفال في العراق، وليشرع بعد ذلك بعامين في العمل رساماً كاريكاتوريا في الصحافة اليومية، قبل أن يتخرج من"معهد

IRAQ
العراق

الفنون الجميلة"ببغداد عام 1971، ثم من"اكاديمية الفنون الجميلة"حاصلاً على شهادة البكالوريوس من قسم السيراميك. وهكذا فمنذ بدايته كرسام قبل أربعة عقود، قرر مؤيد أن تكون رسومه محددة وهادفة وأن لا يرسم إلا ما يريده هو متطلعاً في ذات الوقت وعن وعي خفي إلى الاقتراب من عالمية إنسانية تنبذ السذاجة والارتجالية في الكاريكاتير لصالح الفكرة والحلم والأمل وكل ما هو نيّر في الذات الإنسانية العالمية. ومؤكداً أيضاً أن (ما أفكر به هو أن أكون قريباً من أحداث بلدي وهذا هو حال جميع رسامي الكاريكاتير في العالم أجمع محاولاً ترجمة ما أشاهده وأشعر به إلي رسوم أنشرها).

لقد أخطأ أولئك الذين اعتقدوا أن مؤيد نعمة صور الكوميديا السوداء ليضحك منها الناس في بلاده. بينما كان هو يصور آلامهم هم، وتحديداً لأنها آلامهم، بينما كان الفنان الراحل"يغلي من الداخل"كما قال عنه ناقد لامع مرة. فآلامهم تلك ذاتها هي ما كان يحملها في جسده على الأقل منذ عام 1979 عندما اعتقل وتعرض إلى التعذيب وظل يعاني من ضعف السمع نتيجة الضرب المبرح في السجون البعثية.

اللقطة المباشرة هي النافذة المبدئية لرسام الكاريكاتير، لكن اللقطة المباشرة هي عملية معقدة الأبعاد عندما يتعلق الأمر بفنان عميق الألم كمؤيد نعمة. وهو بهذا أقرب إلى مغامرة ناجي العلي: فنان تشكيلي كبير وملتزم ويساري دفعة واحدة، لذا فهو يتخلى تلقائياً عن أي قضية عابرة لصالح قضية واحدة تغدو المحور في العمل الفني، لأنه جعلها محور قضية حياته الواضحة والدقيقة بذاتها. وكما هي فلسطين لدى ناجي العلي فإنها العراق لدى مؤيد نعمة:"ما أفكر به هو أن أكون قريباً من أحداث بلدي لأن معاناة العراق كبيرة وقد أخذت حصة كبيرة من تفكيري"قال مرة، مضيفا" أعمالي بالذات ابتعدت عن حدود اللوحات واتجهت نحو السخرية السوداء. ولأني اعتدت أن أغرف من بحور الثقافة والمواجهات الحقيقية مع الواقع لنقل ما يتعرض له الإنسان المضطهد». لكن فلسطين كانت هي ايضا تعيش مع مؤيد الذي اقتحم عالم الكاريكاتير العراقي في أيام حرب حزيران عام 1967، برسم يمثل الرئيس الأميركي الأسبق جونسون، وهو يرفع بدل شعلة تمثال الحرية الأميريكي الشهير قنبلة"نابالم"من تلك التي كانت إسرائيل قد استخدمتها في الحرب المذكورة ضد العرب. هذا التوجه الواعي الطوعي والثابت لتبني السخرية السوداء منهجاً فنياً هو تحديداً ما يمنح مؤيد نعمة موقع الريادة في فن الكاريكاتير العراقي الذي لم يعرف مبدعاً هكذا من قبل برغم عدد مهم من الفنانين الكبار الذين عرفهم قبله ليس مصطفى ابو طبرة وغازي وبسام فرج إلا أشهرهم. فمؤيد نعمة كان الفنان العراقي الأول الذي جعل ثلاثي الفكرة والمهارة والجرأة اللاتجارية في العمل الفني معياره الوحيد في العمل ودون مساومة تذكر.

ففي العراق، والعالم العربي كله في الواقع، لم ير هذا الفن النور الا بعد الإفلاس المبارك للنظام الشمولي القمعي الناصري ونسخه الشوهاء في العراق وسوريا وليبيا واليمن، برغم أن هذا الفن كان قد سجل ولادته الفعلية كفن أوربي في القرن الثامن عشر (عبر رسوم الانجليزي هوغارت الذي رسم في 1730 أول المشاهد السياسية كاريكاتيرياً معطياً الفن هويته الإبداعية الخاصة، وكذلك عبر أعمال رولاندسن وجيلراي وغريشانك وهيلث، ومع ولادة جريدة"كاريكاتور"في فرنسا كأول صحيفة كاريكاتيرية بمشاركة عدد من كبار رسامي الكاريكاتير آنئذ ومنهم غوستاف دورا ودوميي وشام وغيرهم) قبل أن يبلغ في نهاية القرن العشرين عصره الذهبي الفعلي عالمياً. ورغم أن صاحب مجلة"المؤرخ"العراقية رؤوف عيسى أكد في مقال له نشر في مجلة"النجم"عام 1934 أن ظهور رسوم الكاريكاتير في العراق كان أسبق من ظهورها في مصر وبلاد الشام مشيراً إلى نشر رسوم كاريكاتيرية عديدة في جريدة"جورنال العراق"التي أصدرها الوالي داوود باشا عام 1816 في بغداد كأول جريدة في المنطقة، فاننا نعتقد بأن تطور هذا الفن كان أسرع في مصر ولبنان بفضل تطور الطباعة والنشر فيهما باعتبارهما من لوازم إيصال الرسوم المطبوعة ومنها الكاريكاتير كما نعتقد بوجوب اعتبار مطلع الستينات كتاريخ لظهور أول رسام عراقي يعتمد فن الكاريكاتير حصراً في التعبير عن أفكار أو مطالب اجتماعية أو سياسية أو ثقافية. فلقد كان هناك رسامو أمثال شعبية وطرائف للترفيه مهدوا وحسب لفن الكاريكاتير لدينا الذي استفاد في ولادته من محاكاة فناني كاريكاتير غربيين أكثر من استفادته من الرسامين العرب الذين، باستثناء قلة قليلة، كناجي العلي في فلسطين ويوسف عبدلكي في سوريا، كانوا إجمالاً إما من رسامي الحكايات الشعبية والنوادر الاجتماعية أو من مروجي المواقف الإعلامية والسياسية لهذه الحكومة أو تلك مقابل أجر هو الهدف الحقيقي وليس الفن.

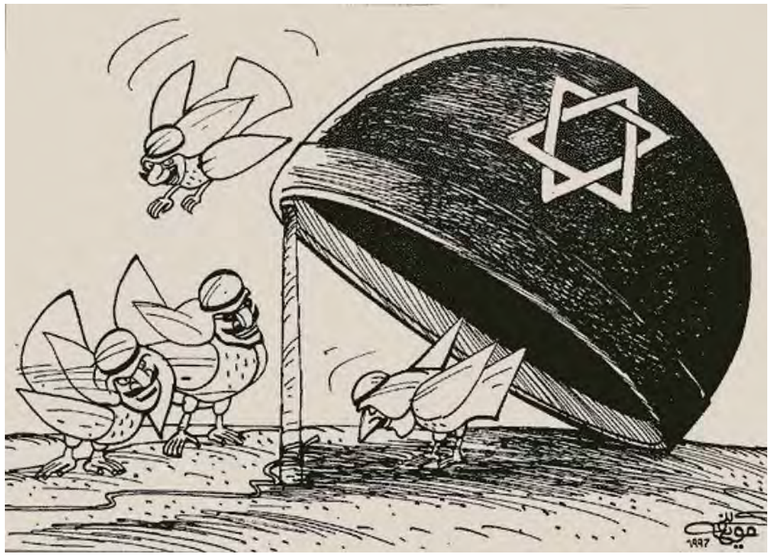

يا لها من أيام مع هذا النجم!

فيصل صاحي

نحيف ، ناعم ، وسيم ، خجول في أول لقاء ومشكلة بعد التعارف والميانات ، لايمكنك أن تفلت من ملاحظاته. ماذا بعد ؟ مبدع بشكل باهر، مجدّد للكاريكاتير العراقي وصاحب لمسة الحداثة فيه .

كان أول ظهوره للناس من خلال مجلة مجلتي وجريدة المزمار المختصتين برسوم الأطفال، ثم دخل معترك الصراع السياسي ، فاختار جريدة (طريق الشعب) كموقع والشيوعية كطريق ، وبدأت معركته ضد التخلف والبيروقراطية والفساد الإداري والمحسوبيات، وأسهم في فضح الرجعيات العربية والأوربية ، ونالت منه أمريكا ما لم تنله من رسام عربي معاصر، باستثناء الفنان الفلسطيني النادر وأبن عين الحلوة ، الراحل ناجي العلي . خطوطه جريئة، حادة ، قوية، معبرة ، أفكاره نابته ، وفي الصميم وبنت الساعة. كانت المرأة العراقية قد أكتسبت في رسومه نكهة أخرى ، بعد ان أدهشنا بها سابقاً ، عبقري الكاركاتير العراقي الرسام غازي، فمثلها وهي في الجامعة أو مكتب العمل أو في البيت كزوجة ، وفي الحقل كعاملة ، سليطة اللسان ومتسلطة، أما الرجل، فقد قدمه مؤيد بكل تعقيداته ومشاكله ، التي لاتنتهي ومن مختلف المراتب والدرجات .

ما أجمل جلساته التي لا ينقطع فيها الهزل والنصبات والتعليقات اللاذعة ، وفي مجلتي مع وجود المبدع الرائع طالب مكي ، بقفشاته التي لايفهمها إلا القليل والفنان البديع صلاح جياد الذي يبدأ النصبة مع أحدهم عادة، حتى تلتهب غرفة الرسامين ضحكاً وترتج جدرانها ولاتستقر حتى يطل رئيس التحرير، متوسلاً بنا التزام الهدوء ، لأن معه ضيوف عمل من الوزارة ، وبعد دقائق ينطلق مؤيد بعبارة طالب مكي الشهير: «هاي شنو ملافتهمنا!» ، مقلداً إياه بدقة، لتعود الضحكات مجدداً. فيؤكدها

طالب مكي بعبارة له شهيرة أيضا : «معلوم العسكرية «، أو « ثمانية وثلث كرمز لشوارب « الرفاق الحلفاء « آنذاك .
لم تكن مجلة مجلتي رغم ما كان النظام يخطط لها من توجهات ، إلا مختبراً للمواهب العراقية المهمة في الرسم العراقي الساخر الحديث، حيث ضمت المبدع اللامع بسام فرج ،الجسر الذي ربط تقاليد الرسم العراقي الساخر، المتمثلة بأعمال الرسام غازي ، و تطلعات الوضع الجمهوري ، حيث كان بسام افضل ممثل لها، بعد الرسام غازي، الذي يمكن اعتباره ابن المرحلة الليبرالية التي دشنها النظام الملكي ، من خلال مشاريع الإعمار، التي اعلن عنها آنذاك ، والتي أجهضت من قبل الأحزاب السياسية التى استلمت مقاليد الأمور في العهد الجمهوري ذي السحنات الحزبية الضيقة ، و العسكرية المتخلفة المقيتة .

كان الفنان طالب مكي ، عموداً من أعمدة الرسم في المجلات العراقية ، خاصة مجلة العاملون بالنفط ، اما الفنان الكبير صلاح جياد ، فقد انطلق من مجلة ألف باء بقوة ، أهلته إمكاياته الفنية، لأن يصبح أهم رسام وأبرز مبدع في هذا المجال ، ومن يتصفح ألف باء السبعينات ، سيجد برهان هذا الكلام.
وكان الفنان القدير وليد شيت، لا يقل موهبة ولا حماسة عن الآخرين ، إضافة الى الفنان الموهوب عصام الجبوري الذي ابدع في رسوم الشخصيات الصغيرة في مجلتي ، والتي أحبها الأطفال العراقيون وتعلقوا بها ، ثم مجموعة رائعة من المبدعين الشباب ، الذي كان مؤيد أبرزهم منذ البداية ، والذي لايمكن عزله عن صديق عمره وزميله في الدراسة والعمل والنصبات كذلك ، الفنان سعدي الموسوي الذي كان يطلق النكات ويحرك المشهد الساخر دون أن يظهر عليه الجرم المشهود ، والزميل جمال العتابي ، داخلاً وهو يهمس قائلاً : – « شلون الوذع ؟» – يقصد الوضع – بابتسامته الماكرة .

آه ما أجمل تلك الأيام. لقد كانت مجلتي عشاً للملائكة الأرضيين، ولكنها لم تكن تخلو من الأبالسة أيضاً.
شق مؤيد والزملاء الآخرين طريقاً جديدا لرسوم المجلات العراقية، لم يكن متكئاً على المدرسة المصرية أو العربية ، إلا إذا إستثنينا الفنان المصري الفذ محي الدين اللبّاد، الذي نرى تأثيراته على رسومات مؤيد الأولى عموماً، فهناك شيء جديد كل الجدة، إنها الهوية العراقية في الرسم ، حتى الساخر منه

، فإحساس الرسام العراقي بقلة الإمكانيات والفرص، جعله يضاعف الجهد ويختصر الوقت ، ليقدم عملاً فنياً متكاملاً منذ البداية، فنحن لا نجد في رسوم معظم من مارس هذا الفن ما يعرف بالهواية أو البداية ، فقد كان ناضجاً من أول رسمة، وبدرجة عالية من الاتقان، أدهش أصحاب الخبرات من الفنانين العرب .

كان مؤيد نعمة أول فنان عراقي يتجه إلى البورتريت الفخاري ، في فن السيراميك عندنا ، وقد أبدع فيه ، ومن أهم أعماله فيه بورتريت الفنانين الراحلين إسماعيل الشيخلي ، كاظم حيدر وفائق حسن ، وبذلك فتح لهذا الفن نافذة لم تكن مطروقة سابقاً عندنا إلا نادراً .

بعد سفري إلى الخارج ، لم يجر بيننا أي إتصال ، لكني قبل أكثر من ثلاث سنوات ، عرفت أنه يقيم في الأردن، وكنت وقتها في برلين بمناسبة إقامة معرض مع الأصدقاء علي المندلاوي ومنصور البكري، فتحدثت معه وجرى بيننا كلام جميل، أحسست وقتها أن مؤيد قد بدا لي أكثر هدوءاً ووقاراً مما كنت أتصوره ، وانتهى حديثنا على أمل اللقاء في مكان ما ، فلم يكن في بالنا أن صدام ستقلعه أمريكا بنفس السهولة التي أتت به ، وليس الحركة الوطنية العراقية العتيدة ، التي كنا نعول عليها ، وكان هذا أيضا بعيد المنال آنذاك .

بعد انهيار نظام صدام حسين الدموي، عاد الفنان مؤيد نعمة من الأردن ، ليعمل مجدداً في جريدة (طريق الشعب) ، ومن ثم جريدة (المدى) ، ليطالع القراء ومحبيه ، بما تجود به القريحة وما اغناها، فكرس ريشته النقدية لفضح كل ما له علاقة بالتخلف والقمع والإرهاب، وليقف وهو واع لمخاطر

مواقفه هذه ، أمام جبروت الذين يريدون إعادة عجلة التاريخ إلى الخلف قروناً عديدة ، ودفع العراقي إلى كهوف الظلام والعبودية والضغينة، وكأن ما جرى لنا لايكفي .

ماذا أقول بعد ؟

انه نجم آخر هوى أمامنا ، لكنه علمنا التحدي وهو النحيل البنية.

علمنا المثابرة والجدية والإصرار، وهو الساخر المتحدي لكل صرامات الواقع المر.

هدني مكتوب الفنان الصديق كفاح الريفي هذا الصباح يخبرني فيه برحيل مؤيد المفاجيء.

لقد غادرنا مؤيد، المبدع والصديق ومناضل من مناضلي تلك الكوكبة من المبدعين الذين لم تضعفهم أقوى الفاشيات في النصف الثاني من القرن العشرين، ولم ينحنوا للطغاة من كل الأصناف، وساروا في طريق يقينهم الذي ارتضوه ، وصمدوا أمام أعتى العواصف والمنعطفات التأريخية الكبرى، التي مرت على العراق والمنطقة، لايملكون غير قناعاتهم وصدق النية والقلب واللسان ونظافة اليد ومحبة شعبنا .

ستبقى حكمة التاريخ التي لامثيل لها برهاناً على ما أقول يامؤيد ياصديقي ومعلمي لأشياء لا تمحى .

2005 /11 /29

أنا ومؤيد نعمة .. وحكايات عن الحياة والكاريكاتير

علي المندلاوي

قتلوا العلي بمسدس كاتم للصوت، وبتهديداتهم المتكررة لمؤيد نعمة قتلوه بجلطة في دماغه!

1- الرجل المبارك

في قاعة عرض على قمة رابية تتلألأ أبنيتها البيضاء تحت الشمس في ضاحية (سيدي بوسعيد) المطلة على صفاء لا متناهي من بحر بلون الفيروز، بتونس العاصمة التقيته.

-اخبرني كيف حال الرجل المبارك «شاكر حسن آ ل سعيد» ؟

قال الشاعر والناقد ومدير المتحف التونسي للفن الحديث «علي اللواتي».

أطربني سماع هذا الوصف عن استاذي في مادة تاريخ الفن عندما كنت طالبا في الفنون الجميلة ببغداد (73-1979) والفنان التشكيلي الذائع الصيت آل سعيد، فاجبته:

-إنه بخير لقد ذرف دمعاً سخياً في وداعي أنا وصديقي النحات الشاب «محمد حسين عبدالله» عندما قدمنا إلى تونس قبل أشهر.

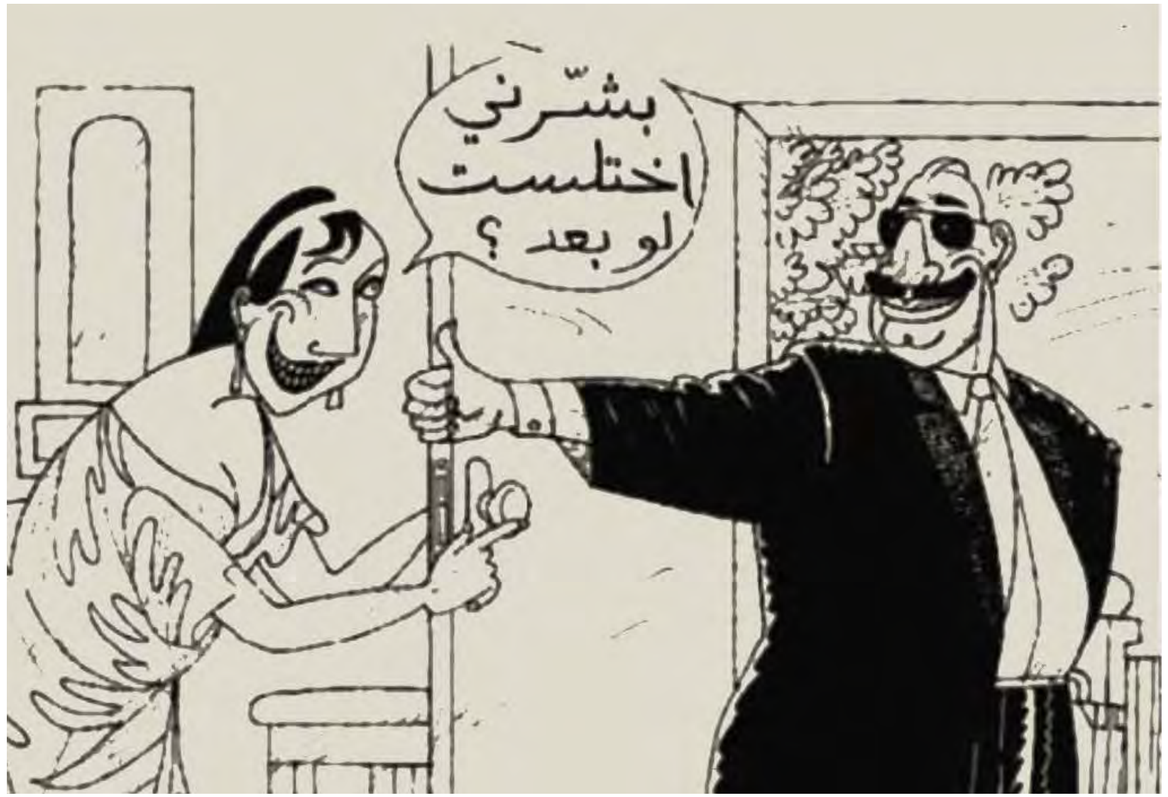

أسهب اللواتي كثيراً في وصف الرجل، وأهميته، و تأثير منجزه البصري، وأوصاني بإبلاغه محبته وسلامه.

لقاء اللواتي أعادني إلى مقاعد الدراسة في المعهد، وإلى أحب الدروس إلى قلبي، درس تاريخ الفن الذي كان على يد آل سعيد، فهي دروس في الحياة والفن قديمه وحديثه وبأكثر الوسائل متعة ودهشة وخروجا عن المألوف، وخروجا عن المادة المقررة في المنهج ودخولاً إليها، مع أنه كان محدداً بمراحل مبكرة من تاريخ الفن في وادي الرافدين في تلك المرحلة من دراستي.

الامتحان مثلاً لم يكن أسئلة مملة ومكررة ينبغي أن نجيب عليها من قراءتنا وحفظنا المنهج المقرر عن ظهر كما جرت العادة، وإنما كان نوعاً من الاستفزاز لاستخراج ما كنا فهمناه، أو استخلصناه من دراستنا للمادة، ومن قراءاتنا المختلفة، وما يمكن أن نستنتج منها، ونضيف!

فكان يفاجئنا في الامتحان (مثلا) بصورتين مختلفتين لكل طالب منا إحداهما لقطعة آثار من إحدى المراحل التاريخية التي سبق أن درسناها ورافقنا إليها في زيارات متعددة إلى أجنحتها في متحف الآثار العراقي، وصورة أخرى لإحدى لوحات الفنانين العراقيين المعاصرين، أو مقطع من نصب الحرية لجواد سليم!

وهكذا كان يقترح علينا في كل درس ما لم يكن يخطر على بالنا، كقراءة لكتاب، أو زيارة لمتحف، أو عرض فيديو لفلم أو سمفونية! كعرضه لشريط الرسوم المتحركة (فنتازيا-1940) لـ «والت دزني»والذي نال عليه جائزة الأوسكار الشرفية حينذاك.

•في الفلم جسد ديزني رؤيته لاجزاء من السمفونيات الكلاسيكية، مثل باليه (كسارة البندق) لـ «تشايكوفسكي» -التوكاتا، والفوجا لـ « باخ»، وغيرها بالرسوم المتحركة بأسلوبه

المعروف .
وكان آل سعيد يحثنا على استعارة الكتب الفنية من مكتبة المعهد، بل ويرافقنا إليها، وعلى كتابة خلاصات من أجزاء فيها، بل وذهب أبعد من ذلك عندما كان يطالبنا بكتابة بحوث في الفن، وعن الفنانين المعاصرين في العراق، وكان عرضه لشريط دزني حافزاً لي لأتشجع، واطلعه على رغبتي في اختيار فن «مؤيد نعمة « الكاريكاتيري مبحثاً لي!
أدهشتني موافقته الفورية ومباركته لي على اختياري، فالكثير من النقاد والفنانين، وخاصة من العراقيين لا يعدون الكاريكاتير فناً تشكيلياً يعتد به!

2 - مؤيد ومجلتي

عندما صدرت (مجلتي)في عام 1969 كنت في الصف السادس الابتدائي، وكنت شغوفاً حد الوله بقراءتها .
كانت مجلة (كومكس) بامتياز، وكانت رسوم «طالب مكي» المسلسلة المصورة (كومكس) لأبطال الأساطير العراقية مثل (جلجامش) في (بطل اوروك) ولقصة (آلة الزمن) التي تنتمي إلى العصر الحديث، وغيرها تستوقفني وتدهشني، وكذلك رسوم « فيصل لعيبي» وشخصيته البطلة (نبهان الحارس)، و» صلاح جياد» في مسلسل الفدائي الفلسطيني(ربحي) و» عصام الجبوري» ولاحقا «بسام فرج» في مسلسل(جحا) هؤلاء، و «أديب مكي» ، و» وليد شيت» و»ماهود وفالنتينا أحمد» وآخرين لا يحضرني اسماءهم الان كانوا الرعيل الاول- المؤسس من الرسامين الأفذاذ الذين سحرتني رسومهم باساليب رسمها وتقنياتها المتنوعة في المجلة.
ومن بين هذه القامات الشامخة ظهر «مؤيد نعمة»كبرعم في شجرة الفاصولياء السحرية التي بلغت عنان السماء في الحكاية الشهيرة.
عن التحاقه بمجلتي ذكر في لقاء أجريته معه لصحيفة (الشرق الاوسط):»

- بدأت هذه التجربة مع الإعلان عن تأسيس مجلة خاصة بالطفل في بغداد عام 1969.
وكان الفنان الكبير طالب مكي هو المدير الفني المشرف على تدريب الرسامين على هذا النوع الجديد من الرسم، وعلى يديه تلقيت تدريباً رائعاً، فرغم أنه لم يسبق له العمل في هذا المضمار، إلا أن موهبته الخارقة أعطته قابلية عجيبة في استيعاب تقنيات هذا التخصص.
تأثرت بطالب واستوعبت دروسه المدهشة، وأصبحت في وقت قصير أحد الرسامين المعتمدين في المجلة. ومن أشهر الشخصيات التي ابتدعتها واستمرت بطولاتها على صفحات المجلة لسنين طويلة شخصية «جدو من العصر الحجري « وعبقري ومساعده سليم» و«جحا» و«أشعب».
كان ظهور مؤيد مؤشراً واضحاً لولادة رعيل جديد من الفنانين المحترفين الكبار، رغم أعمارهم الغضة آنذاك، ك» عبد الرحيم ياسر»، و» ضياء الحجار» و» عبد الحسين محمود» و» نبيل يعقوب»، و» منصور البكري».
وكان إعلانا ببدء مرحلة أسلوبية مختلفة، وإن كانت رسوم الحجار لشخصية (شيبوب) الشهيرة في المسلسل المصور الشيق الذي كتبه «عبدالاله الجلبي» تقليدية تذكر بأسلوب وتقنيات رسم شخصية المسلسل الفرنسي (استريكس)، ورسامه القدير « البير اودرزو» . لسبب لم أدركه انجذبت الى دقة وسلاسة الخطوط الهندسية المنمقة في رسوم مؤيد.
كان يرسم وكأن علبة أدوات هندسية تتحرك بذكاء وروعة مع أصابعه، وشيء ما في شخصيته تبث فيها الروح، بالاضافة الى صفاء ألوانه وبريقها، فلم يكن يميل إلى مزجها كثيرا، لتظهر زاهية صريحة كما هي في علبة الألوان!
صرت ألاحق مؤيد في كل ما يرسمه في مجلتي، و في صفحة كان يرسمها للأطفال أسبوعياً لجريدة (طريق الشعب) بلون واحد أو لونيني فقط، وكذلك رسومه الكاريكاتيرية في

الملحق الأسبوعي للجريدة: (الفكر الجديد).
وقتها كان مؤيد قد اجتاز المرحلة الإعدادية، وأصبح طالباً في أكاديمية الفنون الجميلة، وهناك إلتقيته لأول مرة لأعرض عليه فكرة البحث الذي طلبه استاذي آل سعيد .
تكررت اللقآت بيننا في الأكاديمية لإكمال البحث، غير أني لا أذكر أي لقاء بيننا في تلك الآونة في مرسم (مجلتي والمزمار) رغم ترددي عليه.
وبعد مضي عامين (1975) كنت وباقة جديدة من زملائي من طلبة المعهد : « عمار داود»، « هناء مال الله»، « وليد عبدالله» نضع طاولاتنا بجانب طاولات صلاح چياد، وعبد الحسين محمود، ومنصور البكري، وأديب مكي وغيرهم، وتغطي رسومنا صفحات المجلتين (مجلتي والمزمار) إلى جانب رسومهم ، ومن الغلاف إلى الغلاف، بالإضافة الى مشاركاتنا المتميزة في المهرجانات والمعارض، وأشرافنا على المراسم المفتوحة للاطفال التي كانت تقيمها الدار.
وأذكر معرضاً للكاريكاتير اشتركنا في إقامته على قاعة الأكاديمية في هذه الفترة.
إستهوى الخزف على إهتمام مؤيد أثناء دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة -بغداد، واختص فيه وأنجز مجموعة مثيرة من الأعمال الفنية بتقنية النحت الفخاري لوجوه أساتذته: « فايق حسن»، «فانتينوس»، «سعد شاكر» تعد الأولى من نوعها في العراق، وربما في العالم العربي، وقام بتزجيج بعضها، واشتهرت صورة له مع الشاعر « نزار قباني» وهو يقوم بانجاز بورتريه له بنفس التقنية.
وأذكر جيداً زيارتي للمعرض السنوي الخاص بالطلبة الخريجين ووقوفي مندهشاً، وكذلك كل زوار المعرض أمام أعمال مؤيد .

بعد تخرجه من الأديمية عام (1971) جرى تعيينه مدرساً في (معهد الحرف والفنون الشعبية)في بغداد، وبطبيعة الحال كان يواصل الرسم لمجلة مجلتي و المزمار، وكتب (دار ثقافة الاطفال) وفق نظام (القطعة) وليس ككادر ثابت متفرغ للعمل في مطبوعات الدار.
وكذلك الحال مع الفنان «طالب مكي» الذي كان قد انتقل بحكم الوظيفة إلى (المتحف الوطني للفن الحديث) فكانت الخسارة مضاعفة لنا كأجيال جديدة من رسامي الدار لإهدار فرصة العمل معهما في مشغل واحد، لزيادة الخبرة وتعزيز الثقة بالنفس. فمراسم الدار كانت ورشة تدريب مفتوحة ودائمة للرسامين الشباب الموهوبين الشغوفين بالرسم لمطبوعاته، وبطبيعة الحال كانت الخسارة مزدوجة، فالدار هي الأخرى افتقدت وجود هذين العملاقين لسنين عديدة لتعزيز انتاجها الإبداعي من عملهما في المجلتين والكتب نوعاً وكماً.

3 – مغامرة فاشلة

وهنا ينبغي الإشارة إلى مشروع إصدار مجلة للطفل الكردي دعت إلى إصدارها (دائرة النشر والثقافة الكردية) مطلع الثمانينات من القرن الماضي في بغداد، فكلفت بمهمة إعداد التصميم، واختيار فريق العمل من الرسامين.
اسعدني استجابة مؤيد الفورية لدعوتي، وهكذا شكلنا فريق العمل، و كثرت لقاءآتنا خاصة وأن النصوص كانت باللغة الكردية فتوجب زيارات متكررة للرسامين للقاء الكتاب والمترجمين إلى العربية وتوضيح كل التفاصيل المتعلقة بالنصوص.
التقط مؤيد من خلال قراءة النصوص ورسمها وعبر لقاءآتنا المتكررة معاني بعض الكلمات الكردية، فصارت مصدرا للمداعبات بيننا.
وفي إحدى إجازاته (كان قد استدعي وقتها لخدمة العلم، وتم نقله إلى الصفوف المتقدمة في جبهة الحرب مع إيران، وذلك لانتمائه السياسي المعارض للحزب الحاكم) حكى لي طرفة ابتدعها، فحين كان القصف الصاروخي كثيفاً على فصيله أخرج رأسه من مخبأه وصاح بالكردية: آوا چيه- ماهذا!!!
فصاح به العريف وكان كرديا بالصدفة : آوا قزلقرته.. نزل راسك!!
كان مؤيد مقلا في الكلام لكنه كان لماحاً في ابتداع النكتة وتطرية الحديث.
آل مشروع المجلة الكردية بعد عمل دؤوب لعدة أشهر بالفشل بسبب تردد المدير العام لدار الثقافة الكردية، أو ضعفه، أو صدور أوامر من وزارة الثقافة التي كانت مديريته تتبعها بايقاف العمل لإصدارها!
ومع الأسف لم يتم تعويضنا، وكان موقفي أمام زملائي وخصوصا مؤيد محرجاً، ومع نفسي مؤلماً لاجهاض حلم إصدار مجلة أطفال متقدمة للأطفال الكورد المتعطشين للثقافة في عصر تتسارع فيه خطى الحضارة والتكنولوجيا.

4 – حرب

اشتركنا خلال هذه الفترة في عدد من المعارض للكاريكاتير داخل العراق وخارجه، وأحرز مؤيد نتائج متقدمة في مسابقة (غابروفو) البلغاري العالمي الشهير.
وحدث ان أوكل المدير العام للدار رئاسة القسم الفني إليّ رغم معارضتي الشديدة، وكبداية لمشواري (الإداري) قمت بدعوة كادر القسم من رسامين ورسامات ومصممات إلى اجتماع اخترت مكاناً لعقده خارج عن المألوف!

اخترت السلالم التي كانت تؤدي إلى سقف المبنى وكانت مغطاة بالموكيت مكانا لعقد الاجتماع لأوحي لهم بأننا مبدعين ينبغي علينا أن نفكر بطريقة مختلفة عن المعتاد، وكانت السلالم وما تزال اختزالاً لفكرتي للايحاء بالترقي والابداع والتحرر!
كان القسم الفني يشغل الطابق الثالث والأخير من المبنى، وبينما كنا ننتظر (استكانات الشاي) لنحتسي شاي الصباح، ونفتح باب النقاش أطل مؤيد برأس تغطيه (بيريه) عسكرية، إذ كان قادماً من وحدته العسكرية إلى الدار مباشرة!
وعندما رآنا جالسين على السلالم المؤدي إلى السطح استغرب الأمر.
صاح : آوا چيا؟
فاجبته: مؤيد.. يا الله .. حمدا لله على سلامتك!
عانقته، واستدركت موجها كلامي لزميلاتي وزملائي: إذا حضر الماء بطل التيمم .. سيدير الأستاذ مؤيد الاجتماع!

5 – المنشار

في عام (1969) وفور استلام حزب البعث السلطة تم ايقاف كل المجلات والصحف والمطبوعات الخاصة، ومنها مجلة (المتفرج) آخر مجلة هزلية تنشر الرسوم الكاريكاتيرية، والتي نشرت أول رسم كاريكاتيري لمؤيد.
وهكذا صارت مجلة الدولة الرسمية(الف باء) المنفذ الوحيد لرسامي الكاريكاتير لنشر رسومهم فلمع فيها اسم الفنان « بسام فرج»، « خضير الحميري»، « مؤيد نعمة»، « رائد نوري»، و» عباس فاضل» وفي عام 1983 خضت في (ألف باء) تجربة رسم البورتريه الكاريكاتيري بلوحة «بدر شاكر السياب» التي لاقت ترحيبا لم أتوقعه، لأعود إليها بصفحة

أسبوعية استمرت لعامين تقريباً نالت صدى طيباً لدى طيف واسع من قراء المجلة.
كان العراق وإيران وقتها في آتون حرب طاحنة، وكنا جميعا جنوداً نتوزع في المعسكرات في طول البلاد وعرضها خاصة على طول الحدود الملتهبة بين البلدين.
كان مؤيد يتنقل بين المعسكرات تلاحقه لعنة ملفه السياسي، وتسبقه في عين الوقت شهرته كرسام في مجلتي والمزمار، وكرسام كاريكاتير، فكان يحصل على التعاطف، وربما المعاملة الخاصة بعض الأحيان، كما حصل معي أيضا! كنت وقتها حديث العهد بالجيش عندما استدعيت إلى (دائرة التوجيه المعنوي) لأكون ضمن فريق من الصحفيين لإعادة النظر بمجلة الجيش العراقي(حراس الوطن)! ومن بين أهم المتغيرات المهمة التي اقترحتها في ماكيت المجلة الجديد إعدادي لصفحتين باسم (المنشار) يتصدرهما عمود افتتاحي نقدي ساخر بقلمي، تلقيت على بعض مما كنت أكتبه فيه بعد صدور المجلة تهديداً مباشراً لم أعره انتباها مفاده:»إنتبه..منشارك حاد قد ينقلب عليك!»
احتل ثلثا الصفحتين رسوم كاريكاتيرية لمؤيد، وعبد الرحيم ياسر، وخضير الحميري، وبربن. المساحة المتبقية كانت لمختارات من الكاريكاتير العالمي كان يعدها الفنان « وليد نايف».
استمرت هاتان الصفحتان اللتان كانتا عبارة عن مجلة مصغرة للكاريكاتير والنقد والسخرية تسللت من داخل مجلة المؤسسة العسكرية العراقية مخترقة الحظر المعلن على الصحافة الحرة الساخرة!
غير أن مطرقة الحظر نزلت على مجلة (حراس الوطن) أخيراً، وذكرت مصادر نقلاً عن وزير ثقافة النظام آنذاك بأنها مجلة معارضة وليست مجلة الجيش العراقي!
في عام 1990 أتاح لنا اتحاد الصحفيين العرب (مؤيد الذي كان يرأس تجمعاً للكاريكاتيريين العراقيين باسم (لجنة الكاريكاتير) وأنا، وعبد الرحيم ياسر، وضياء الحجار، ووليد نايف) فرصة نادرة للسفر إلى القاهرة للمشاركة في مهرجان نظمه للكاريكاتير العربي الافريقي.
توّج المهرجان بمسابقة كان مؤيد عضواً في لجنة تحكيمها تم فيها منحي والفنان عبد الرحيم ياسر الجائزة الأولى مناصفة، وكانت تلك أطول فترة جمعتني بمؤيد وبقية الزملاء الفنانين، وكانت فرصة فريدة للقاء كبار رسامي الكاريكاتير في مصر الذين بالغوا في الاحتفاء بنا وبكرم ضيافتهم.

6 - مشاريع العودة

بعد التغيير الدراماتيكي لنظام صدام، والاحتلال الأميركي للعراق (2003) قدمت استقالتي من جريدة (الشرق الاوسط) وعدت عبر عمان الى بغداد.
التقيته في عمان ..كنا سعداء بتغيير النظام وكان يحدونا الكثير من الامل ببداية مشرقة جديدة لبلدنا.
اطلعت مؤيد على مشاريع عديدة كنت أعد لها كتأسيس شركة نشر وتصميم وطباعة، وقاعة عرض ووكالة للرسوم التوضيحية والكاريكاتير ورسوم مطبوعات الأطفال، وتصميم حدائق وجزيرة خاصة للطفل في بغداد، وغيرها.
بدوره حدثني عن حياته وأعماله في عمان والصعوبات التي يواجهها في حياته فيها، ورغبته في العودة الى بغداد .
وكان لقاءنا فرصة للاحتفال فقصدنا ضاحية (الفحيص)حيث كان يقيم مع صديقنا الفنان»أديب مكي»وهناك قضينا أمسية ممتعة.
في بغداد وفي حفل اعلان بهيج لشركة (ميديا) حضره مؤيد وحشد من الفنانين والاعلاميين، وخلالها تم افتتاح معرض كاريكاتير ورسوم توضيحية ورسوم متحركة أنجزها عدد من الفنانين الشباب.

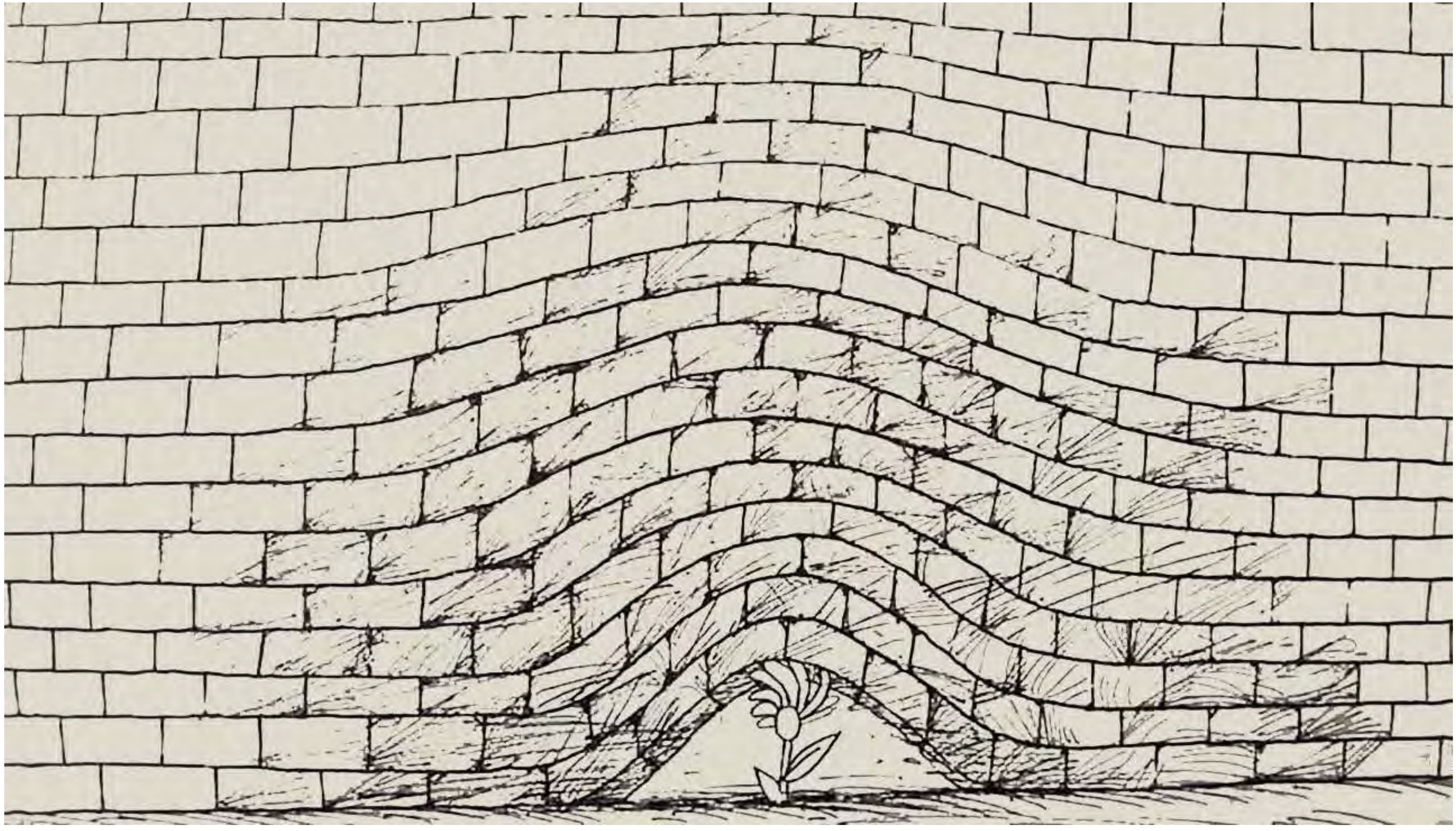

وقبل وفاته المفاجئ(جدا) لأنه و(على حد علمي لم يكن يشكو من مرض، حتى أنه كان يبدو على الدوام نضراً، وأصغر من سنه بكثير) رتبت معرضاً شاركنا فيه نحن الثلاثة (مؤيد ، وعبد الرحيم ياسر، وانا)افتتح على قاعة (زاموا) في السليمانية .

وكنا نلتقي ونتداول مشاريع معارض ومشاركات اخرى، ونتداول ايضا التهديدات التي كانت تصله للكف عن نشر رسومه الكاريكاتيرية النارية في جريدة (المدى).

وبيني وبينه حدثته عن رجاء عدد من محبيه والمعجبين بفنه الذين كانوا يتصلون بي، بأن يخفف من لهجته، ولكنه أبى بشدة، واعتبرها معركته مع أعداء الوطن.

كان مؤيد وعائلته يسكنون المنطقة الحمراء من بغداد(فبغداد وكل العراق الذي كان خارج الكيلومترات المعدودة للمنطقة الخضراء التي كانت تدار منها الدولة العراقية) كانت جهنم حمراء مباحة للديناصورات المبرمجة على قتل العراقيين.

لم يكن مؤيد يختلف عن رسام الكاريكاتيرالفلسطيني الشهيد «ناجي العلي» في ضراوة حربه، وقساوة ريشته القاطعة على اعداء وطنه من المحتلين والفاسدين الطفيليين والمتواطئين مع الاحتلال.

صادروا ريشة العلي في إحدى شوارع لندن بمسدس كاتم للصوت، وربما كان قتلة مؤيد أكثر دراية وذكاء ليدفعوه بتهديداتهم المتكررة بتصفيته إلى جلطة في دماغه المتفرد، فيموت واقفاً كالعلي، وهو يهزأ بقتلته ويشهر بهم بدون أن ترتجف أصابعه وتخطأ الهدف بخطوط حادة قاطعة لا لين فيها ولا لف او دوران!

٧

مسابقة وختام

رحل مؤيد نعمة.. لم يرحل، فرسومه للأطفال ما تزال وستبقى مضيئة في ذاكرة اجيال من الراشدين، ورسومه ومنحوتاته الفخارية الكاريكاتيرية لها مفعول السحر في كل وقت وأوان.

واعترافاً واعتزازاً بدور مؤيد عملت على تأسيس مسابقة دولية للكومكس باسمه ، وقمت بإعلان الفكرة في صفحتي على الفيسبوك ولقاء رئيس جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين لهذا الغرض وطلب دعمه.

وعد رئيس الجمعية بدعم المشروع بمبلغ وجدته جيداً إذا أضيف إليه مبلغ آخر وعد الفنان» حسين علي حربة» بتقديمه.

إضافة إلى وعود أخرى بالدعم تلقيتها، كما وجدت استعدادا من فنانين شباب للتطوع للعمل على تنظيم المسابقة وإنجاحها .

غير أن تراجع رئيس الجمعية عن تقديم الجزء الأكبر من المبلغ الذي وعد بتقديمه أحبط مخططي، فتراجعت عن المضي في إنجاز المسابقة.

وقبل عام أو عامين تم الإعلان عن مسابقة باسم مؤيد بنجاح، وكان هذا مصدر فرح لي، ويبقى أن تتضافر الجهود لجمع كل أعمال مؤيد، وأدواته، وأرشيفه، في متحف يكون شاهداً على عبقريته، ومركزاً يقصده محبي ودارسي منجزه الابداعي.

من الراشدين، ورسومه ومنحوتاته الفخارية الكاريكاتيرية لها مفعول السحر في كل وقت وأوان.

واعترافاً واعتزازاً بدور مؤيد عملت على تأسيس مسابقة دولية للكومكس باسمه ، وقمت بإعلان الفكرة في صفحتي على الفيسبوك ولقاء رئيس جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين لهذا الغرض وطلب دعمه.

وعد رئيس الجمعية بدعم المشروع بمبلغ وجدته جيداً إذا أضيف إليه مبلغ آخر وعد الفنان» حسين علي حربة» بتقديمه.

إضافة إلى وعود أخرى بالدعم تلقيتها، كما وجدت استعدادا من فنانين شباب للتطوع للعمل على تنظيم المسابقة وإنجاحها .

غير أن تراجع رئيس الجمعية عن تقديم الجزء الأكبر من المبلغ الذي وعد بتقديمه أحبط مخططي، فتراجعت عن المضي في إنجاز المسابقة.

وقبل عام أو عامين تم الإعلان عن مسابقة باسم مؤيد بنجاح، وكان هذا مصدر فرح لي، ويبقى أن تتضافر الجهود لجمع كل أعمال مؤيد، وأدواته، وأرشيفه، في متحف يكون شاهداً على عبقريته، ومركزاً يقصده محبي ودارسي منجزه الابداعي.

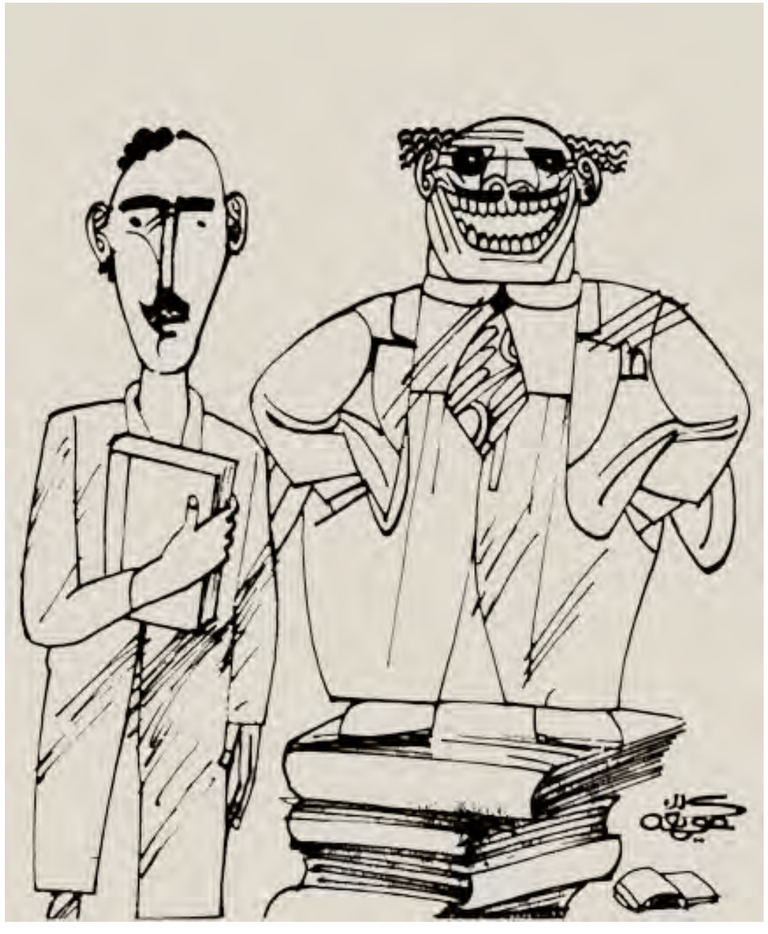

US

مؤيد نعمة:
الدائب على التلويح بخفّة وبأسى

سعد القصاب

في الطابق الثالث من مبنى مركز الفنون في بغداد، قبل العام ٢٠٠٣، والذي كان فضاءا مخصصا لعرض متحفيّ دائم لتجارب فنانين عراقيين ينتمون لأجيال فنية مختلفة، يشخص عمل فني وحيد للفنان مؤيد نعمة» ١٩٥١-٢٠٠٥». كان العمل بورتريه « نحت فخاري» للفنان العراقي الرائد فائق حسن، مشغول بتشخصية كاريكاتورية قائمة على حساسية المبالغة في تمثيل ملامح وجه الفنان الرائد.

تبدو استثنائية هذا العمل الفني مضاعفة، مرة، لكونها مفارقة تماما ومختلفة بشدة عن الاتجاهات التجريبية وتمثّلاتها في المشهد التشكيلي المتنوع والمعروض في صالة العرض تلك لجهة الأساليب وموضوعاتها، ومرة ثانية، بكونها اللحظة الوحيدة، وربما كانت الأخيرة، التي حضر بها الفنان مشاركا في عرض فني مع رهط من التشكيليين العراقيين. كان عمله ذاك بمثابة لحظة مرح تشاكس على نحو هانئ بداهة مشهد فني تحكمه الزامات الجدّة الجمالية وتمايز الاختلاف الحداثي والاسلوبي الذي طالما توافق عليه المحترف التشكيلي العراقي. الا أن مؤيد نعمة كان حاضرا في مشهد مغاير، ليس قريب الصلة تماما، بل عبر ما ينشره من رسوم كاريكاتيرية في المجلات والدوريات المطبوعة داخل العراق، ولزمن قارب الأربعة عقود، ومنذ سبعينيات القرن المنصرم.

أقول: مؤيد نعمة رسام كاريكاتير بامتياز حتى ما قبل تخرجه في قسم السيراميك في أكاديمية الفنون الجميلة - بغداد، ١٩٧٥،» له، أيضا، مسعى رياديا في رسوم الأطفال». رسومه في هذا النوع من الرسم كانت خاصة تماما، استثنائية على نحو لا يمكن الا الانتباهة اليها، ليس لكونها متورطة في ايماءات السخرية من موضوعها، ولكنها جاءت مفعمة بمزاج شخصي تهكمي، ما يمنح تلك الرسوم اثرا لافتا على أحداث اليقظة والانتباهة لمغزى موضوعاتها. لست، هنا، بصدد تقدير تجربته في هذا النوع من الفن، الكاريكاتير، لكن لا يمكن أغفال التعاطي معها كأطار يحكم تجربتان هما موضوع تعيين وتناول في هذه المقالة. الأولى تنفيذه لعدد من المنحوتات الفخارية لوجوه من الشخصيات المرموقة في الابداع رسم العراقي، والثانية لدفتر رسم فريد جاء بعنوان « من ثقب الباب».

ستة وجوه، ثلاثة من الشعراء العراقيين المبجلين « بدر شاكر السياب، سعدي يوسف، يوسف الصائغ» ولثلاثة فنانين على شاكلتهم « محمد غني حكمت، ضياء العزاوي، رافع الناصري». اعمال تم نفيذها وفق معالجات النحت الفخاري، تقترب للصياغة الأكاديمية في تشبيهيتها لوجوه الشخصيات وملامحهم، لكنها، أيضا، تفصح عن قدر من الخفة بدافعية الأثر التحويري والمبالغة في اظهار

أجزاء من ملامحهم. تجربة يبدو انها تنطوي على بعد تعبيري محيّر، فهي لا تنتسب تماما لنوع فني بعينه، هي داخل فضاء النحت وخارجه، الكاريكاتير وخارجه، الفخار وخارجه، أو ربما هي توصّل أسلوبي لجميع هذه الأنواع معا.

لا شك أن مؤيد يستدعي هذه التجربة عبر خبرته الداخلية الخاصة، وهو بذلك يضفي عليها هذا القدر من الترحال، وعدم الانتماء الا الى رؤيته. أو هي بالأحرى نوع من حيازة الفنان لرؤية تعنيه وحده، وبشكل فريد، وهو ما يمنح هذه التجربة استثنائيتها اللافتة.

وجوه شاخصة تدل على تمثيل دقيق لملامح شخصياتها الستة، ثمة بعض من مبالغة مستترة تخص تفاصيل هذه الملامح، محاولة منه في أن تبقى هذه التجربة مخلصة لفن الكاريكاتير، فن المبالغة كما يوصف أحيانا، في ان يبقيها على قدر من الخفة الباعثة على المرح، لا أن تمارس ثقل الكتلة النحتية وصلابتها، أنه يتخيليها وجوه كاريكاتيرية تخلّت في أن تكون اشكال مرسومة على الورق من أجل أن تحضر بمعالجات الطين المفخور. أن تحلق هاربة من هشاشة الورقة وتسكن الى ميوعة الطين.

ثمة ريادية تحسب للفنان مؤيد نعمة في هكذا نوع من الممارسة الفنية، فمنذ بعض بورتريهات جواد سليم النحتية المنفذة في خمسينيات القرن المنصرم، مرورا بالنحات إسماعيل فتاح الترك وآخرون من مجايليه من النحاتين، وحتى تجارب لنحاتين عراقيين معاصرين، لم يغادر هذا الفن بداهة نوعه الفني، بل وتقاليده الرصينة القائمة على تشبيه الشخصية وتمثيلها بمهارة مرة، ومرة أخرى حين يتم تناوله عبر تمرّس أسلوبي يضفي عليه حسا تعبيريا ذو نزوع تعبيري يتمثل موضوعة ما.

هكذا ظل البورتريه النحتي في المحترف الفني العراقي يتردد دائما بين درسه الأكاديمي وتاريخية ممارسته حينا، أو متحررا تماما بدواعي بعده التجريبي وحداثته حينا اخر.

أستطاع مؤيد أن يمارس قطيعة مع هذا الإرث، واجتراح ريادة فنية متجددة ومنفتحة على اختلافها، عبر استئنافه لمعنى ينتظم حول

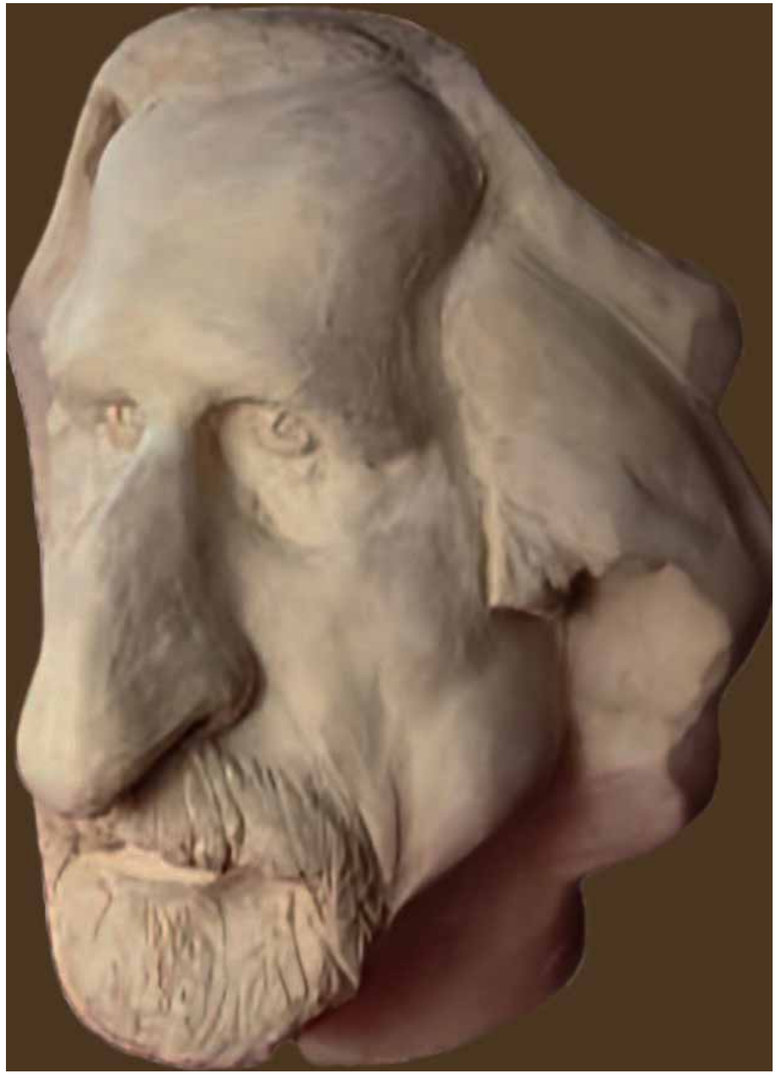

ان ما هو جديد هو كذلك ممارسة متأصلة. لم يكرّس الفنان نهجه الاسلوبي هذا، الا وفق نماذج لشخصيات ثقافية وفنية كأعمال منتقاة، ذلك ما يجعل هذه التجربة تنطوي على غرابة لا تخلو من تساؤل: لماذا لم يمض معها الى الابعد وحتى تخومها؟ على الرغم من أن هذه النماذج النحتية ستبقى شاخصة تستدعي أمثولتها بفعل هذا الاستثناء. ربما النظر بدواعي الهواية والاحتراف مقاربة تفصح عن جدلية هذا السؤال.

يصف الفنان مؤيد نعمة فن الكاريكاتير، في حوار أخير قبل رحيله «٢٠٠٤. صحيفة المدى»، في كونه « فن التعاطي مع المشاعر، فن التلويح بالمعاني المكبوتة». التلويح بالمعنى وبطريقة عاطفية تتستر بالتّهكم هو بمثابة مهمة اساسية حاضرة بقوة في رسوم مؤيد

الكاريكاتيرية، الذي يكاد أن يكون خطابه الشخصي الناقد للشأن السياسي والاجتماعي في العراق. اذ لم يكن هذا الفنان بمعزل عن معاينة جلّ التحولات الحادة التي رضخ اليها بلده وعاش وطأتها الثقيلة ولما يقارب الثلاثة عقود، كان قريبا تماما منها بل وفي صلبها. يلامس بحنو تداعيات هذه القسوة على الصعيد المجتمعي والإنساني فيما هو يومي ومعيشي وحياتي، لذا حملت رسومه الكاريكاتيرية هذا الكم من الهموم. ولم تكن تلك الرسوم باعثة على السخرية، ممازحة، مرحة، تنطوي على لفتة المفارقة العابرة للحدث، هي أبعد من ذلك، لقد كانت تهكمية ولاذعة وساخطة ومهمومة أيضا. جاهد مؤيد بخياله كي يقدم الفكرة الناقدة في صورة رسم كاريكاتيري. فكرة أنيقة لكنها حادة، كاشفة، ومضيئة، وباعثة على النظر الى معناها لمدة طويلة. لم تكن أفكار أعماله المرسومة ذو طبيعة هشة، ومباشرة، استهلاكية، في طرح موضوعتها، كونها تنطوي على القابلية في تعرية الحدث الكامن فيها وكشفه. لقد كانت بمثابة موقف.

دفتر الرسم الوحيد الذي انجزه في بداية العام «٢٠٠٣»، اثناء حمى افتعال الصراخ والضجيج الفج لتبرير فعل احتلال العراق، والذي جاء تحت تسمية «من ثقب الباب»، هذا المنجز يكاد أن يكون مقاربة تكشف رؤية مؤيد نعمة تجاه مهمة فن الكاريكاتير، بأن تكون مهمة مناكدة في أحد أوجهها.

ان الثيمة الأساسية لدفتر» من ثقب الباب» هي صورة معلنة وفاضحة لهذه المناكدة. والا كيف يمكن للمراقَب ان يكون مراقبا؟ أن يتلصص من ثقب الباب على هول ما يحدث؟ أن يستنكره، يفضحه؟ مثل هذه المهمة ليست لحظة كاريكاتيرية ساخرة قائمة على المفارقة، هي لحظة أسى تفترض اللوم والادانة. صورها المتعددة: المنفى، الحرب، الاستلاب، الانتقام، الخوف، اليأس، الحصار، وربما أخيرا زهرة صغيرة تنمو في ظل جدار السجن، تلويحة لأمل.

موضوعة الدفتر هذا، سياسية تتواشج بما هو وجودي وأنساني. لحظات تعبير حزينة تتمثل الألم في توصيفها، تعري جرحه، عبر أوضاع انسان وحيد، في حيز يشي تارة بالغياب والذهاب الى مجهول ما، أو البقاء منتظرا في وحشة مكان مغلق. سطوة الشجن التي تكتنف أوراق الدفتر هي ذاتها تلك الدافعية الخبيئة في رسومه المشغولة دائما بما هو حياتي، ويومي، وأنساني. والتي كانت مستترة بالتهكّم خشية من الرقيب الذي يمارس الفنان، الان، عليه فعل المراقبة.

مؤيد في دفتره هذا، يبدو أكثر حرية وبلاغة في تكثيف غضبه ورفضه، لذا جاءت رسومه على قدر من الاختزال والتبسيط في صياغته الفنية، وموضوعته التي جاءت على شكل حدث يوثق واقعا انسانيا مأسورا بالاستبداد والمحاصر بصلفه وطغيانه.

أشكال مؤيد المرسومة، المعزولة غالبا في فضاء موحش وعنفي، شاءت أن تكون هي الحدث أو الواقعة نفسيهما. لم تكن أشكال تراقب، بل اشكال تفصح عن فعلها التعبيري عبر أو ضاعاها ملامحها، حركتها، والتي ارتأى مؤيد أن تفترض صياغة فنية، شديدة الكثافة، مختزلة، وهو فعل كان يسعى أن يتمثل موقفه كاثر درامي، سواء في بعده السياسي أو الإنساني.

سيناريو الحزن هذا، كان يتداعى عبر أورق الدفتر وكأنه قراءة لتاريخ وزمن بعينه. هو، أيضا، وثيقة تصويرية عن ذلك التاريخ الماضي وعن ذلك الزمن المنقضي.

مخطوطة من ثقب الباب. 2003

٢٤ صفحة ، حبر والوان مائية على الورق

مع غلاف كارتون باللون الاسود. 47 x 47 x 1.5 سم.

مجموعة تالة العزاوي، بورنموث

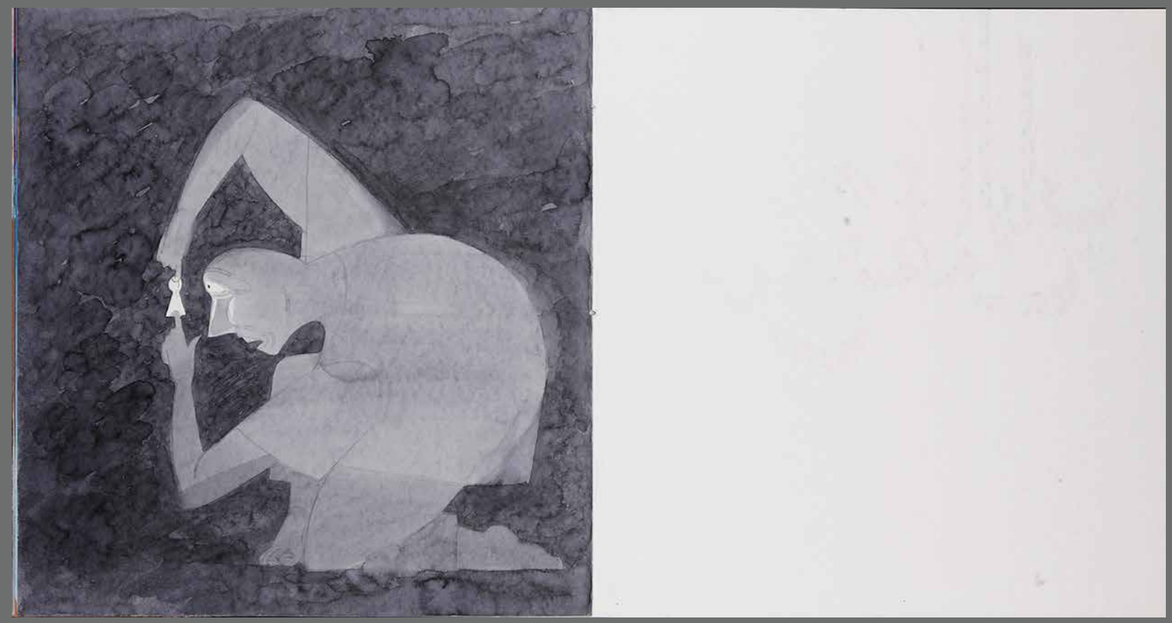

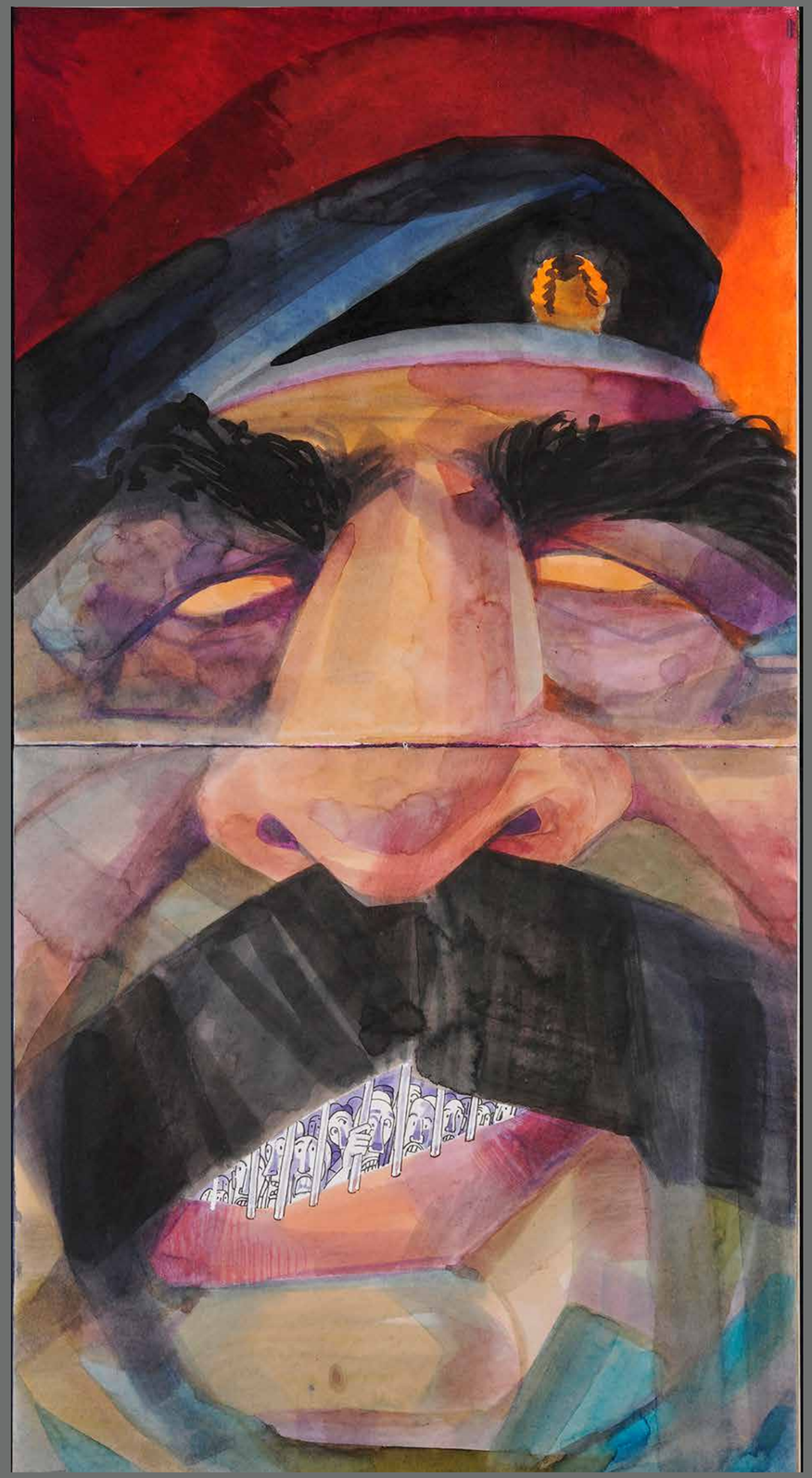

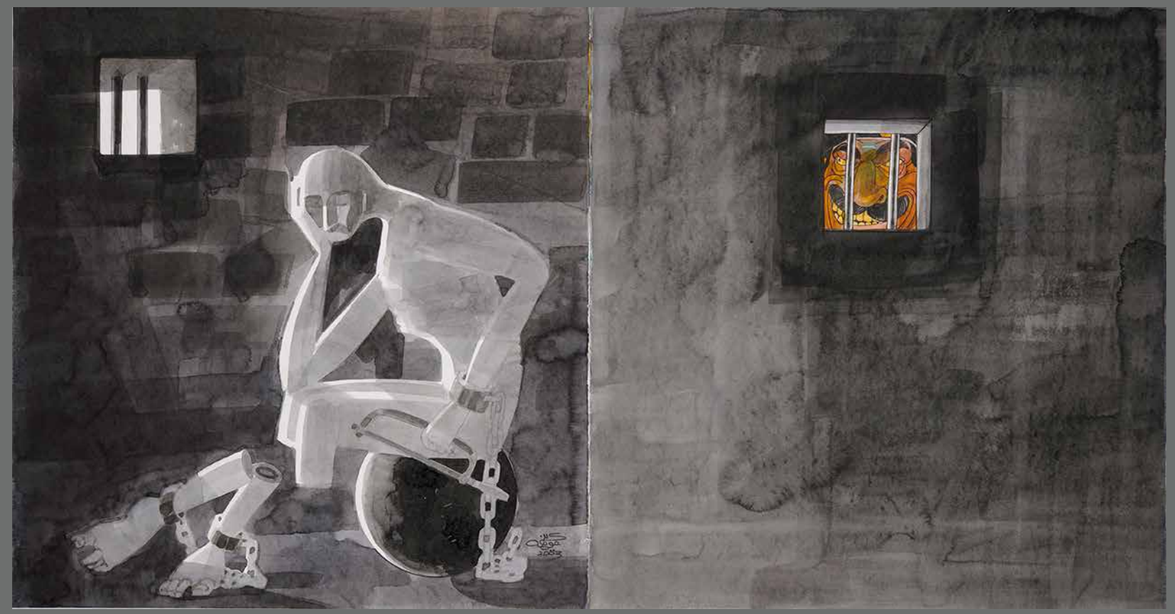

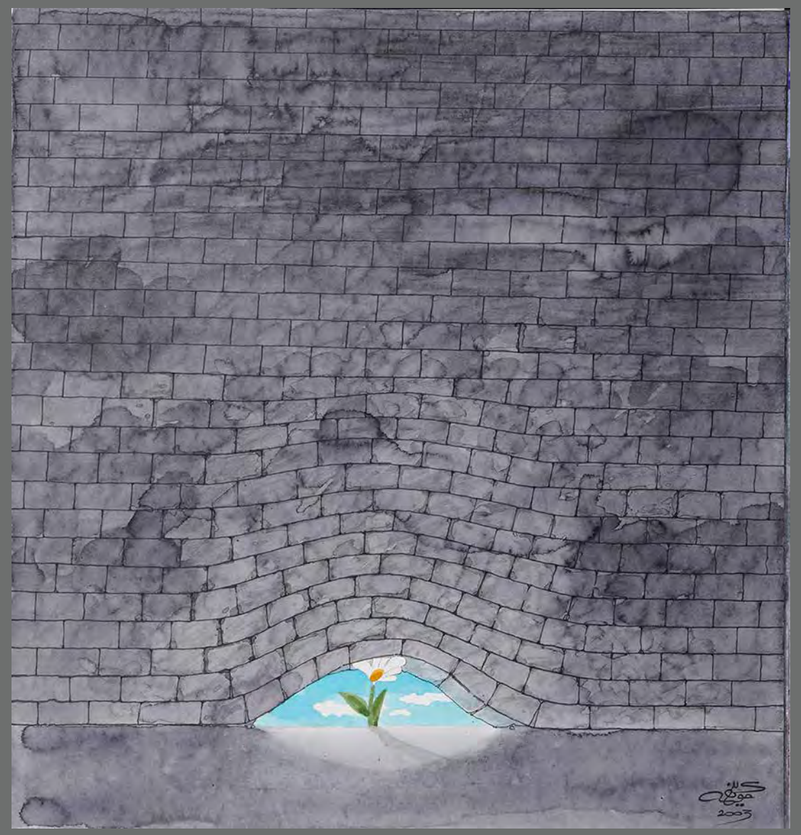

لم يكن مؤيد نعمة فناناً عادياً بأفكاره، بل عبقري في التقاط الحدث وتقديمه بشكل ذكي للقارئ بأسلوب فني متميز صار جزءاً من هويته كفنان بخطوطه وأشكاله ودقة التفاصيل التي يتناولها في الرسم وحداثة الفكرة وجرأتها وعمقها وبعدها السياسي والاجتماعي.

كان مبدعاً برسم الكاريكاتير ومتميزاً برسوم الأطفال ورائداً في الخزف بمنحوتاته التي أثارت جدلاً منذ عام 1973 لروعتها باعتبارها أول تجربة للنحت الفخاري للكاريكاتير في العراق والعالم العربي.. وتعتبر جداريته التي تزين جدران البرلمان العراقي أطول وأكبر جدارية في الشرق الأوسط طولها 120 م.

ما تركه مؤيد نعمة من إبداع في عدة مجالات فنية يستوجب التوقف عنده ودراسته من قبل المختصين، وهو نداء للجهات الثقافية والفنية المسؤولة أن تعير رموزها الإبداعية أهمية جادة، لأنهم رغم رحيلهم يعدون الواجهة الحقيقية لهوية الوطن وتأريخه النضالي ضد كل أشكال الفساد والتخلف، وأن ما قدموه في حياتهم من أجل الوطن يستحق من الجميع التوقف عنده وتكريمه بما يليق بعطائهم وتضحياتهم. ومؤيد نعمة نموذج مشرف للفنان الملتزم المناضل الذي كان يمثل وجع الإنسان العراقي بأسلوب النكتة السوداوية التي ميزته عن العديد من الرسامين في الزمن الصعب.

الحديث عن مؤيد نعمة كفنان سأتركه للمختصين من النقاد..ما يهمني هو الإنسان والحبيب الذي عشت معه ثلاثة وثلاثين عاماً بحلوها ومرها، فضلاً عن قربي وإعجابي وإيماني بفنه وإبداعاته التي قدمها والتي أصبحت إرثاً وطنياً وإنسانياً.

لكني سأتوقف عند ليلة من كانون الأول 2005، إذ شاء القدر أن تكون الأخيرة للحبيب مؤيد نعمة، لم تشبه أي ليلة اخرى. لقد غمره حزن وصمت بعد أن سمع خبر استشهاد ابن جارنا طالب الماجستير وخاله العائد من الأسر في الساعة نفسها من قبل مجهولين!

دخل مرسمه وجلس على كرسيه أمام رسوماته التي كان ينجزها قبل سماعه الخبر إلا أنه لم يكن يرسم، بل وضع مجموعة من الصور العائلية أمامه محاولاً وضعها في إطارات كان قد هيأها مسبقا. بقي لدقائق محدقاً في صورة جمعتنا كعائلة يوم سفرته الأخيرة إلى عمان عام 2002 إذ كنا قد تعودنا التقاط صورة الوداع في كل سفرة يقوم بها.

– ما الذي يجعلك تحدق طويلاً في هذه الصورة؟

-أحبها.

وفاجأني:

– أنت ستتعبين وتتبهذلين من بعدي!

التفتّ إليه. وجهه باتجاهي.. لكن.. عينيه كانتا في عالم آخر. تساءلت مع نفسي ما به.. ما الذي يقوله مؤيد ولماذا..لكني بكل كبرياء جاوبته:

-لا تخف عليّ أنا على ما يبدو قوية على زماني.. شفت هواية مصايب!

في الصباح نظرت إليه من الشباك وهو في طريقه إلى مكان عمله في دار التراث الشعبي. كان متعباً وحزيناً لمأساة جارنا الطيب، لكنه قبل أن يخرج قال: سأذهب مع قاسم حمزة إلى الفاتحة التي ستقام في بيت الجد بمنطقة المشتل. اتصلت به لأسأله عن العنوان لأذهب

اليوم الذي غادرنا فيه مؤيد .. زوجي وحبيبي

مها البياتي
زوجة الفنان مؤيد نعمة

مجموعة ضياء العزاوي، لندن

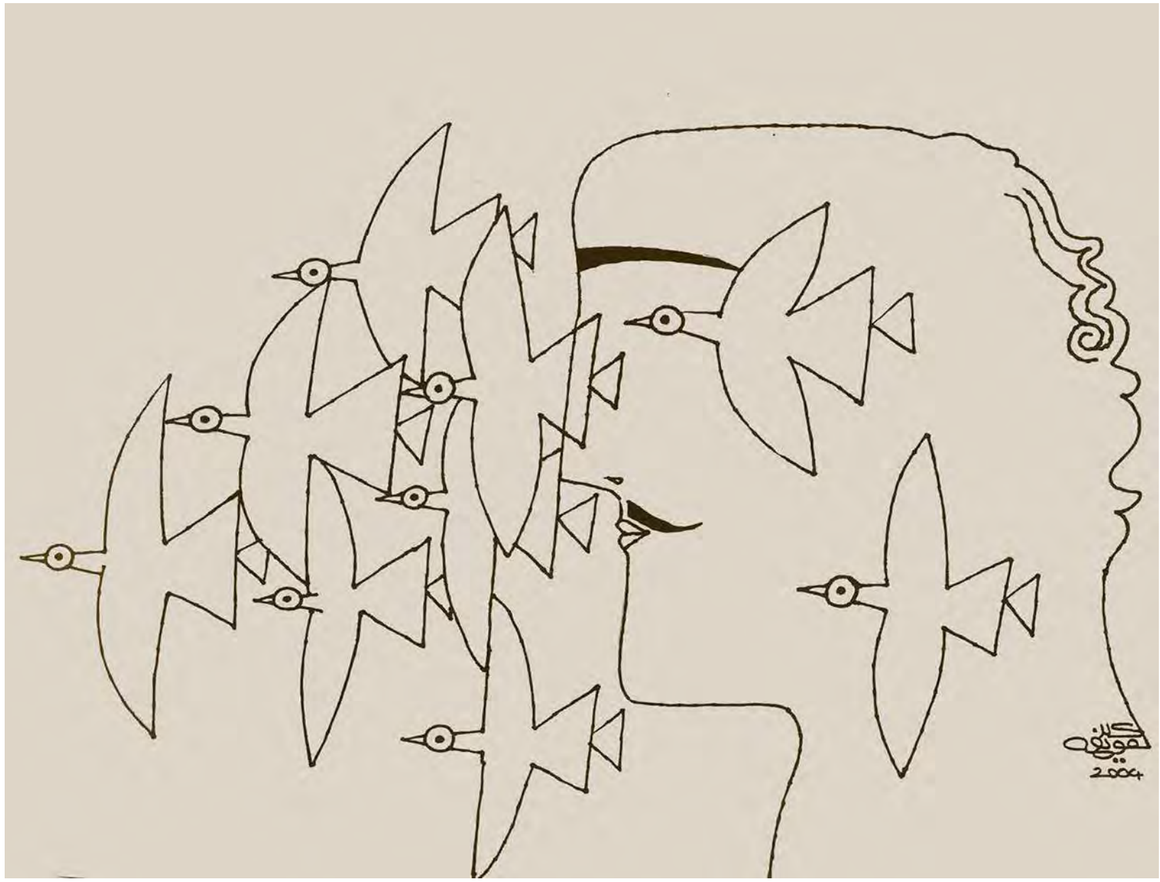

إلى الفاتحة. في المرة الأولى اعتذر برسالة لأنه في اجتماع، وفي الثانية قال إنه في الطريق إلى البيت "شوية تعبان."

كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً..وصوت الأذان يملأ السماء حين سمعت طرقات خفيفة على الباب.. فتحته..بادرني مؤيد (اسنديني سأقع)، ضحكت.. توقعت أنها طرفة من طرفاته التي يقوم بها معي. لكني ما إن لمحت وجهه حتى وضعت كل ثقله على جسدي وعرجت به إلى الداخل، وتمدد على الأرض.

صرخت بأعلى صوتي ليسمعني ابني وجاراتي حتى يستدعوا جارنا الطبيب من المستوصف القريب بسرعة. بعد أن فحصه قال الضغط صفر..انقلوه للمستشفى.استدعينا دورية للشرطة كانت ترابط قربنا ونقلناه إلى مستشفى اليرموك.

في طوارئ اليرموك، قال طبيب شاب "الخطر سيكون 72 ساعة" وطلب مني بعد ساعة من الانتظار أن أعود إلى البيت وأهيئ له عصير البرتقال وشوربة خفيفة. كنت وابنتانا داليا وشمس بصدمة. أراد الطبيب أن يعطيني حقنه فاليوم حتى أهدأ .. رفضت.. لأني كنت أريد أن أكون بكامل وعيي.

أشّر مؤيد لي ان أقترب منه وهمس في أذني "ستجدين مبلغاً بسيطاً في جيب المعطف الرصاصي". قلت له أن لا يفكر بهذا الموضوع الآن.

غادرت المكان وكانت عيناه تراقبان تحركاتي حتى الباب!

بعد ساعة ونصف عدت ثانية للمستشفى، وكان مؤيد قد نقل إلى غرفة الإنعاش والأخ الفنان عبد الرحيم ياسر كان موجوداً.

التفتّ فوجدت الأطباء يتسامرون مع كيس من بذور عباد الشمس والقشور تملأ المكان وكانت الترميمات جارية في نفس المكان..

والهرّ الرمادي يجول ويصول براحته في غرفة الإنعاش!!

وجدت مؤيد في عالم آخر.. كان منظراً مؤذياً مزّق قلبي وبدأت أتمتم بآيات قرآنية وكل قطعة في ترتجف. طلب مني عبد الرحيم الخروج لأرتاح قليلاً. أصرّت ابنتي وزوجها على عودتي للبيت لأنه لامكان للجلوس ولاحمامات بسبب الترميمات خاصة وإني تعرضت إلى تهيج شديد للقولون، والألم بدأ يزداد عندي. أخيراً اقتنعت بالعودة إلى البيت لأخذ الدواء والرجوع إليهم . بعد نصف ساعة جاءني ابني حسن يرتجف ووجهه أصفر قائلاً: ماما اتصل بي زوج أختي يقول والدك مات.. اجلب الهوية وشهادة الجنسية العراقية!

لم أصدق، ولا أريد أن أاصدق..لكنها الحقيقة.

بعد اثني عشر عاما على رحيله الأبدي، ما أزال أحلم به ولي بأمل جديد لوطن ناضل من أجله بروحه وريشته وتحمل العوز والغربة والعيون اللئيمة التي كانت تراقب تحركاته ورسوماته على الصفحات وتأوّل مايحلو لها بغية النيل منه.

شهادات

فاطمة المحسن

كان العراق هناك يلوح لنا، نحن الذين هربنا منه نهاية السبعينات، مثل سفينة توشك على الغرق، تعبر تلك السفينة بين ألغام الحروب والحصار والسجون والمعتقلات ونحن نرقبها من وراء حجب بعيدة. نتداول أخبار الأصدقاء الذين تركناهم كما لو كانوا في كوكب آخر : مَنْ الذي قُتل في الحرب ومن قضى تحت التعذيب، ومن الذي نجا من الاعتقال والترهيب، ومن الذي رفع يديه مسلماً للبعث أوراق اعتماده ؟. كان بين هذا وذاك الفنان مؤيد نعمة الذي يشبه الشاعر خليل الأسدي بخصلة واحدة صوته الخافت ورقته ونحوله. كنت ألمح في عينيه اضطرابا في الأيام المتبقية لنا في جريدة طريق الشعب، وكان زواجه وحياته الجديدة مع مها البياتي الفتاة الجميلة قد جعلته أكثر توقاً إلى الاستقرار، مع أن مها كانت من عائلة شيوعية ولكنها لم تشتغل في جريدة الحزب. مؤيد كان كتوما وفي داخله ما يشبه التصميم على البقاء، لا لشجاعته وصبره فقط، بل لإيمان بفنه الذي يراه مرتبطاً بمحلية قضاياه. لعل فن الكاركتير من أصعب الفنون، فهو يرى الواقع في مفترق الطرق بين ما هو عليه وما يكمن خلفه من عطوب يجري التعبير عنها بالإشارة الدالة التي تستعيض عن الكلام بالرسم ، وللرسم هنا وظيفة مختلفة، فهو أداة للهجاء والتقبيح والمبالغة عبر الطرفة وإضحاك القارئ، كي ينجز مهمة النقد. هذا الفن رافق الصحافة منذ نشوئها في العالم العربي وقبله في الغرب، ولكنه خضع في العراق إلى ما يمكن تسميته آلة القمع والمراقبة باستمرار، فكان حبزبوز نوري ثابت، الكوميديان الساخر الذي ظهر في ثلاثينات القرن المنصرم، قد تعرض إلي محاولة اغتيال بسبب صحيفته التي برع فيها بهجاء السياسيين والمجتمع عبر رسوماته وقصائده . غازي يعتبر مؤسس فن الكاركتير العراقي الأبرز ، حيث اختلف عن البقية بقدرته على تجسيد فن محلي يستفيد من الأغاني والمواويل والأمثال الشعبية، ولعله أشاع هذا الفن بين الصغار والكبار في العراق حين أصدر كتيبات تجمع الرسوم الكاركتيرية بالتعليقات الذكية، كما الحال الآن في الغرب بل في كل أنحاء العالم.

جيل مؤيد نعمة اختلف من حيث انتساب معظم مشاهيره إلى معهد وأكاديمية الفنون الجميلة، أي أن خبرتهم بالرسم لم تكن عفوية فهي نتاج دراسة ومعرفة، ولعل مؤيد التحق بجريدة الحزب الشيوعي بعد تخرجه أو خلال دراسته ، إنّ لم تخني الذاكرة، كما التحق قبلها بمجلتي والمزمار اي بصحافة الاطفال او مارس العمل في الصحافتين .

كانت غرفتنا تحوي بالإضافة إلى المحررين رسامي الكاريكاتير وكان أقدمهم مؤيد الذي يرينا رسومه بعد أن ينهيها، كي تضج الغرفة بالضحك، لعلني أتذكر رسماً عرضه يمثل لافتة لمحل بيع الفلافل استعار صاحبه اسمه من فيلم مصري كان يعرض في سينمات بغداد عنوانه « خذني بعاري» أتذكر هذه الرسمة من بين رسوماته لأنها أضحكتني كثيرا .

مؤيد لم يكن ساخرا بالرسم، بل بالقفشات التي يجيدها، فيشيع جوا من المرح رغم ما يحيط الجريدة من مراقبة تنغّص أيامنا .

اسهم مؤيد في السبعينات عبر طريق الشعب، قدر ما تسمح به هيئة التحرير وعلى وجه الخصوص العزيز الراحل عبد السلام الناصري، فكان قادرا على توجيه سهامه الى الحالة السياسية بما فيها «الجبهة الوطنية « .

ولا اعرف هل بمقدور جريدة طريق الشعب إحياء ذكراه عبر عرض رسوماته .

تطور فن مؤيد من الرسم إلى النحت في التسعينات، وهي خطوة لم يشهدها سابقا فن الكاركتير في العراق، مستعينا بدراسته الاكاديمية، فظهرت أجمل التماثيل لشخصيات أدبية عراقية، استخدم فيها الخزف والرخام ومواد مختلفة تظهر براعته النادرة في تجسيد تلك الشخصيات.

عاش مؤيد مثل كل من بقي في العراق من الشباب، سنوات صعبة من الاعتقال والرعب وساقوه جنديا على الجبهات طوال فترة الحرب العراقية الايرانية، فكيف لقلبه الرقيق أن يصمد بعد كل هذه الأهوال.

لذكرى رحيل مؤيد نعمة الصديق الجميل، باقات ورود العالم كلها، ولفنه وشخصه الذي يبقى في ذاكرة الثقافة العراقية علامة بارز.

قاسم محمد عباس

شجاعة مؤيد نعمة وصورته التي غابت

قبل أيام قليلة من رحيل الفنان مؤيد نعمة التقينا في استراحة جريدة المدى، واستأنفنا حديثا سابقًا عن عدم التردد في نقد ما يحصل في راهننا العراقي ، وكنت قد قلت له يجب أن نتوخى الحذر ، فالفوضى التي تلف حياتنا ترعبني أحيانا ، وكان مؤيد دائمًا لا يرى في ذلك اختيارا ،وانما اضطرار يمليه الضمير ، ومع ذلك قلت له فقط بعض الحذر ، واصل مؤيد كلامه واستشهد بعمود كتبته قبل مدة بعنوان : (محنة الكتابة هذه الأيام) ،إذا تحذر من هذا الموضوع ، وتتردد في تلك القضية سنتوقف تماما، وقال بالحرف الواحد : يجب ان تستمر دون خوف أو تردد ، فلا خيار في هذا الموقف ،وراح يعتب علي لتذبذبي في كتابة عمودي الاسبوعي، فقلت له أحيانًا أجد في رسوماتك ما يغني عنها وهو ما يدفعني للتوقف عن الكتابة. ابتسم ابتسامته القصيرة الممزوجة بجديته . وعاد لكلامه الذي عهدته منه كلما توقفت عن الاعتناء بمظهري، فالاناقة وحلاقة الوجه هي بداية حديث مستمر مع مؤيد، سرعان ما يتطور للكلام عن رسوماته وأخبار الصوفية، وما هو المشروع الذي أعمل عليه حينها ،وفي كل حوار يؤكد لي على ضرورة مواصلة تشخيص القتلة وعدم التساهل في هذه المرحلة تحديدا. ولأعترف أنني كنت أحيانا احسد مؤيد على شجاعته في مطاردة القتلة برسوماته وموضوعاته التي كانت تنطوي على قدرة كبيرة لتقول هؤلاء هم القتلة وهؤلاء هم الضحايا . فالناس اعتادوا دور مؤيد في ترجمة همومهم ومشكلاتهم ومواقفهم، ويرون في ما يرسم بلسما للآلام التي تحيط بهم ،ويجدون في رسوماته الصارخة متنفسا لهم ، حتى ان بعض الرسائل التي كانت تصل المدى الثقافي وجدت في اعمال مؤيد نعمة في هذا الظر فعلى وجه التحديد ما يوازي عمل الكثير من الساسة ، ان لم يتجاوزه، حتى ان بعض القراء ، قد يئسوا مما يكتب هذه الأيام وراحوا يتابعون ما يرسمه مؤيد ، ولا أريد هنا أن أقرأ مؤيد قراءة ضيقة قد توصف بأنها سياسية صرف، وانما أحاول أن أنقل الاطار النفسي الذي كان يوفره لي شخصيا كلما التقينا، ويدفعني نحو كتابة تضع اصبعها على الجاني، وتشير بكل وضوح للضحايا، أقول له : أنها محنة عصيبة تلف الضمائر والعقول ولا تحمد عواقب قول الحقيقة في هذه الفوضى ، فيرد بعد ان يبلل شفتيه : هذا هو دورنا ولا يمكن السكوت عن نزف الدم اليومي. أخذت من مؤيد صورة جميلة له علقتها في القسم الثقافي إلى جنب صور أدباء ومفكرين ورسامين، وكلما دخل مؤيد القسم الثقافي توقف للحظات ضمن اطار الباب، فأقارن بين الصورة والأصل، ويقول مؤيد (هاي الصورة شوكت تشيلهه منا) . كانت صورة مؤيد التي رسمها لنفسه غاية في الوضوح، وخطوطها في غاية الدقة ، تذكرنا باستمرار بمؤيد عندما يغيب عنا لأيام، صورة مؤيد وكلماته تتطابق إلى حد بعيد، وعندما افكر الآن بموت مؤيد، استعيد كل أخلاق الرثاء لدينا، وأحاول أن استذكر وجوه الضحايا الذين وقف مؤيد إلى جنبهم وعبر عن رعبهم وخوفهم، وأتذكر في الوقت ذاته رعب القتلة من خطوطه ومضامينه ورسوماته، وافكر بتراث الموت كله ، هذا التراث القديم المتكرر الذي يتجلى في صور أصدقائنا ومبدعينا وأحبتنا، وتبقى لي شخصيا من مؤيد شجاعة نادرة يصعب درجها في مقولات السياسة، وصورة غابت عن جدار القسم الثقافي . ربما يكون رحيل مؤيد مفجعا على المستوى الشخصي، لكنه على المستوى الابداعي والسياسي خسارة كبيرة ، فقد شغل مؤيد نعمة مكانا في هذا الظرف الاستثنائي، هذا المكان الذي غدا مواجهة حقيقية ضد القتل والموت، ودرسا ابداعيا يلخص لنا كيف يمكن لتخطيط بمساحة سنتيمترات أن يكون سلاحا مؤثرا في وجه الموت، وضميرا يعيد للفن دوره واعتباره

حميد قاسم

مؤيد نعمة... بلاغة الكاريكاتير وحدّته القاطعة

تعرفت للمرة الأولى على رسوم فنان الكاريكاتير العراقي مؤيد نعمة بداية السبعينيات في جريدة طريق الشعب اليومية، وجريدة الفكر الجديد الأسبوعية، حيث كان يعمل وينشر رسومه الساخرة، الغريبة واللافتة للنظر، ومنذ البداية استطاعت رسوم مؤيد نعمة الشاب العشريني المتحمس ان تلفت الأنظار بحدة خطوطها وافكارها وجرأتها وقلة الحوارات والتعليقات فيها، واعتمادها روحا فكاهية يمكن ان ندعوها بالكوميديا السوداء، أو كوميديا المفارقة المؤلمة، ولكم كنت سعيداً حينما رأيت مؤيد نعمة للمرة الأولى وتعرفت إليه أواسط السبعينيات، في 'طريق الشعب'، لتتواصل بعدها زمالتنا في مجلة 'الف باء' والتي لم تنقطع حتى مغادرتي العراق مطلع العام ١٩٩٧ حيث بقيت على صلة متواترة مع اخبار مؤيد نعمة، وكان لقائي الأول به بعد طول انقطاع في جريدة المدى البغدادية أواخر العام ٢٠٠٣ ، وهو اللقاء الذي تكرر في يوليو الماضي دون أن أعرف انه اللقاء الأخير بيننا، بعد ان نقلت لنا الأخبار نعياً مقتضبا للفنان في بغداد إثر جلطة دماغية الإثنين الماضي عن اربعة وخمسين عاما. وفي كل مرة كنت أرى فيه قدرة استثنائية، بل شجاعة نادرة في الثبات على الموقف والتصدي لمن عادوا شعبه العراقي، وقد واصل هذا النهج في كل أعماله، سواء يوم كان يعمل في طريق الشعب أو الف باء أو في المدى، كانت رسوماته سوطا موجعا لمستغلي أوجاع الناس وآلامهم، مثلما كانت في الوقت نفسه بلسما للمواطن البسيط المستلب، ضحية الحروب والحصار والفقر سابقا، ومن ثم المحاصصة والطائفية والإرهاب الذي كان القضية التي نذر نفسه لمحاربتها في أعماله الأخيرة، مثلما فعل لأعوام عديدة وهو يتصدى للفساد بجرأة نادرة حقاً. قبل عام تقريباً، كنت أحدث احدى الزميلات عن رسوم مؤيد نعمة الكاريكاتيرية، ثم أطلعتها على نماذج منها، فتحمست للفكرة، بل هددتني انها ستكتب الموضوع ما لم انجزه تواً، غير انني 'توانيت' وراح الموضوع في خضم انشغالاتنا اليومية، وخلال زيارتي الأخيرة لـ'المدى' أخبرت مؤيد نعمة بهذا الحوار، فرد بخجله المعهود وأدبه الجم: شكراً جزيلاً، هذا يسعدني.

مأساوية ساخرة

كان يعبر عن مأساوية الشخصية العراقية، ويستخرج من ركام المأساة لمحة ساخرة وعميقة، تحاول أن تجعل المشاهد ينسجم مع الواقع في الوقت الذي يشعر بصخب جامح لتغييره، وأحياناً يستشعر المشاهد، يأساً مختلطاً بأمل مفتوح لدى قراءة لوحاته. وكان يقول: إن مهمة رسام الكاريكاتير هي الكشف عن الممنوع ونزع استار المبهم والصراحة القاسية احيانا في قول الحقيقة او البحث عنها، وهو يقترح الحلول او يفترضها بالايحاء والاشارة. لذلك فالكاريكاتير وليد الازمات ومروّضها وكاشف المستور منها. ولأن هذا الفن يهتم بشؤون الانسان ومشاكله الاجتماعية والسياسية والفكرية لذلك يستجيب لكل هذه المواضيع ويستمد منها أفكاراً ومواقف مختلفة ويزدهر بها. مؤكداً ان الكاريكاتير فن التحريض ضد الظلم والتعسف والخطأ والشاذ والسيئ ويمكن ملاحظة ذلك جلياً في اية لوحة تنتمي لفن الكاريكاتير وليس لفن التهريج.

مدرسة بغداد

عني مؤيد نعمة عناية خاصة بتأكيد ملامح مدرسة خاصة في الكاريكاتير اسماها المدرسة البغدادية، يقول عنها: المدرسة البغدادية في رسم الكاريكاتير مدرسة متميزة، وهذه ليست شهادتي، إنما شهادة الفنانين المتمكنين من فن الكاريكاتير، وكتبوا عنها وعن تميزها، مدرسة بغداد في فن الكاريكاتير اعتمدت على نقل الواقع، بالأسلوب الحديث، يعني لم تعتمد على النكتة الساذجة، أو على الموقف الساخر المسطح، دخلت بالعمق، هذا يعني أضاف لنا مسؤوليات جديدة، أن نتمكن من مسك الخيوط كلها، التي تجعل رسام الكاريكاتير متمكنا من عمله.

كانت رسومه وأعماله قريبة من نبض الناس وهمومهم اليومية في اللقمة الشريفة، والكرامة، ومحاربة المفسدين، والقتلة من جزاري الإرهاب، وكان يملك قدرة هائلة على الحلم والأمل، لذا فانه كان يقول: ان المنطق يستدعي إن أكون قريباً من أحداث بلدي، وهذا حال كل رسامي الكاريكاتير بالعالم، اني بتماس مباشر مع أحداث بلدي، وأحاول أن أترجم ما أشاهده، ما أحسه إلى رسوم أنشرها بالصحافة. ولهذا أيضاً قال عنه شاعر ومفكر مثل عبد الرحمن طهمازي: 'مؤيد نعمة من رسامي الكاريكاتير العراقيين الذين جاءوا بعد جيل غازي، وهو أيضاً بعد بسام فرج مباشرة حين دخل الكاريكاتير الصحفي عندنا مرحلة نوعية جديدة. يمتاز مؤيد نعمة بالصراحة والمجاز والقدرة التصميمية، عدا موهبته التي يحتاج إليها أي رسام كاريكاتير لا تغريه المداهنة، أقصد

موهبة رصد المفارقات والتوريات التي يمتلئ بها واقع اجتماعي عام عبر لحظة خاصة. موت هذا الرسام خسارة للفن العراقي الحديث، وللصحافة بالمعنى الواسع.

الأمل الحزين

يقول مؤيد نعمة عن وطنه ومستقبله: انا لا انظر إلى مستقبل العراق من خلال العملية الحسابية (عند البعض) والمتمثلة في كم مقدار من الامن هنا، ومثقال الامن هناك، وكم تحقق من إحلامنا وكم خسرنا وكم ربحنا، فنحن نعمل في التاريخ، وتاريخ العراق الجديد بدأ منذ ستة الاف سنة... نعم.. اقول تاريخ العراق الجديد.. حيث يتضمن كل حالات القهر والبؤس والانتكاسات، التي لولاها ما ولدت حالات النهوض والاشراقات التي تأتي دائماً بعد ظلام وعتمة، ويكفي شعبنا فخراً تحمله معاناة عشرات بل مئات السنين من الويلات على مر العصور، ثم ينهض... ثم يكبو... ثم ينهض ليأخذ ما يستحق ويعطي ما يلزم للانسانية، فمن حقنا ان نحلم، ولكن علينا ان نسعى لتحقيق احلامنا. كان مؤيد نعمة يرى ان الكاريكاتير' شامل لكل الفنون، وهو فن المستقبل وفن التعاطي مع المشاعر، فن التلويح بالمعاني المكبوتة، مثلما هو فن شامل لبقية الفنون؛ فن المبالغة التي لا يدركها التصوير والرسم الاكاديمي او الرسم الحديث التجريدي، فن الاحساس بالموسيقى التي تنساب بين الخطوط، فن السحر والإلهام الذي يجسده رسام الكاريكاتور بخطوط والوان قد لا تسعف القواعد الأكاديمية في تنفيذها. وبذا فهو فن شامل بتخطيطه، ألوانه، نحته، غرافيكه، موسيقاه، شعره المفعم بالأحاسيس التي تظهر على رسوم الفنان. ولابد من الالتفات إلى مسألة مهمة، وهي أني أتحدث هنا عن فئة الكاريكاتور اللوحة والموقف وليس كاريكاتير النكتة السمجة والضحك المسطح البليد والشائع في الصحافة. وبهذا المعنى، ظل مؤيد نعمة قريبا من رسام الكاريكاتير الروسي (سميرنوف) والتشكيلي (ادولف بورن) صاحب الجوائز الكبرى في المهرجانات الدولية.. والفنان العراقي (عبد الرحيم ياسر) والفنان الألماني (هنري بوتنر) والفنان المصري (محيي الدين اللباد) والفنان الكوبي (رينيه ويلانويز) والفنانين السوريين (يوسف عبد لكي وعلي فرزات) والفنان الاميركي الروماني الاصل (سول شتاينبرك) والفنان الروسي (سيرجي تيونن) والفنان الفرنسي (فولون) ويرى فيهم ممثلين حقيقيين لمفهومه عن الكاريكاتير.

عاش نعمة حياته، وغادرها مؤمنا ان الكاريكاتير فن التحريض ضد الظلم والتعسف والخطأ والشاذ والسيئ ، مشدداً على انه يمكن ملاحظة ذلك جلياً في اية لوحة تنتمي لفن الكاريكاتير الذي منحه حياته ووقته وموهبته، وليس لفن التهريج، الذي لم يقترب الراحل من ضفافه ابداً.

في مشغل سعد شاكر نفّذ مؤيد نعمة بورتريت لنزار قباني

هذا المحب للحركة والمشاغبة ومراقبة الحياة في سرعتها وانفجاراتها، امتلك الصبر الكافي بانتظار جفاف الطين!

دلير سعد شاكر

ثمة عمل نحتي يصغرني بخمسة أعوام، نُفّذ في عام 1976، كنت أراه في زاوية من مشغل والدي سعد شاكر كنا نتسلى فيها بالطين. لم يهمني آنذاك اسم الفنان بقدر ما همني شكل العمل، فهو بورتريه لوالدي نُفّذ بطريقة مختلفة عن البورتريه الذي أنجزه الفنان خالد الرحال. كان هناك في مشغل والدي إذن عملان مختلفان أحدهما من البرونز والآخر من الطين المفخور نفذه الفنان مؤيد نعمة.

كنت في عمر لا يجعلني أميّز بين أعمال كثيرة يزدحم فيها مشغل والدي في منطقة المأمون من بغداد. هذا المشغل شهد إنجاز أعمال فنية متنوعة، عدا أنه شهد العديد من اللقاءات الثقافية، تعرفت فيها على الكثير من الوجوه الفنية والاجتماعية.

في حديقة هذا المشغل التقى الكثير من أصدقاء والدي؛ رسامون وخزافون ومعماريون وكتّاب وشعراء. بدت لي هذه اللقاءات، النظير لما كنت أراه مجسداً في محترفه الفني حيث تلتقي الأعمال الفنية وتتبادل التأثير فيما بينها. فضلاً عن ذلك، شهدت السبعينات والثمانينيات زيارات الفنانين العرب إلى بغداد، وكنت أرى الكثير منهم في مشغل والدي أو في الحديقة الملحقة بها. كانت فترة نشطة بإقامة المعارض الفنية والمبادرات المشتركة للفنانين العرب من أجل بناء هوية فنية عربية معاصرة وتعزيز التواصل الثقافي والفني ما بينهم.

في حوار مع والدي في أيامه الأخيرة حاولت أن أستعيد ما علق بذاكرتي من بعض الأحداث المثيرة التي شهدها مشغله. ثمة ذكرى ترسّخت وضّح لي والدي طبيعتها وكانت عن اللحظات التي نفّذ فيها مؤيد نعمة بورتريه كاريكاتيري من الفخار للشاعر نزار قباني. كان قد رتّب لقاءً مع الفنان لعمل هذا البورتريه في نهاية السبعينات في مشغلنا. هذا الحدث جرى بحضور زوجة الشاعر بلقيس الراوي التي تقرب إلى والدتي ميادة المدفعي. كان حاضراً أيضاً الفنان قاسم حمزة الصديق المقرّب من مؤيد نعمه لسنين طوال في العمل والحياة.

كانت معرفتي عن فن الكاريكاتير في العراق ناقصة، وكنت أعتقد أن مؤيد نعمة هو الذي ابتدأ هذا الفن، أو ربما كان الأشهر من بين الرسامين، نظرا لأني كنت أشاهد أعماله آنذاك في مجلتي والمزمار. بيد أن والدي أخبرني أن غازي عبدالله البغدادي هو من يعدّ أحد أبرز رسامي الكاريكاتير في الصحف البغدادية، وهو من جيل الخمسينات، وعمل في جريدة (قرندل)، وكان رساماً يسخر من عيوب المجتمع وسلوكيات الناس الخاطئة، مستفيداً من الأمثال الشائعة والشعر والغناء الشعبيين محولاً معانيها إلى رسوم كاريكاتيرية يغلب عليها الطابع الشعبي.

أكد والدي كذلك أن مؤيد من جيل الستينيين، ودرس في معهد الفنون، ثم في أكاديمية الفنون الجميلة، وأنه هو مع بعض الأساتذة في اكاديمية الفنون من دفعه باتجاه هذا المنحى من العمل النحت الخزفي، ثم شُجّع على تكريس نفسه وموهبته لرسوم الكاريكاتير الصحفي. والحال تخرج مؤيد نعمة من قسم الخزف عام 1971 لكنه مارس قبلها فن الكاريكاتير الصحفي في نهاية الستينات ونشر مجموعة من الأعمال في مجلات مختلفة، ولاسيما في رسوم الأطفال، حقّق فيها رؤية مستقبلية وهو في سن مبكر من مسيرته الإبداعية، قادته سريعاً إلى المهرجانات العالمية لرسوم الأطفال مع جوائزها التكريمية.

يُعدّ مؤيد نعمة أحد أهم رسامي الكاريكاتير الذين تتلمذوا على يد طالب مكي، وحقق في مسيرته الفنية أعمالاً تتصف بخطوط تعبيرية قوية لا تمارس الإضحاك المجرد بل السخرية المرّة، وكشف تناقضات الحياة الاجتماعية والسياسية ومساخرها وأضاليلها. لقد وضع إصبعه على جرح الشعب العراقي المظلوم موضحاً الحالات الإنسانية التي رافقت الحرب العراقية – الإيرانية في فترة الثمانينيات، وبسبب الرقابة ابتعد عن المضامين السياسية المباشرة إلى وصف حالات النفاق الاجتماعي والاتجار بالكلمات المعسولة في الحب والعلاقات الأسرية وصعوباتها.

بعد الاحتلال الأميركي أطلق كامل القوى التعبيرية لخطوطه وأفكاره المشاغبة والجريئة ضد المحتلين والقوى الإرهابية التي صاحبت الاحتلال.

اتصفت خطوط مؤيد بالحركة والشغب، وتميزت رسومه بالاختزال واستخدمت أحياناً تقنيات التلصيق .

يرجع لمؤيد الفضل في خوض تجربة فريدة من نوعها في العراق والعالم العربي، وعُدّت تجربة نادرة، ولعلها لم تتكرر في فن الخزف، تلك هي نحت الصور الشخصية (البورتريه) على نحو كاريكاتيري. إن مأثرة مؤيد أنه دمج فن الكاريكاتير بمبالغاته التعبيرية، وأحيانا باختزالاته، بفن النحت المجسد، محافظا في الوقت نفسه على التعابير الأصلية للشخصية. إنه كما لو دمج نسقين فنيين مختلفين.

ومعروف أن فن النحت الفخاري له مساره الخاص، كما أن الطين مادة تعبيرية ليس من السهل التعامل معها من غير خبرة، هذا من غير تقنيات التجفيف والفخر والتزجيج. إنه لأمر صعب التعامل مع الطين والهواء والنار والحفاظ على التعابير الأصلية وتماسكها. كل من رأى بورتريهات مؤيد نعمة الفخارية والمزججة يدرك أن رسام الكاريكاتير هذا، المحب للحركة والمشاغبة ومراقبة الحياة في سرعتها وانفجاراتها، امتلك الصبر الكافي بانتظار جفاف الطين والبدء مرة أخرى لإعادة صياغته لتكملة العمل بما في ذلك حسابات التجويف الداخلي للعمل النحتي (كتلة خارجية وفراغ داخلي) وإيجاد خاصية كاريكاتيرية لطبيعة الشخص لإظهار معالمه بقرار نهائي لا رجعة فيه ولا يمكن معالجته بمسحة قلم رصاص أو تغيير لون أو إضافة خط كما في حالة الرسم.

نفذ مؤيد نعمة في عام 1973 ـ 1976 بورتريهات فخارية لكل من الأساتذة: فائق حسن، وكاظم حيدر، وإسماعيل الشيخلي، وفالنتينوس كارالمبس، وأسعد عبد الرزاق، ومحمد العريبي، وقاسم حمزة، وسعد شاكر، ونزار قباني وآخرين. وقد زججت بعض هذه الأعمال بلون عسلي والوان أخرى احياناً، وتلفت أعمال أخرى في حينها أثناء العمل أو داخل الفرن.

في أواخر اللقاءات بمؤيد في عمان وقبل عودته الى بغداد دار حديث طويل معه عن أعماله النحتية في فترة السبعينات، فذكر لي أن من وجهه لخوض هذه التجربة عندما كان طالباً هو الفنان إسماعيل فتاح الذي قدم له فكرة أولية نظرا لرسومه الكاريكاتورية، بيد أن سعد شاكر وفالنتينوس كارالمبوس هما من وجها بتقنيات وحرفة الخزف والبناء النحتي.

في الخمسين من عمره او قبلها سكن الخزاف مؤيد نعمه في مدينة الفحيص في الأردن مع زميله الفنان أديب مكي في مكان تحيطه الطبيعة الرائعة للمدينة، وكنا نتردد عليه مع الصديق الفنان سامر أسامة والدكتور علي زيني والأساتذة رافع الناصري وضياء العزاوي وبعض الأصدقاء. حينها كلفه الأستاذ ضياء العزاوي في عام ٢٠٠١ بعمل «دفتر الفنان» وأعمال نحتية فخارية لشخصيات تشكيلية وثلاثة شعراء: رافع الناصري، محمد غني حكمت، ضياء العزاوي، بدر شاكر السياب، يوسف الصايغ، سعدي يوسف.

كانت هذه التجربة من اهم التجارب الناضجة للنحت الفخاري لمؤيد محافظا على روح الشخصية ودمج هاذين النسقين الفنيين والربط المذهل بينهما فقد نجحت هذه الاعمال الفنية أثناء العمل بالطين وبعد فخرها ايضاً ولم تزجج، ونفذت منها نسختان واحدة من الطين المفخور والأخرى من الفايبر كلاس للحفاظ عليها مستقبلاً وعدم تعرضها للتلف.

هذا ونفذ مؤيد نعمه عدة جداريات خزفية مزججة مع زميله الفنان قاسم حمزة إحداها في قصر المؤتمرات والأخرى في مطار البصرة، وبأحجام كبيرة، جسدت تعابير الواقع العراقي في حينها.

الشاعر نزار القباني في مرسم الفنان سعد شاكر في بغداد مع الفنان مؤيد نعمة

تواصل

احمد المالكي

كانت المرةَ الأولى التي اشاهد فيها تلك الخطوط الساحرة وعبر تلك القصة التي حملت عنوان الملك مسطرة، كانت بمثابة الطالب المنبهر وهو يستمتع بمشاهدة تلك الرسومات ومن حينها وأنا أتابع بشغف المحب المتعطش لذلك الأسلوب بما أنّ التلميذ الشغوف لتلك الرسوم لم يلتقي بعلمه في الواقع الحقيقي إلا إنه التقى به كثيرا ومن خلال روحه المنصهرة داخل افكاره التي نفذها بحب الكاريكاتير والفن وحب الوطن، الوطن الذي لم يعطي حقه كفنان متفرد امتلك أسلوب كاريكاتوري يحق لنا نحن العراقيين أن نسميه بالمدرسة البغدادية الأصيلة. لهذا السبب جاءت فكرة جمع وارشفة أعمال الفنانين العراقيين الكاريكاتورية، وفكرة إقامة متحف الكاريكاتير العراقي الأول، كانت البداية بجمع الرسومات الأصلية والمستنسخ منها لنحيلها إلى طبق الأصل لما تعذر من الحصول على الكثير من الرسوم التي رحل اصحابها عن الحياة والبعض الآخر رحل عن الوطن بدواعي الهجرة ، فكرة المتحف قائمة لكن الذي تحقق هو العمل على إنجازنا لأكثر من كتاب كاريكاتوري إلى أن وصل العدد إلى خمس كتب ، آخر هذه الكتب كتاب من سلسلة تهتم بكل أعمال الفنانين العراقيين جاء هذا الكتاب وتحت عنوان من ارشيف الكاريكاتير العراقي. (من ارشيف الكاريكاتير العراقي) السؤال الذي تدلى عبر كل تلك السنوات ما لذي يسدّ حاجة الأرشفة في غياب الفنان غير خروج الرسومات إلى المتلقي وعبر جمع الرسوم في كتاب الرسوم التي كانت بمثابة يوميات عراقي داخل هذا البلد الكبير البلد المثقل بالأزمات والانهزامات. نعم فكرة الكتاب بدأت بمساعدة السيدة مها البياتي حرم الفنان العراقي مؤيد نعمة تمكنا انا وهي من جمع وأرشفة مهمة والوقوف على إرث لا يستهان به من الاعمال المحفوظة لدى الست مها وأيضا من الأرشيف الذي جمعته انا من خلال عملي كأول مؤرشف للكاريكاتير العراقي، بدا العمل لجمع وترتيب الأعمال الكاريكاتورية للفنان مؤيد نعمة يأخذ حيز التنفيذ عبر جمع ومعالجة الرسوم التي تحتاج إلى توضيح بحكم أغلب الأعمال هي منشورة في الصحف والمجلات القديمة وكل تلك الرسوم كانت تحتاج إلى معالجة. تكفلت السيدة مها البياتي بدفع تكلفة الطباعة، وانا بدوري تكفلت بجمع وإعداد الكتاب وعبر تلك المدة التي استغرقت مني ثلاث سنوات حتى خرج للدنيا بحلته التي تناولت أربع محطات في سيرة المبدع مؤيد نعمة، وهي فترة السبعينات، والثمانينات، وفترة التسعينات، والفترة الأخيرة فترة الألفيات إلى عام ٢٠٠٥ عام رحيل الفنان مؤيد نعمة. (انه سحر الفن) الأفكار المعجونة بتلك السلاية التي اشبعها الفنان مؤيد ثقافة وفكر فني عالي الفلسفة، والبساطة في الطرح ايضا ، من الوضوح اننا نرى رسومه اتخذت زوايا كانت تطل من خلالها رسومه التي حاكت وتحاكت مع القضايا الداخلية للبلد والبلاد تلك الرسومات التي ارتقت بخطوطها إلى أبسط الناس وأيضا الى أكثرهم حكمة عابرة تلك الأفكار مقص الرقيب آن ذاك الفنان مؤيد نعمة ، قد افلح الاختيار في إيصال الأفكار عبر بوابة الرسوم الكاريكاتورية وفي احلك الظروف التي مر بها البلد وعبر تلك الزوايا (طبق الأصل) (نساء ورجال) (زاوية حادة) (ناصعة رغم حدة الخطوط وعتمة المواقف) امتلكت رسوم الفنان مؤيد نعمة خاصية المضحك المبكي المشحونة بالكوميديا والسخرية السوداء تلك السخرية المتمثلة بشعورنا بالحياة تماما مثل ايامنا التي حرص على توثيقها وتحويلها الى ألبوم من الذكريات الفنية الخالدة (المعلّمين لا يموتون) نعم انا شخصيا اؤمن بهذه الحكمة من يُصدّق ان صاحب هذه الاعمال المثقلة بتفاصيل الوطن وابناء هذا الحرمان والوجع الممتد عبر كل الأحداث التي مررنا ، ومر هو بها قد يغيب لا يمكن غيابه ، أو تغييبه ، العيون المحبة لفنه ما تزال تنتظرُ دروسه الكاريكاتورية المرسومة بدقة، لتدخل علينا وبكلّ دهشة عبر نوافذ التاريخ الذي وثقه بتفاصيل خطوطه لتحدثنا رسومه عن سفره الفني الذي نضج حد الخلود. (طبق الأصل) بأيّ من مواهبك المخبّئة ستدهشنا بعد ! أبا حسن ابا داليا ابا شمس، وأنت تترك لنا كل هذه الكنوز الفنية الخالدة. ابا حسن، مازالت العيوب تصفّقُ لتلك اللافتات الساحرة الفن اقول لافتات فن ، نعم لأنها ماتزال معلقة في قلوب محبيك ، معلقة على صدر التأريخ الذي رفع لك قبعة الخلود.

بغداد 2024 الأثر الأول

تواصل

عبد الرحيم ياسر

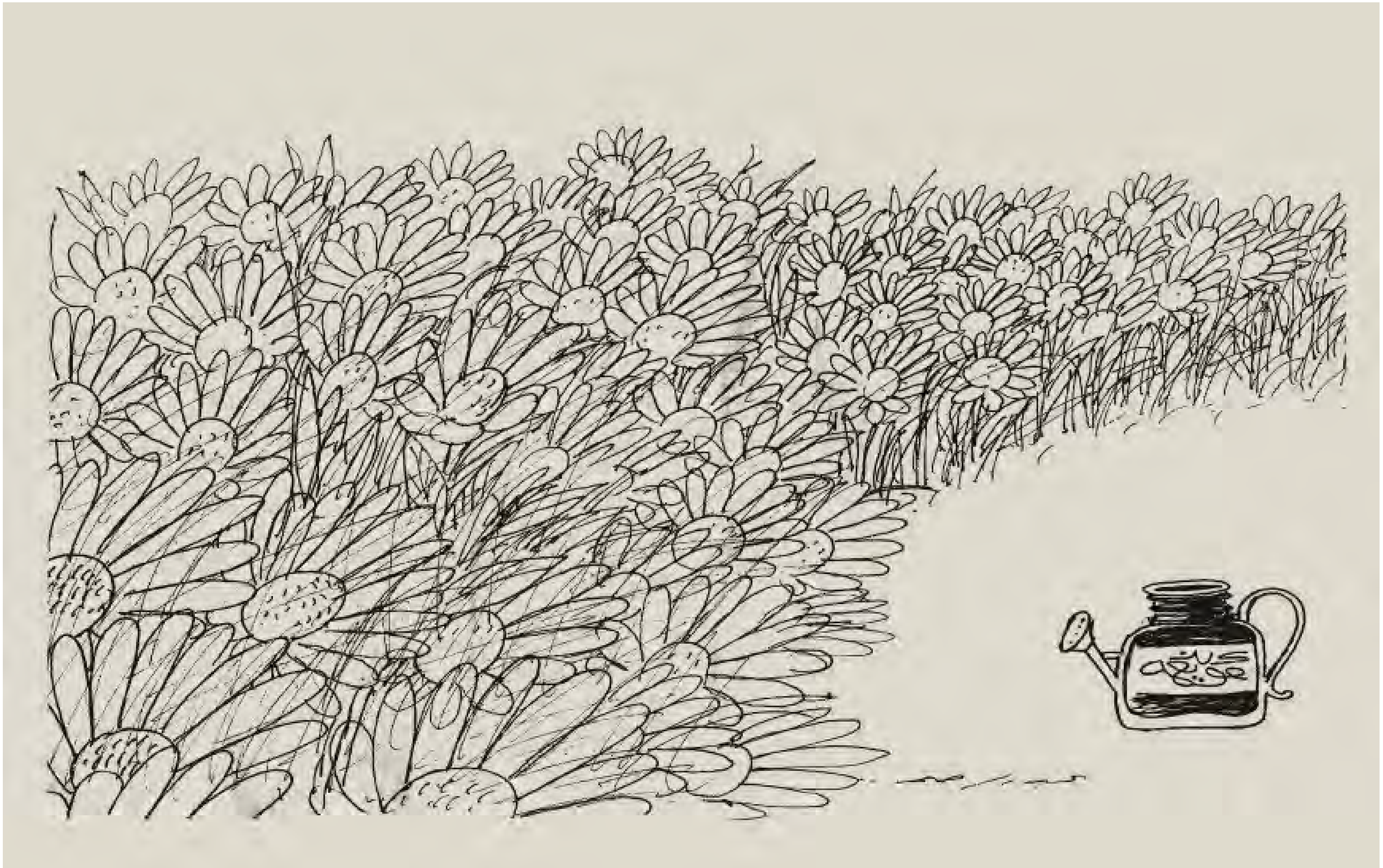

تواصل

علي المندلاوي

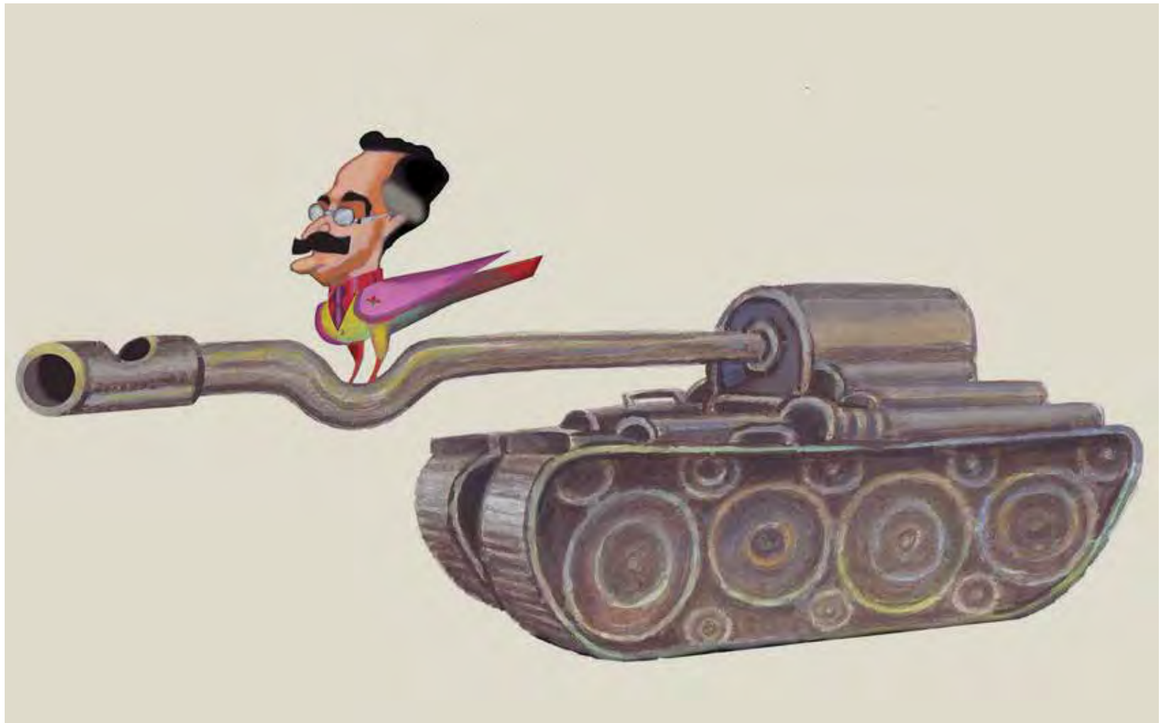

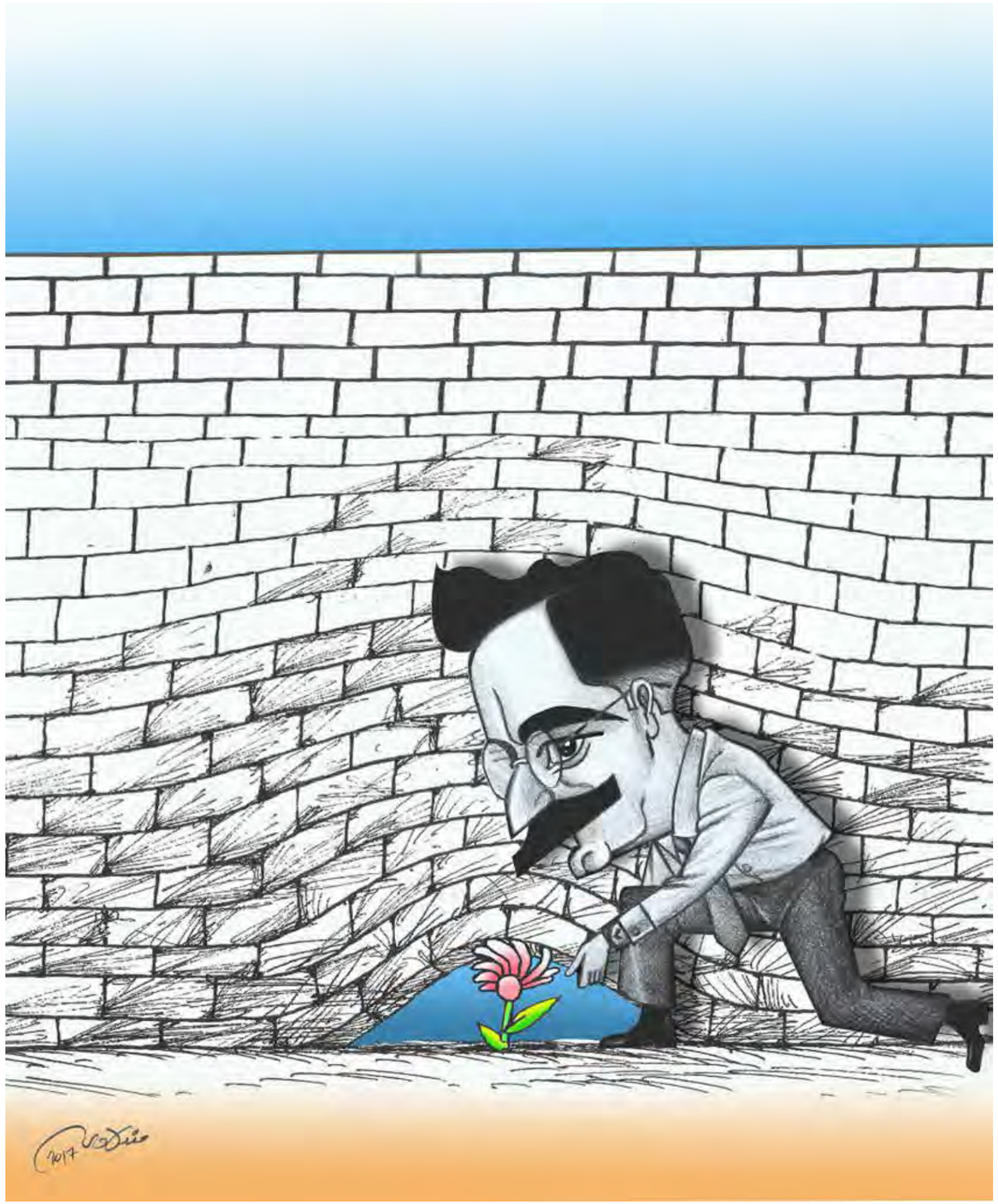

صالون المجلة

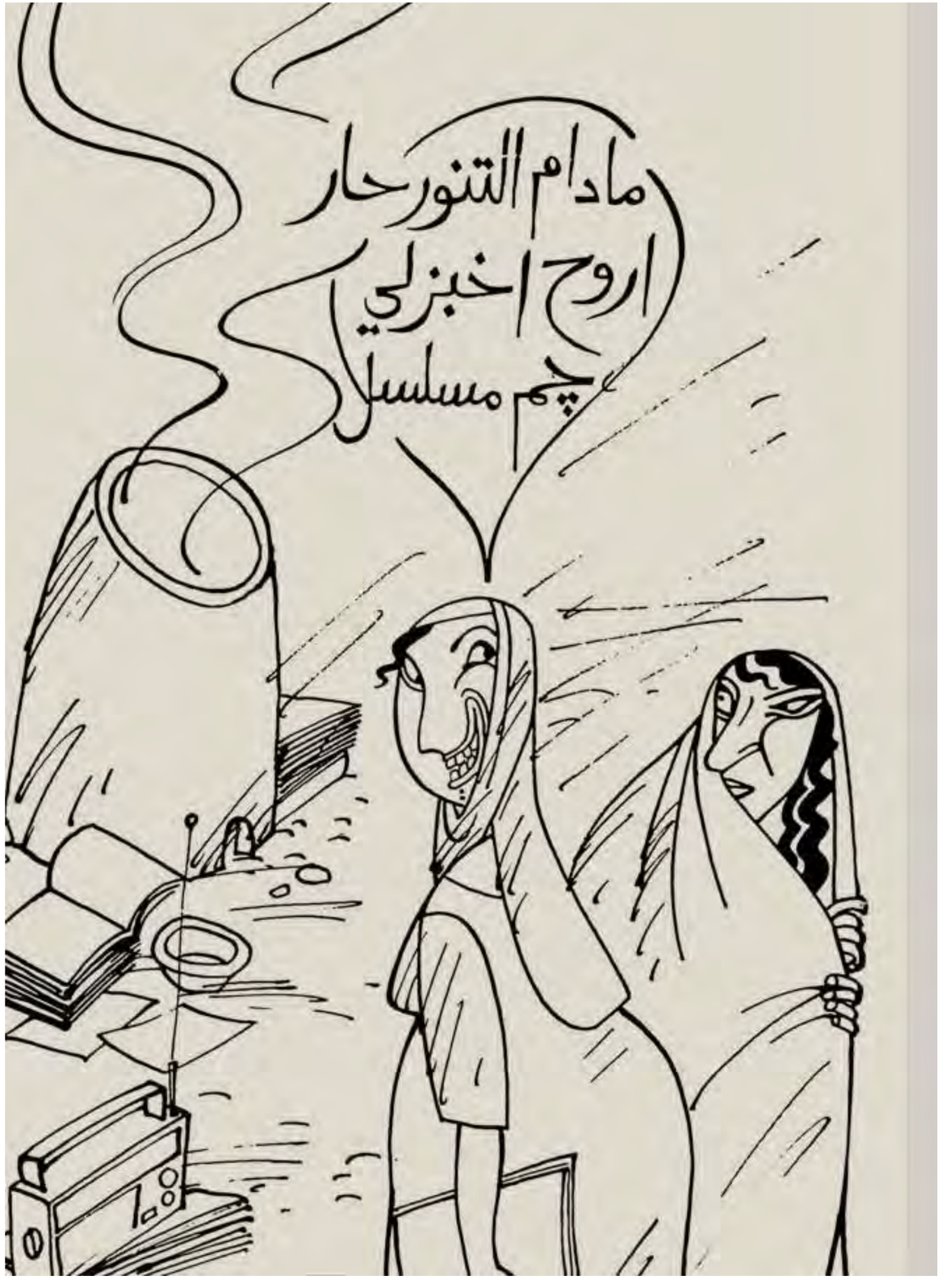
مادام التنور حار
اروح اخبزلي
چم مسلسل

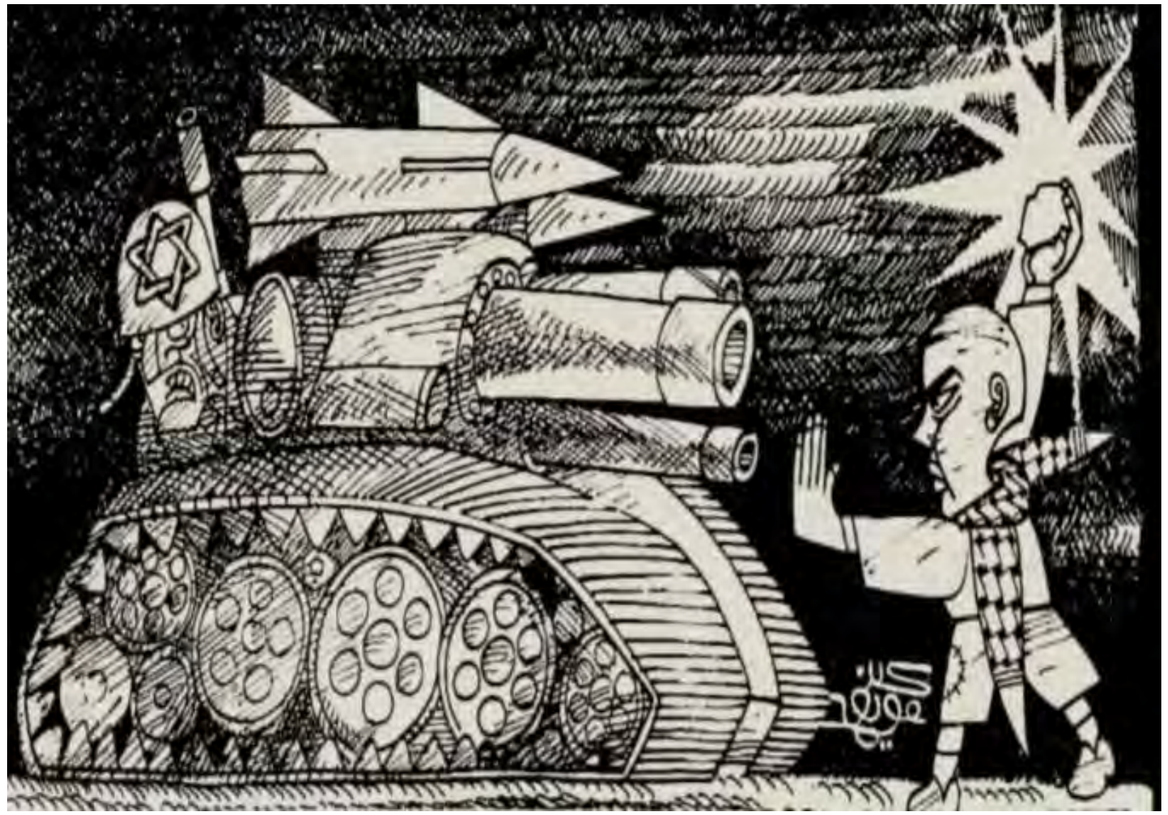

TERRORISM

لاتخافين
ابويه حرامي
مشهور
1990

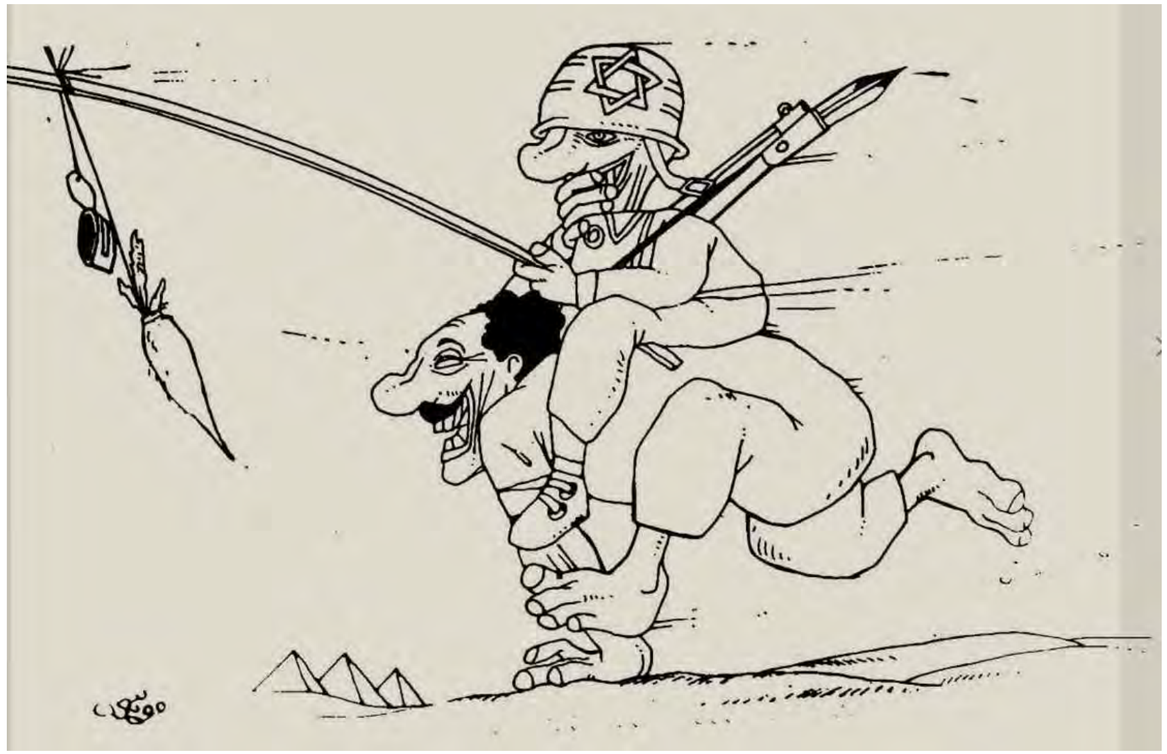

الجامعة العربية

U.S.A
H
N

كلشي لا تلعب
انتظرني دقيقتين
اكتب مسلسل
وأجي

الجامعة العربية

هوپهه

اششش
لاتكول آخ..
عيب
السوء السوء

حب.. بكاير
عاچ

آلو ... سيدي
آخذ وياه طرشي
وصمون حار ؟
مفخخه

الاصلاحات
لا ع زراطيه
القمه
العربيه

تعالي ساعديني
مطلوب مني عشرين اغنيه
ومسرحيه كوميديه
وسيناريو فلم
واربعين كرصة خبز

اشلون مشكله
نظمت قصيده
وخايف تطلع
مفهومه

حبيبي اثبتلي إنك فعلاً إتموت عليه

عسى
ولعلّ

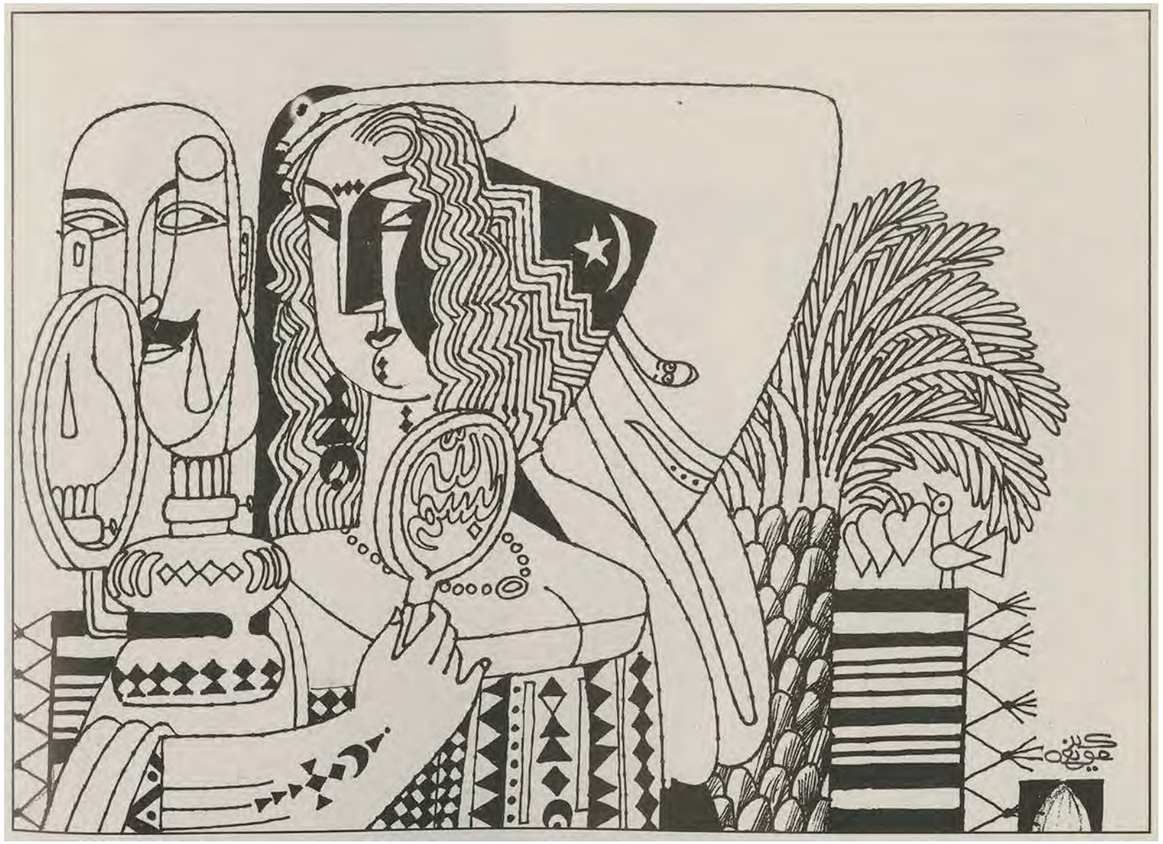

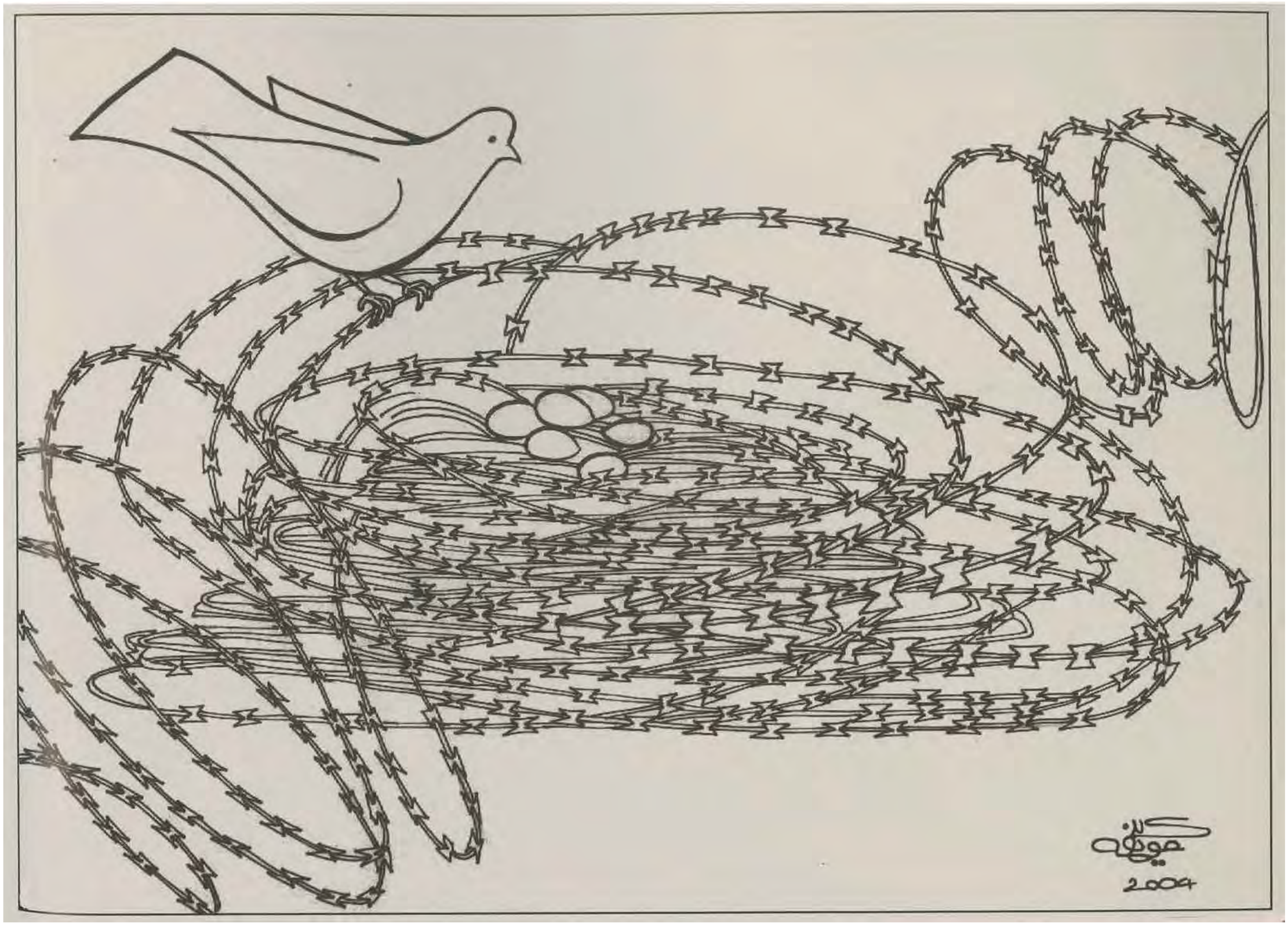

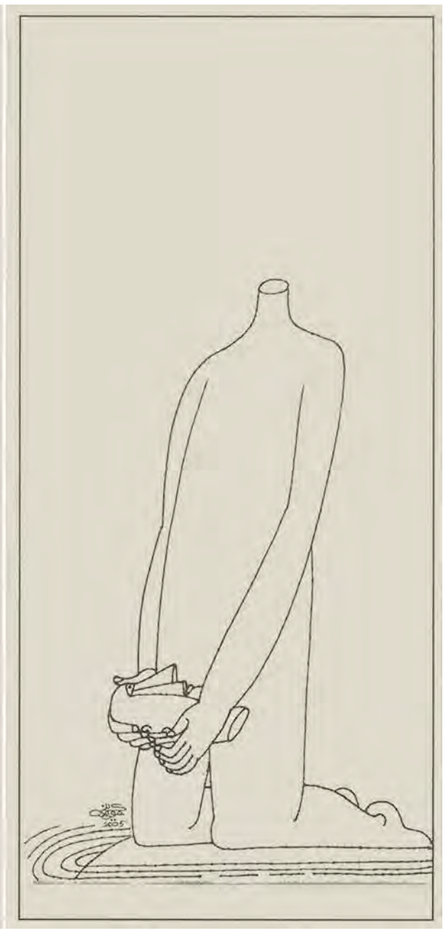

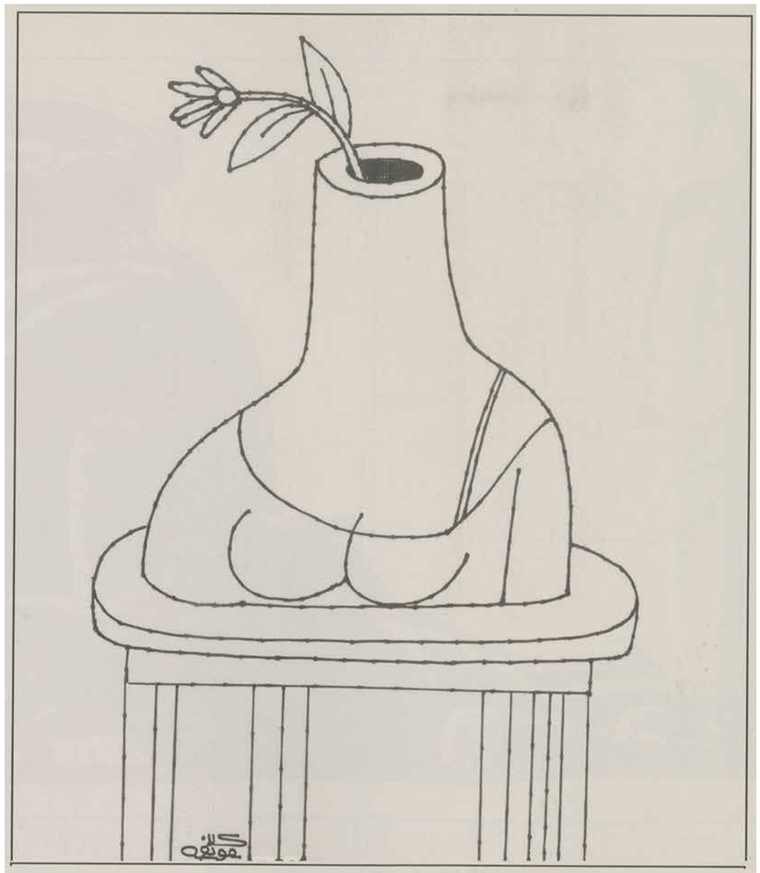

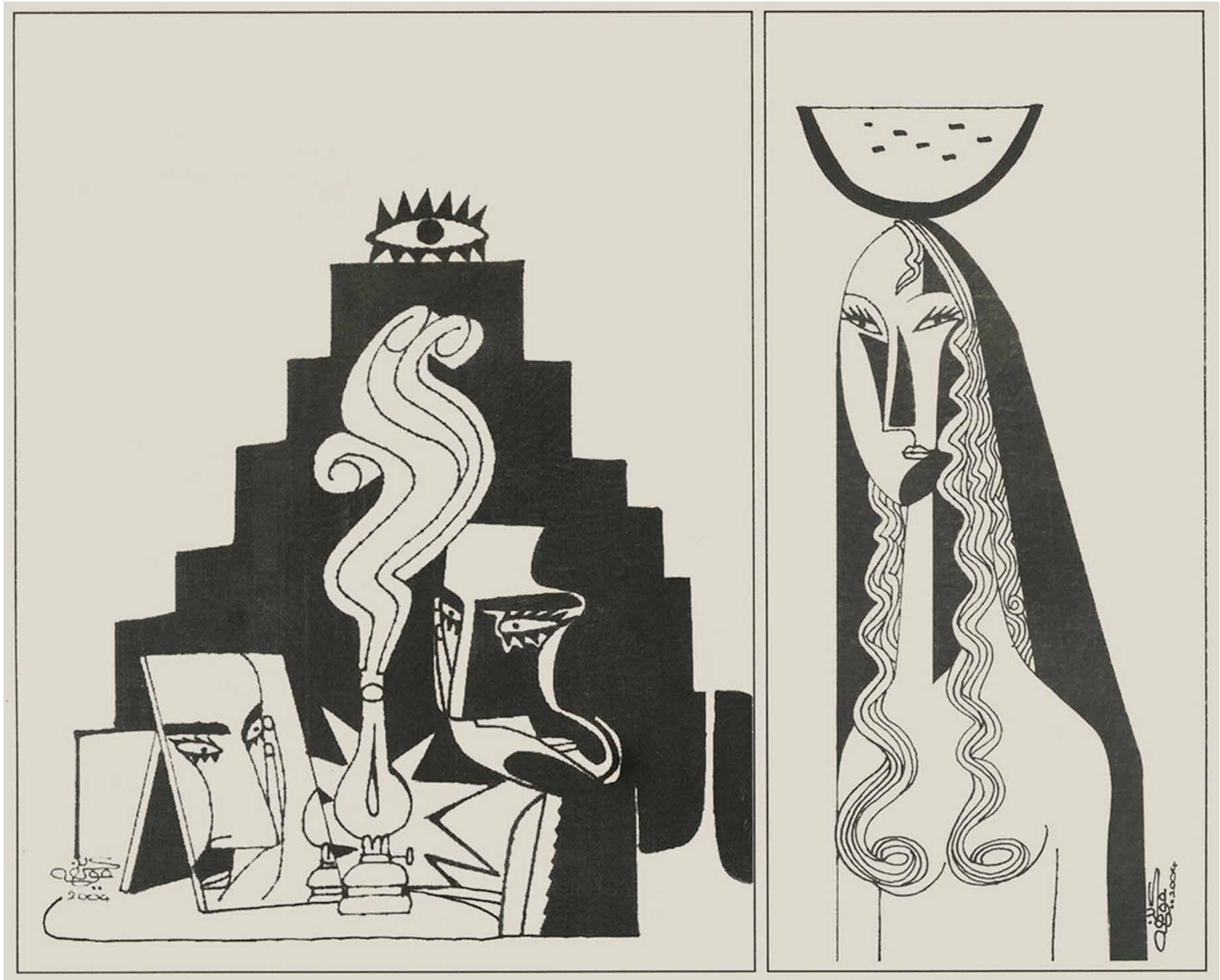

حلال
HALAL

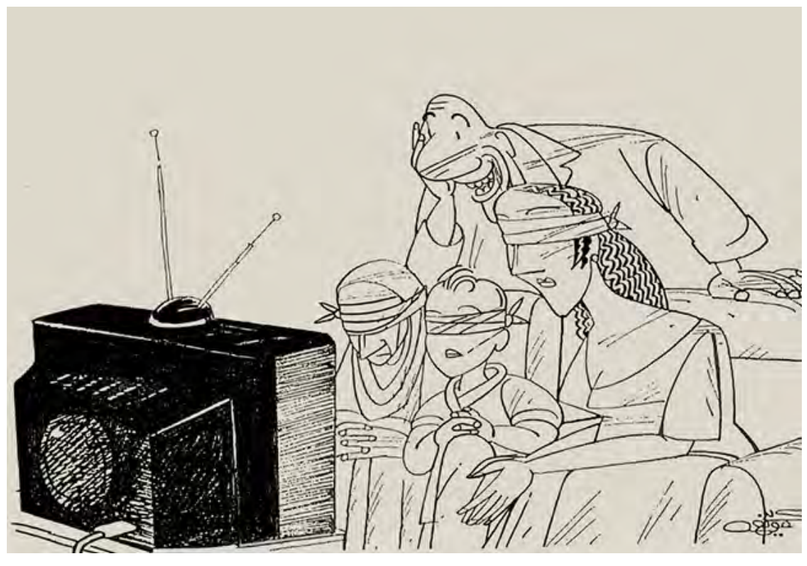

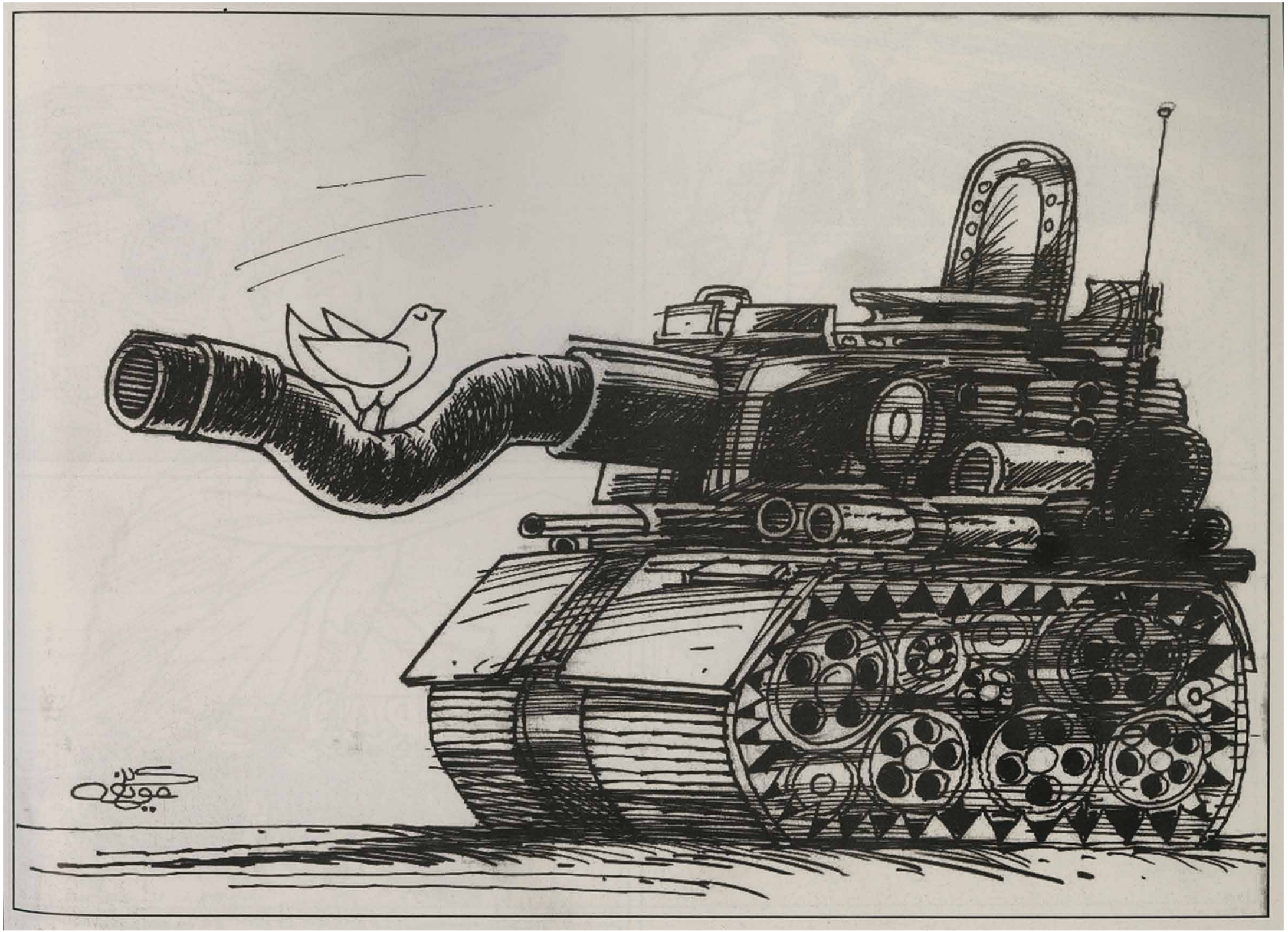

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

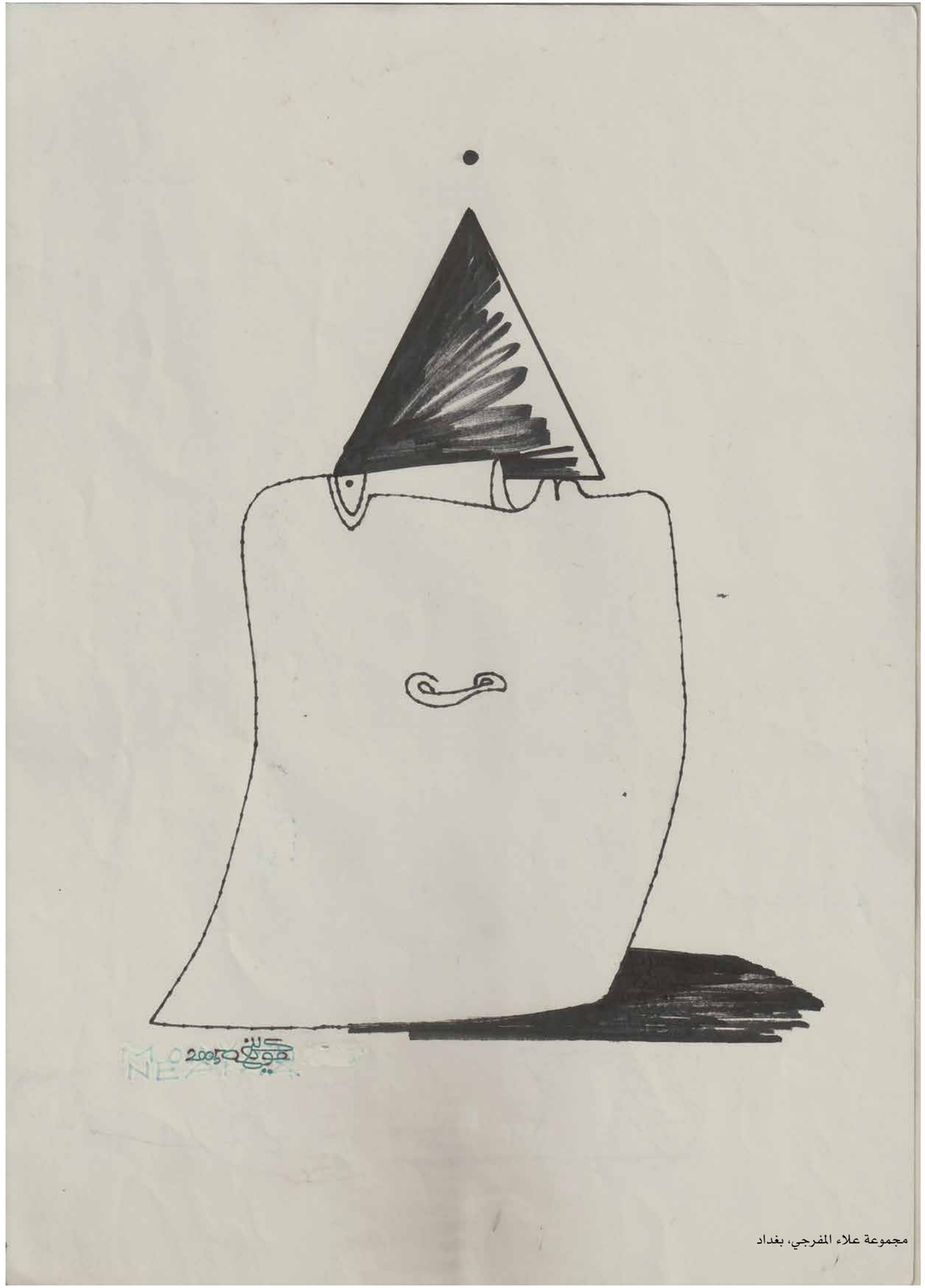

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

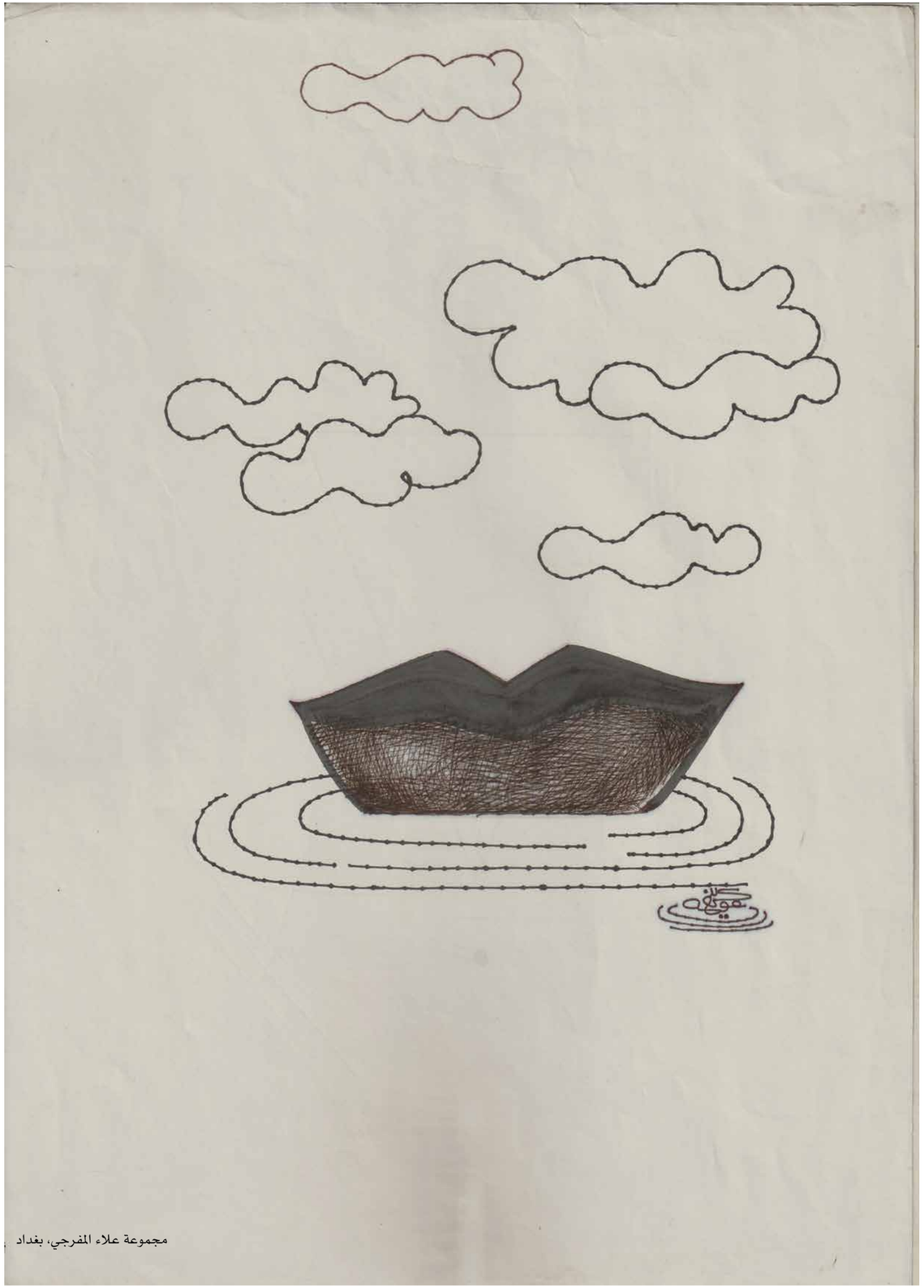

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

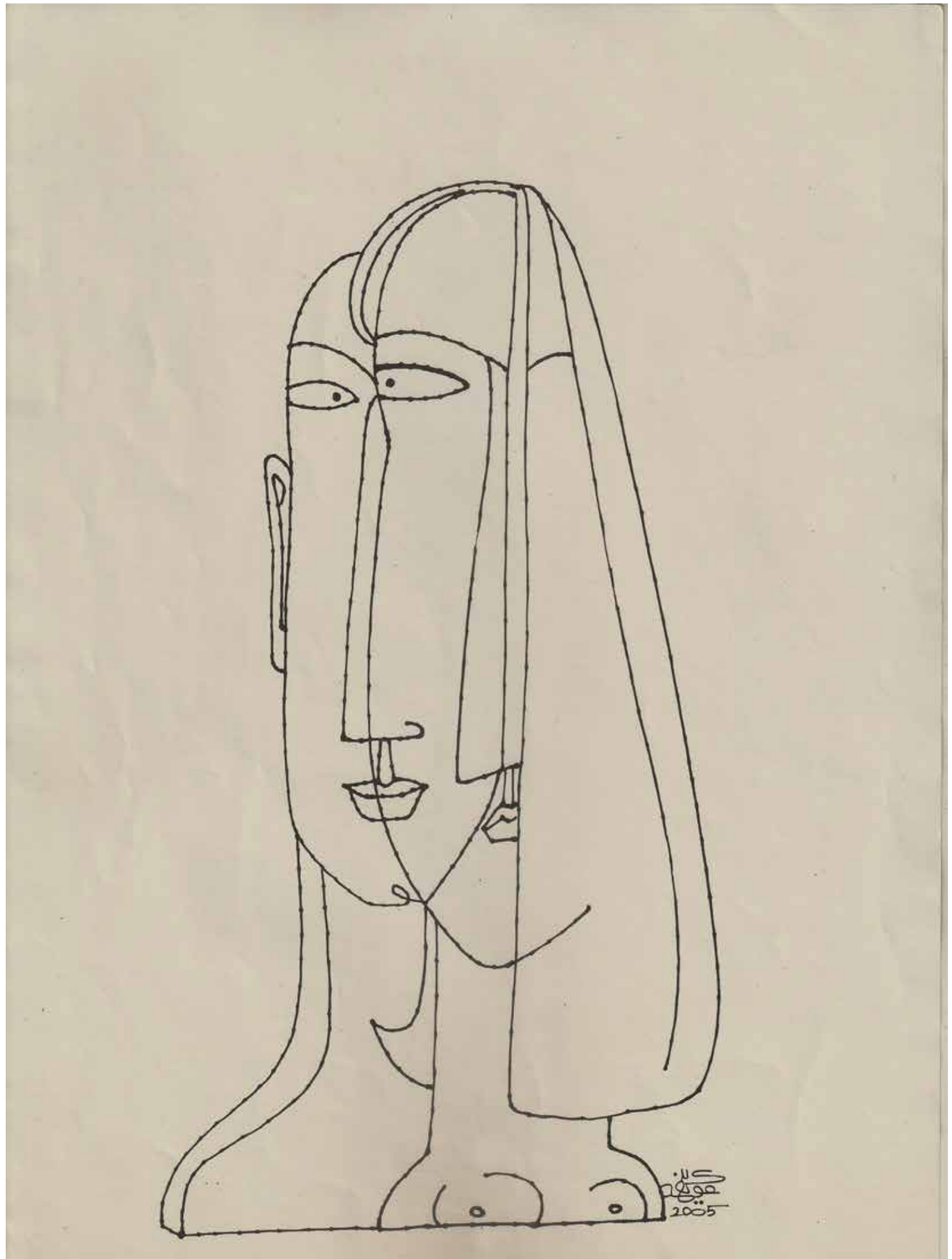

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

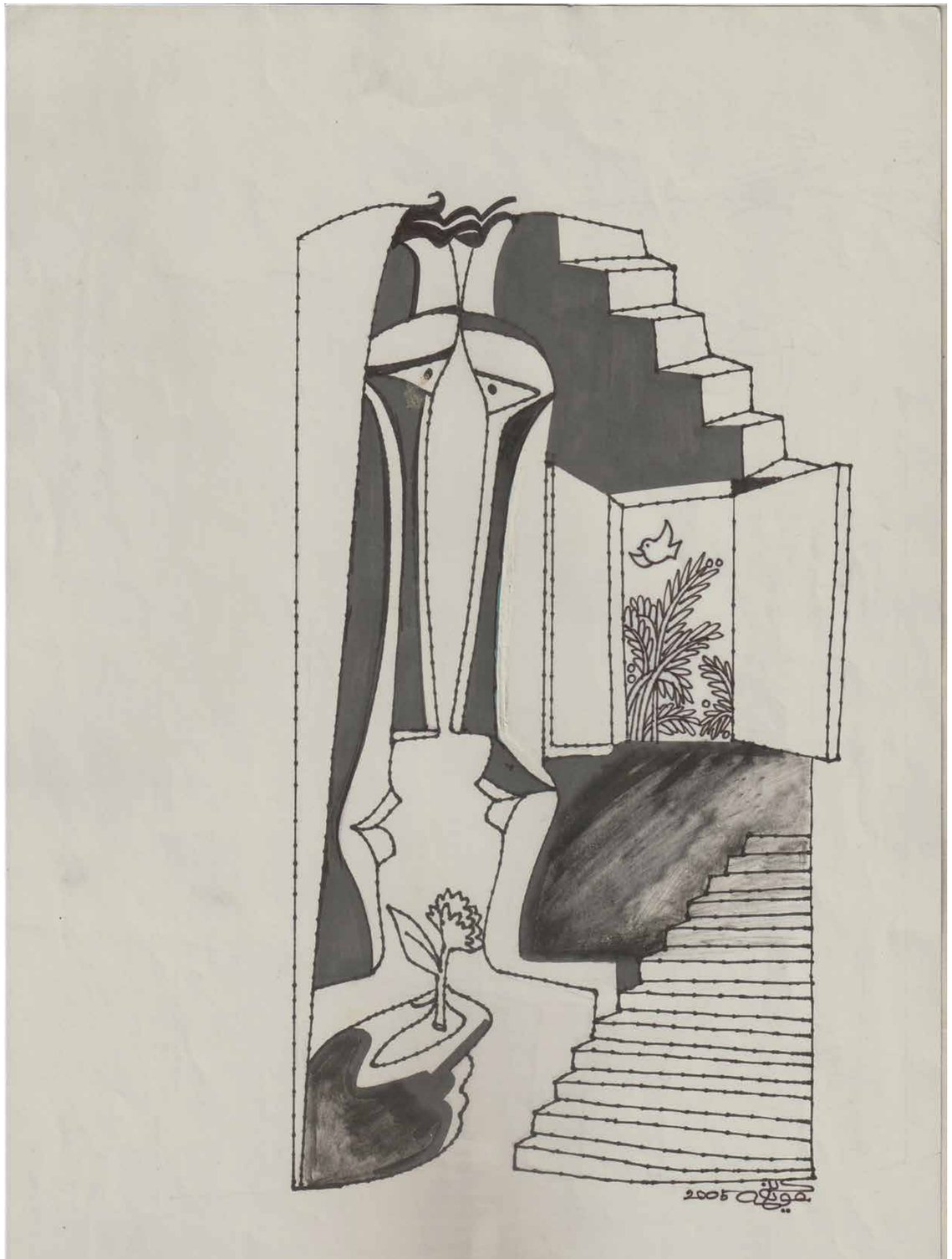

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

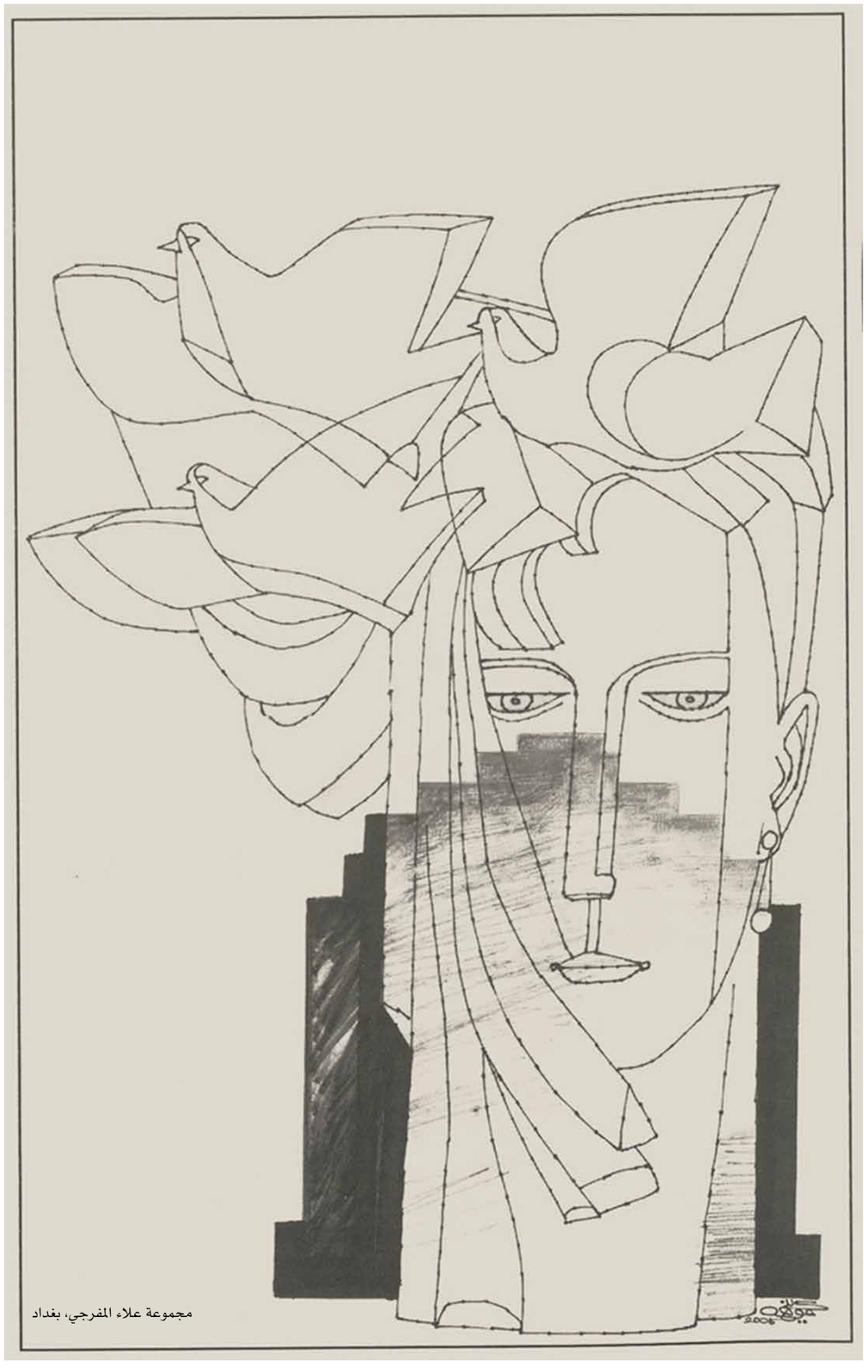

مجموعة علاء المفرجي، بغداد

صالون المجلة . بورتريت

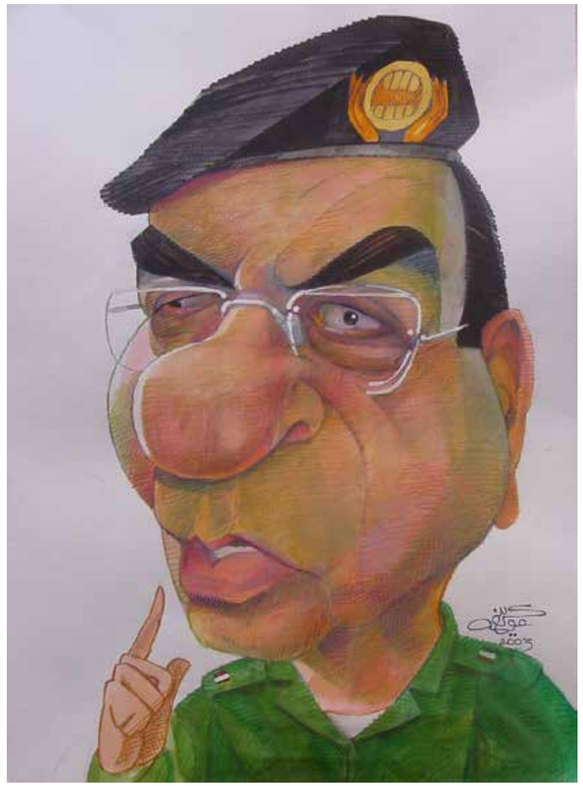

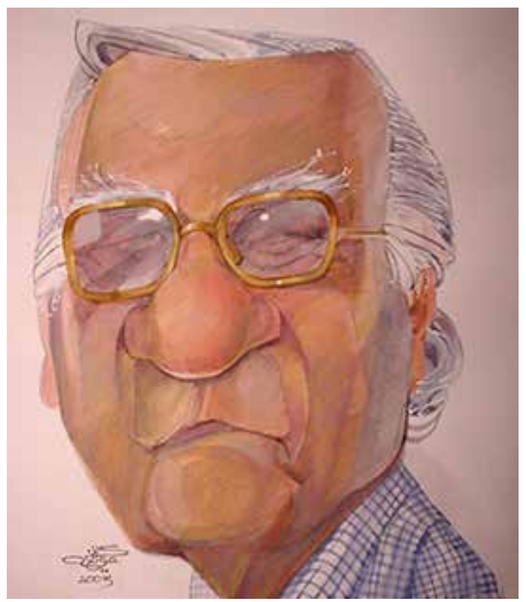

مؤيد نعمة،
بورتريت كوندليزا رايس،
محمد الصحاف،
عدنان الباجة جي
صدام حسين.

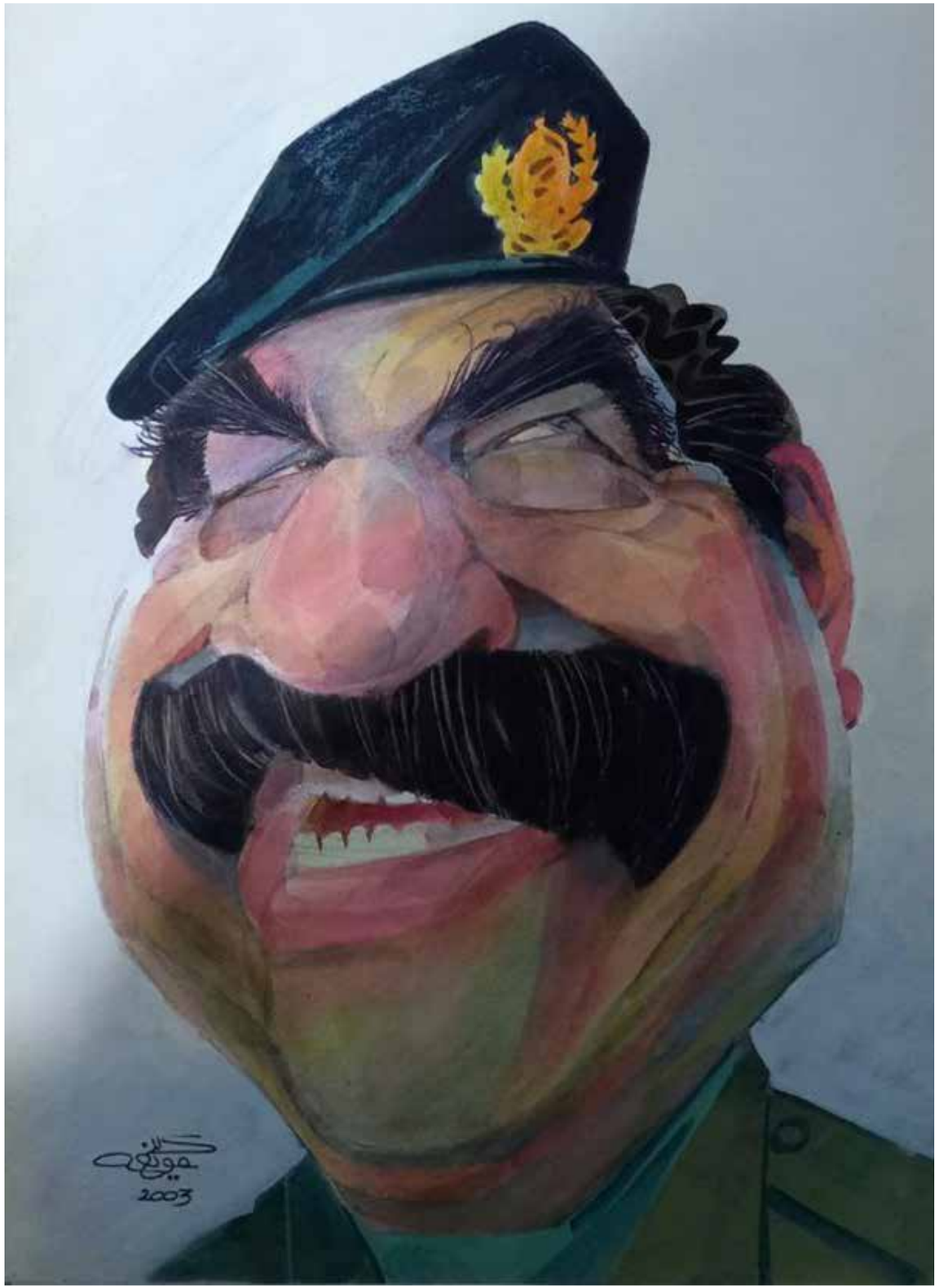

مؤيد نعمة
بورتريت الفنان اسماعيل فتاح
علي ماهر
الفنان ضياء العزاوي

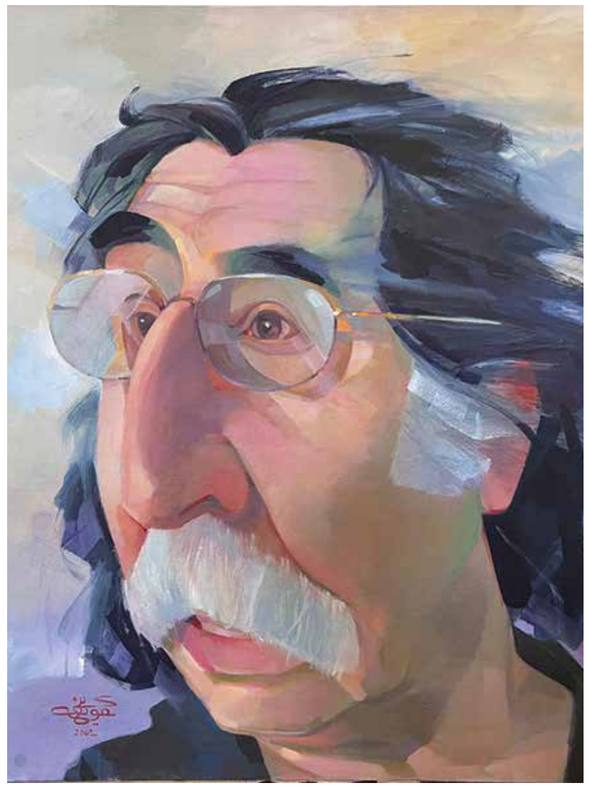

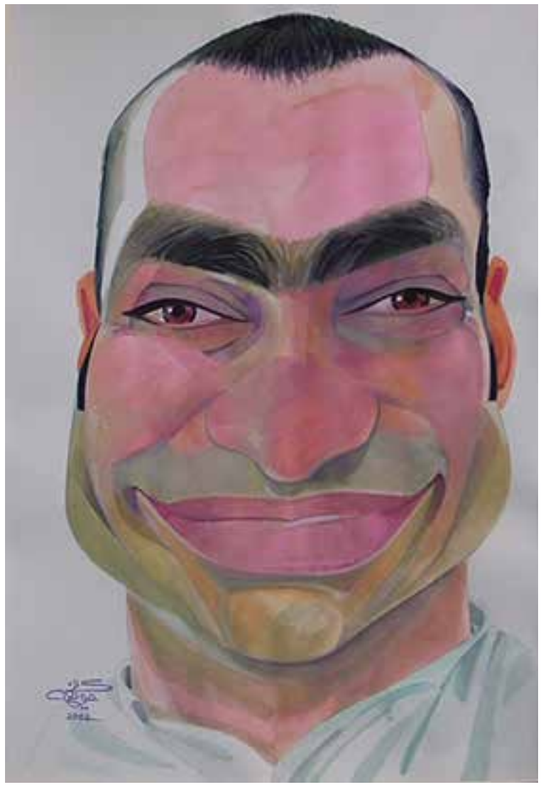

مؤيد نعمة،
بورتريت .....
الغزاوي،
حسين،
ماجدولين الغزاوي

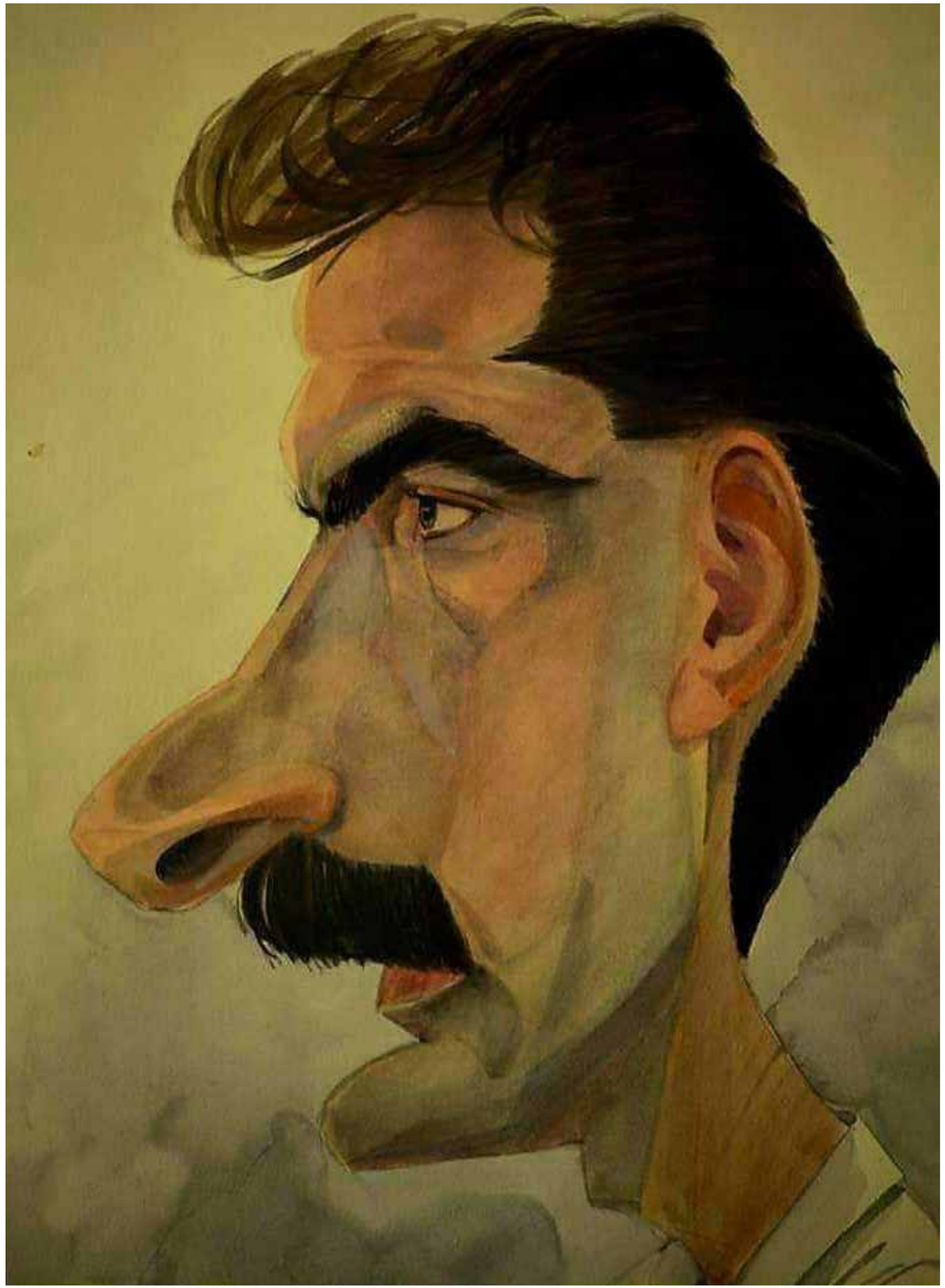

مؤيد نعمة،
بورتريت المسرحي جواد الشكرجي،
الفنان عاصم فرمان،
قاسم حمزة ،
الفنان زيد سعد شاكر

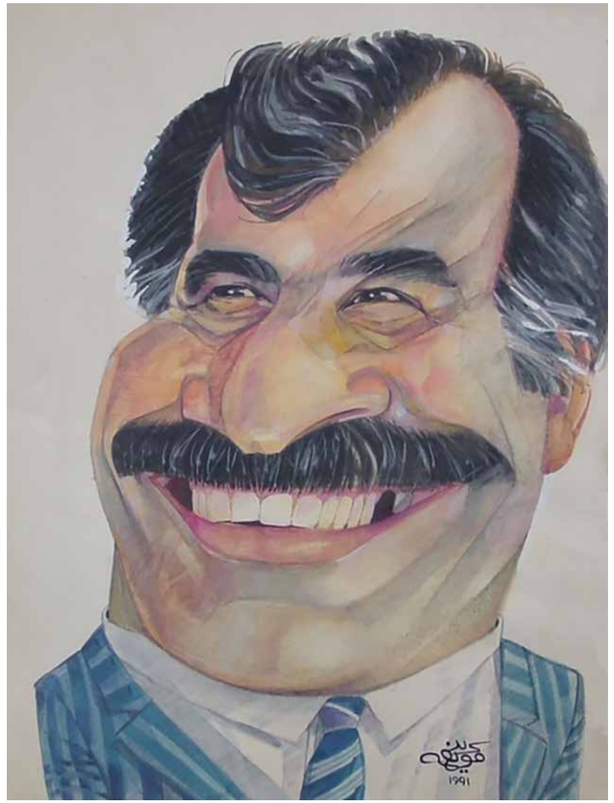

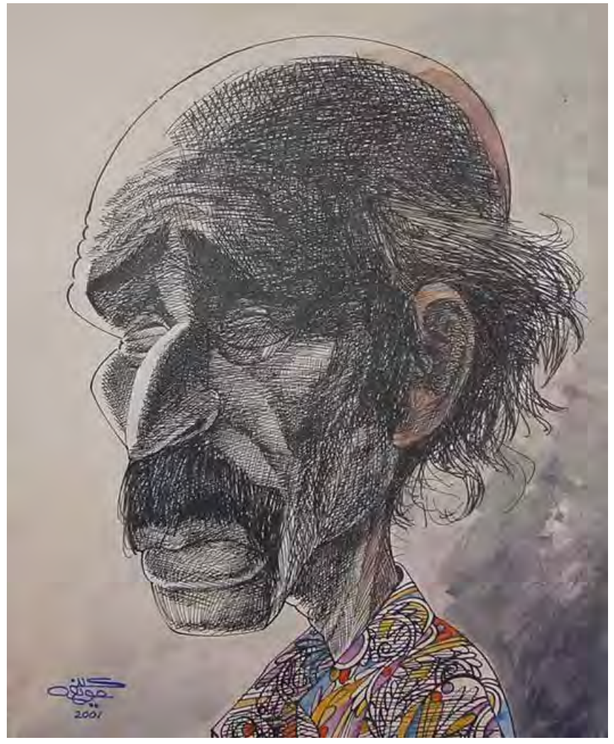

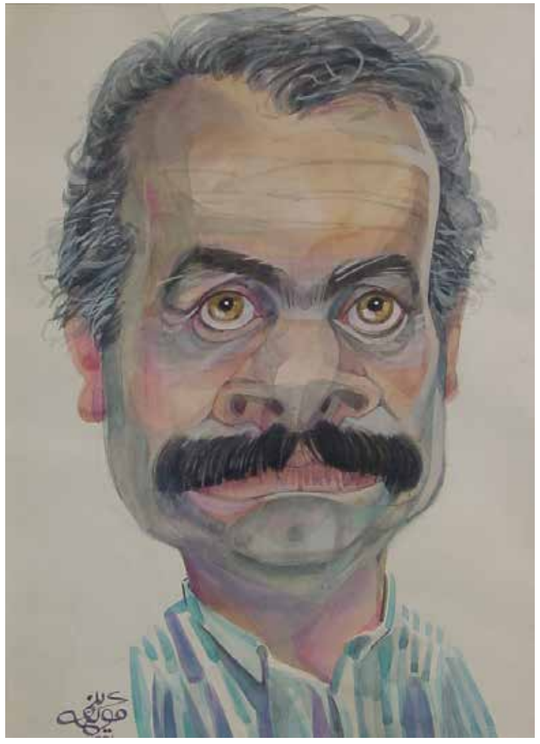

مؤيد نعمة،
بورتريت الفنان غسان غائب،

مؤيد نعمة
بورتريت الفنان دلير سعد شاكر

مؤيد نعمة،
بورتريت علي الزيني ،
الفنان محمد العامري
الفنان محمد الشمري
الفنان تركي حسين
...

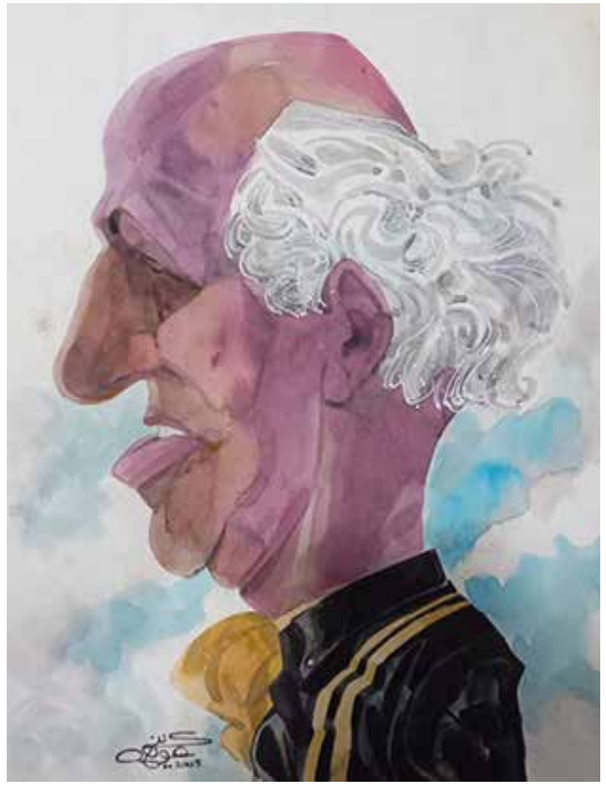

مؤيد نعمة،
بورتريت الفنان سامر إسامة ،
هالة الاوقاتي
محمد بدر

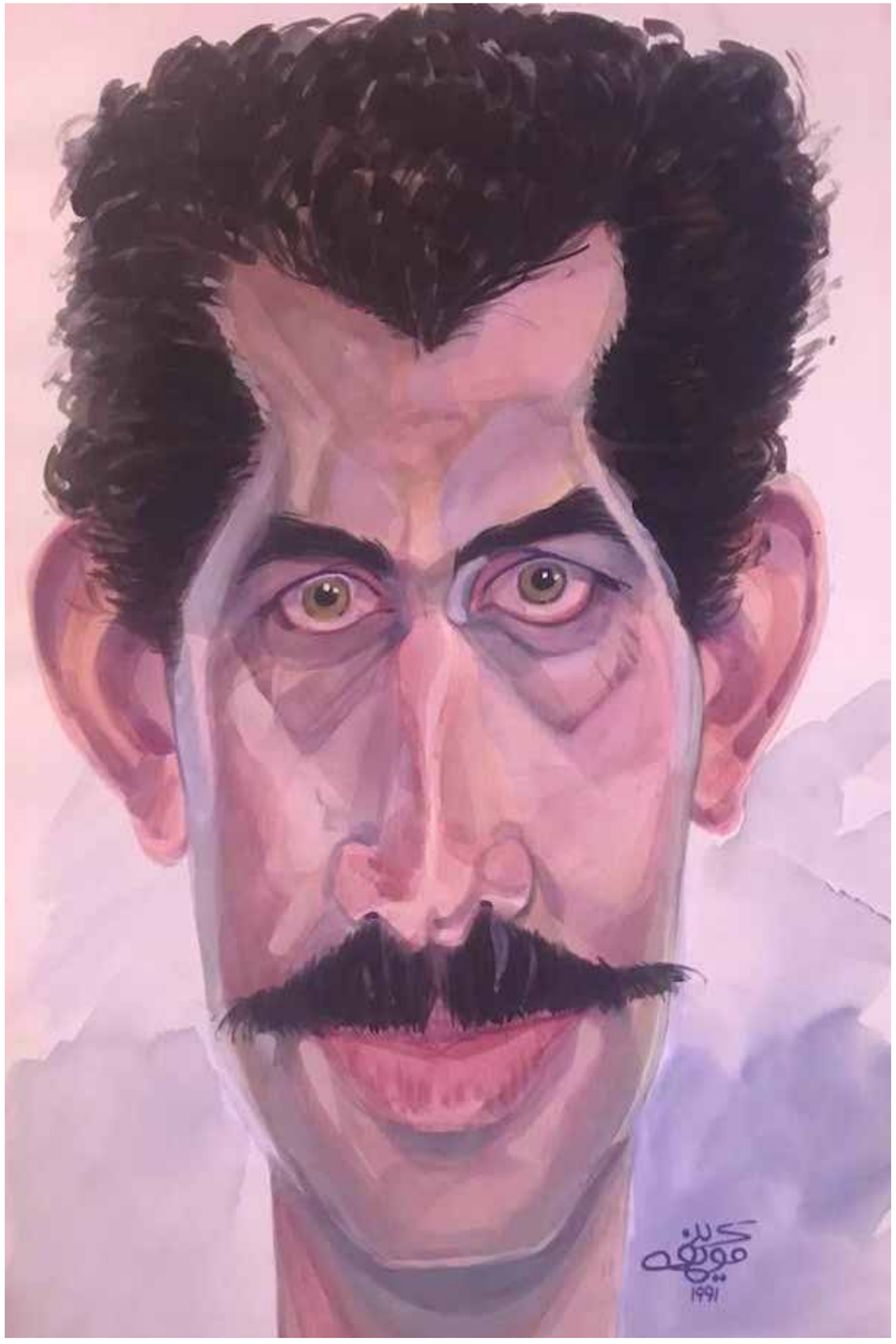

الفنان فائق حسن، للفنان مؤيد نعمة

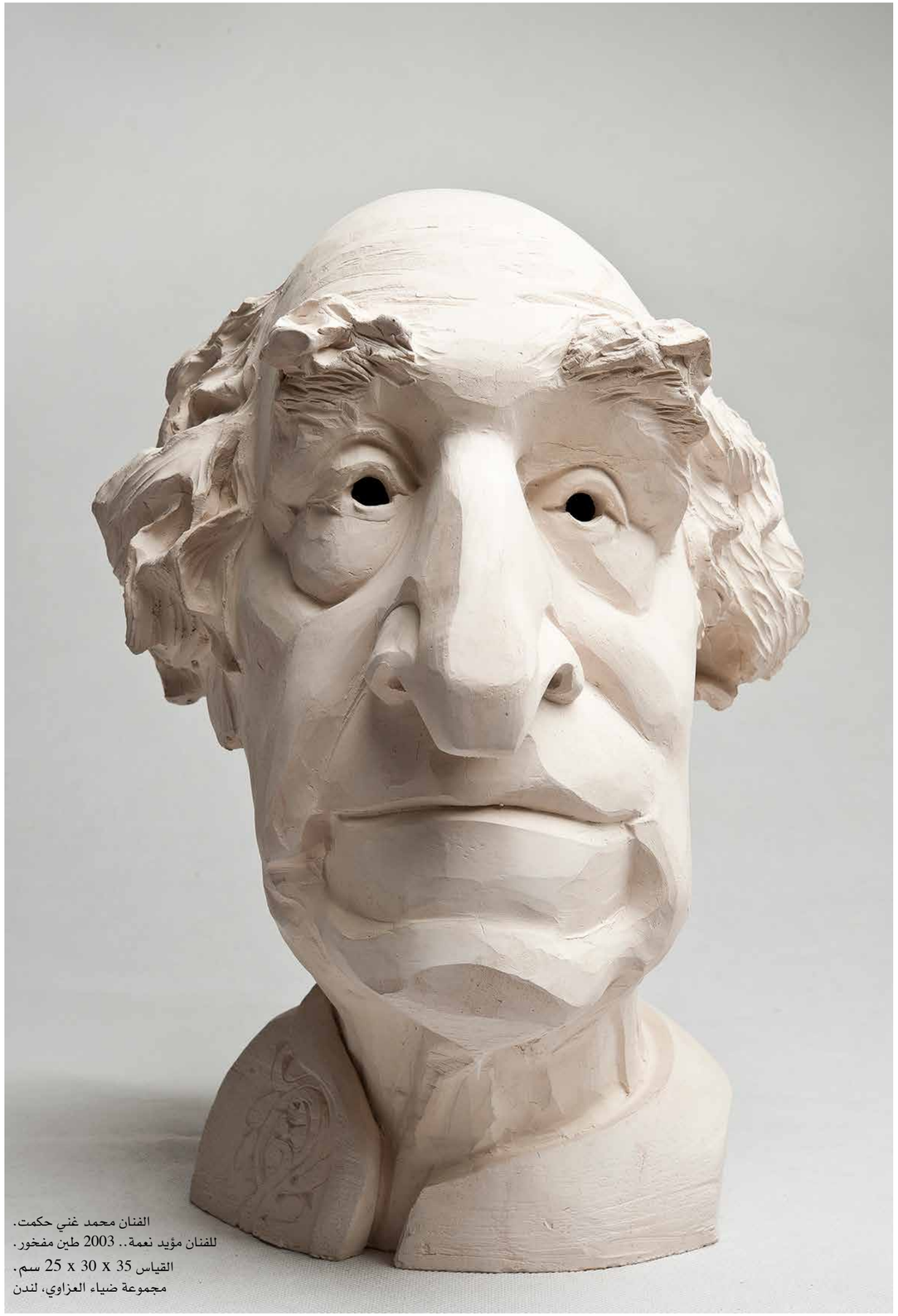

الفنان محمد غني حكمت.
للفنان مؤيد نعمة.. 2003 طين مفخور.
القياس 35 x 30 x 25 سم.
مجموعة ضياء العزاوي، لندن

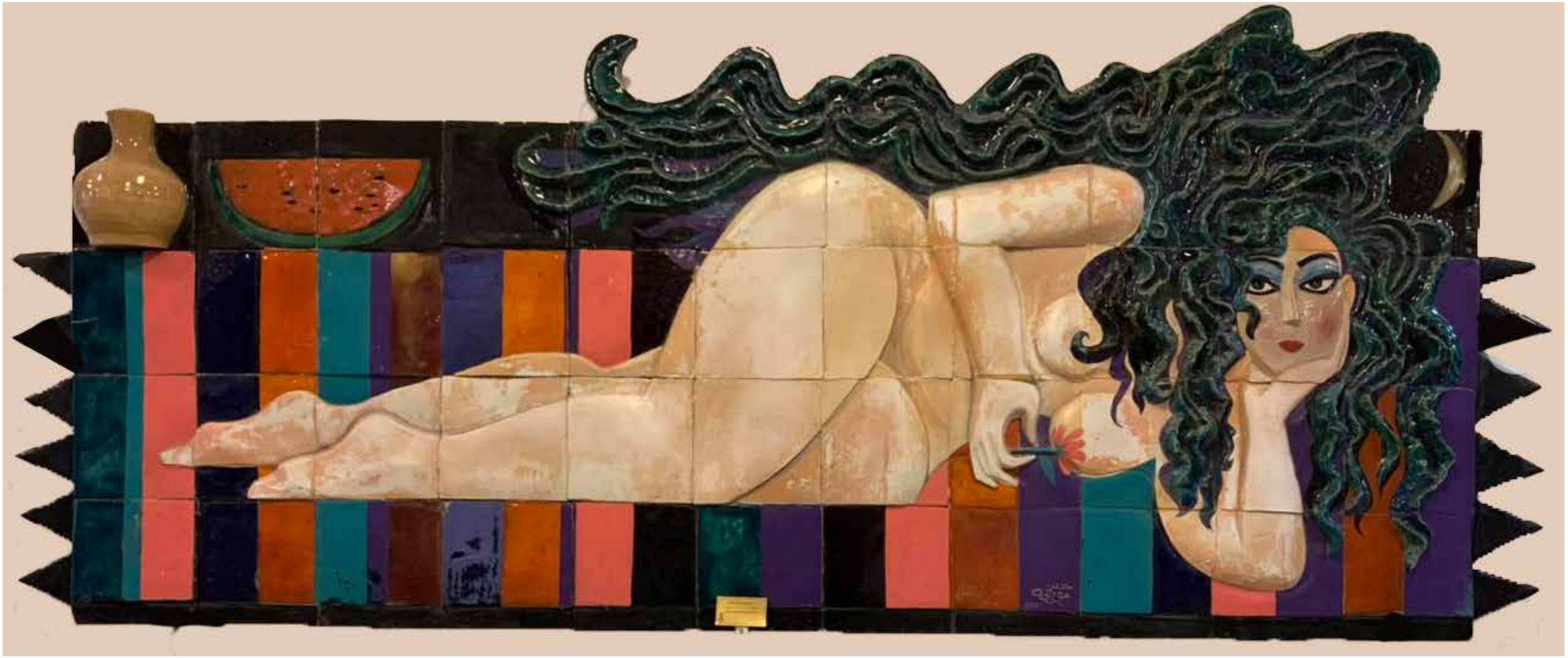

مؤيد نعمة، جدارية سيراميك 150 x 240 سم

الفنان رافع الناصري.
للفنان مؤيد نعمة، 2003 .طين مفخور . القياس
20 x 22 x 47 سم.
مجموعة ضياء العزاوي، لندن

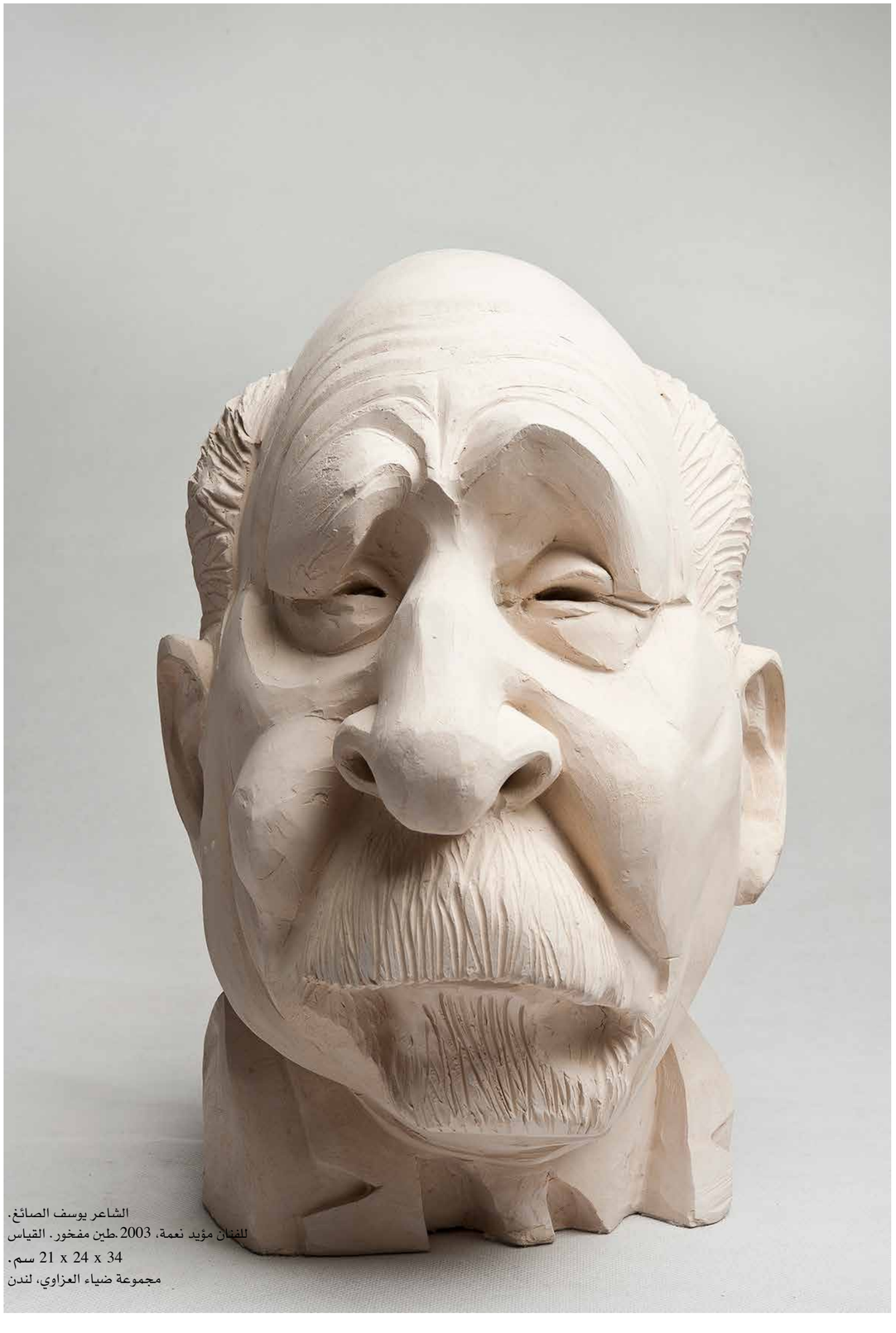

الشاعر يوسف الصائغ.
للفنان مؤيد نعمة، 2003 .طين مفخور . القياس
34 x 24 x 21 سم.
مجموعة ضياء العزاوي، لندن

الشاعر سعدي يوسف
للفنان مؤيد نعمة، 2003 .طين مفخور .
القياس 43 x 19 x 17سم.
مجموعة ضياء العزاوي، لندن

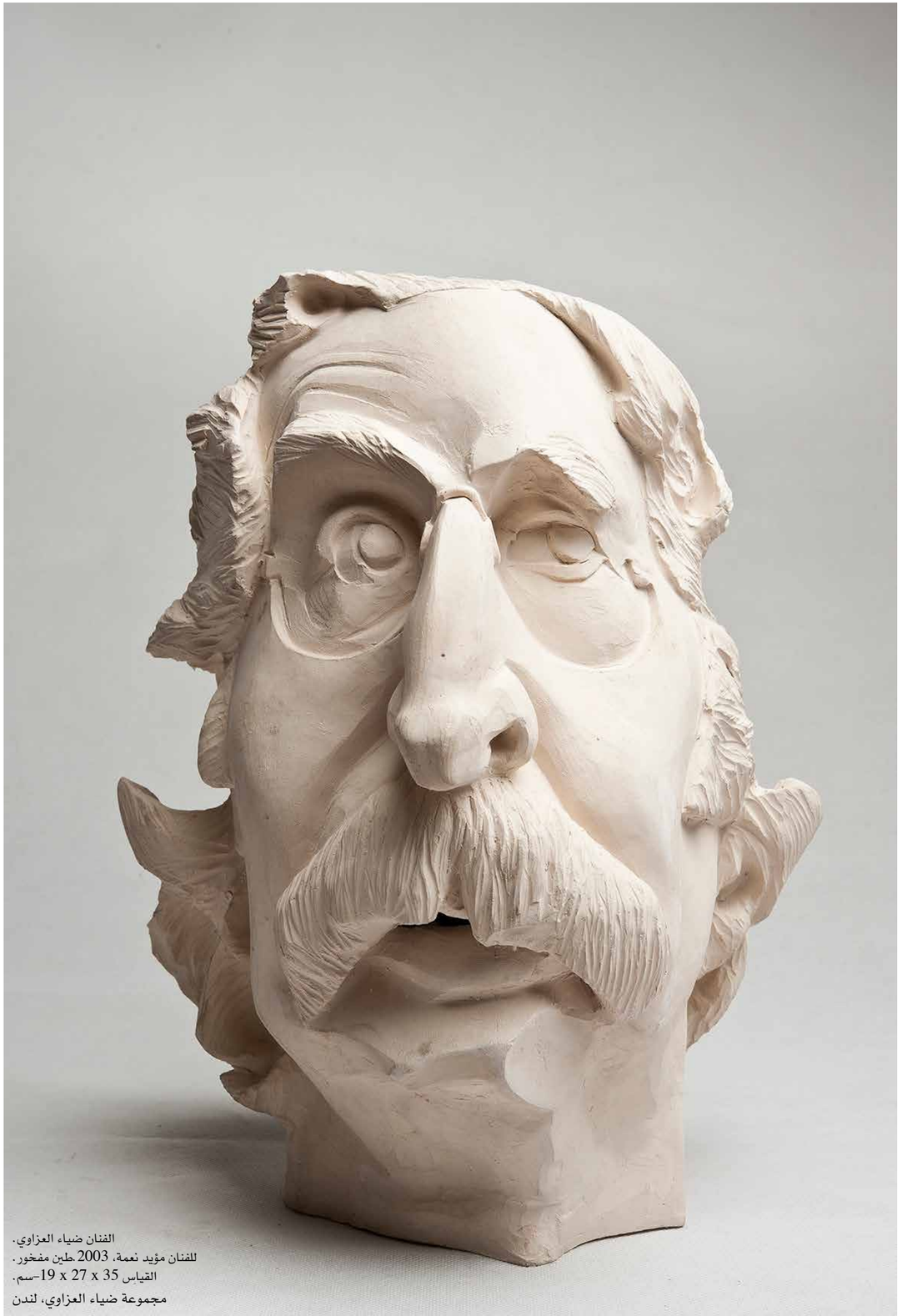

الفنان ضياء العزاوي.
للفنان مؤيد نعمة، 2003 .طين مفخور .
القياس 35 x 27 x 19–سم.
مجموعة ضياء العزاوي، لندن

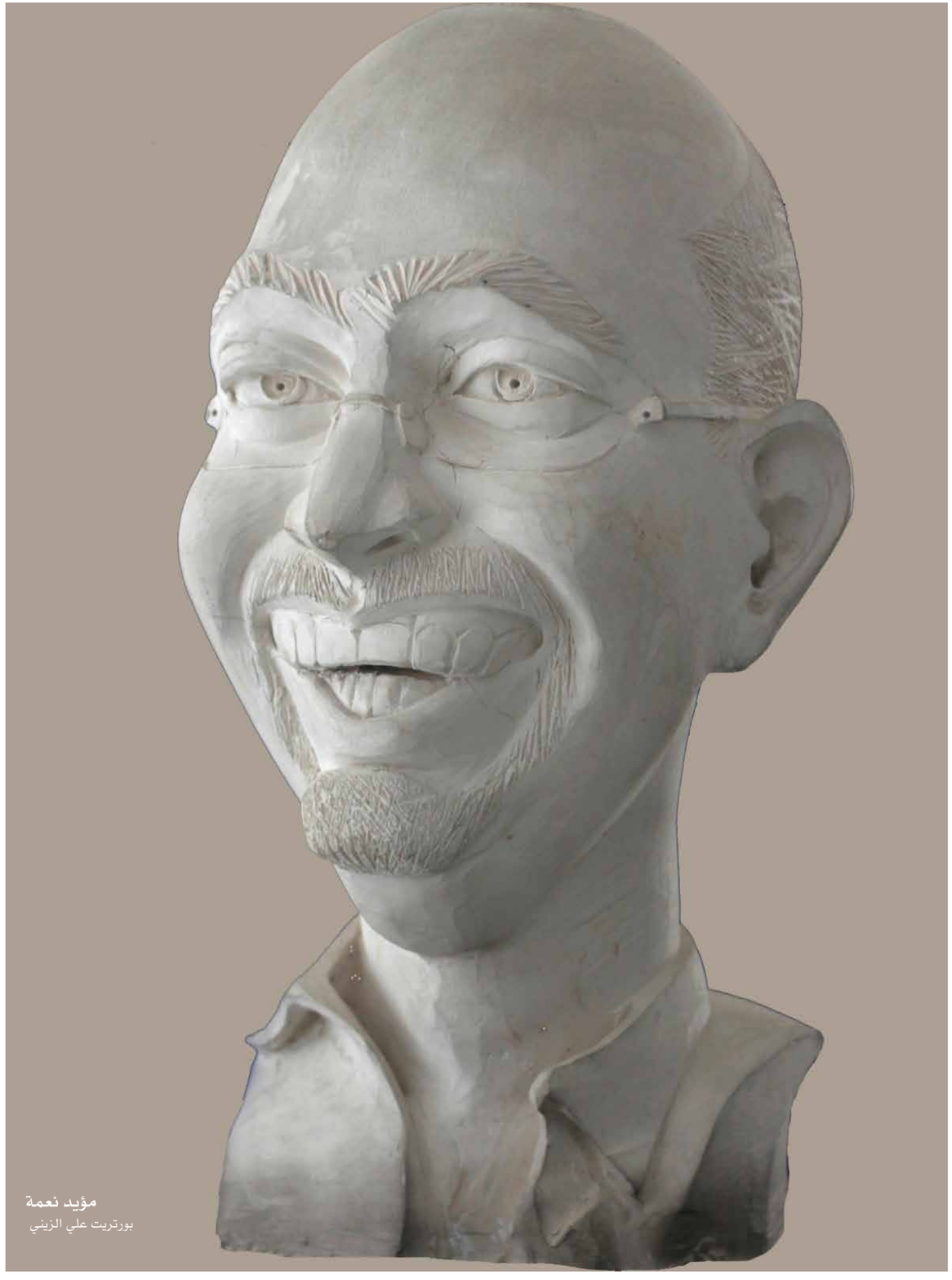

مؤيد نعمة
بورتريت علي الزيني

وثائق

الصباح الجديد
صاحب الامتياز رئيس التحرير
اسماعيل زاير
www.newsabah.com
info@newsabah.com
ALSABAH ALJADEED
جريدة يومية سياسية مستقلة

ملحق خاص

مؤيد نعمة

وداعا

مؤيد نعمة .. ذاكرة بلد

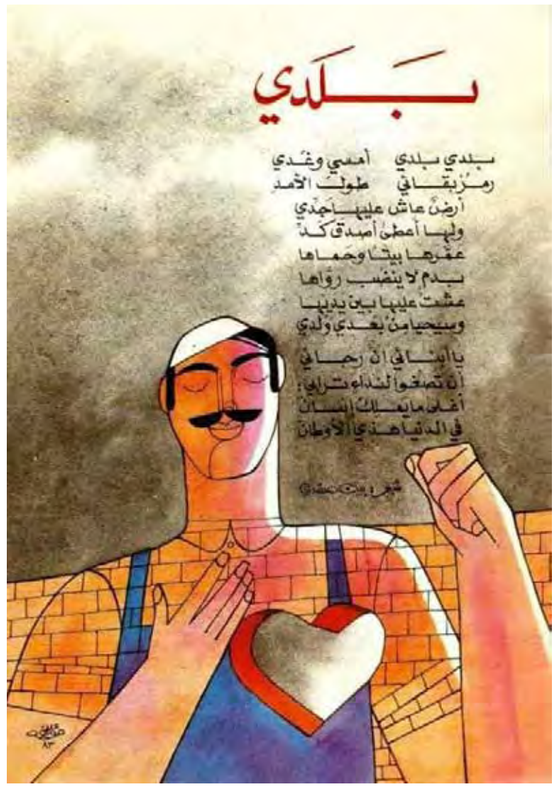

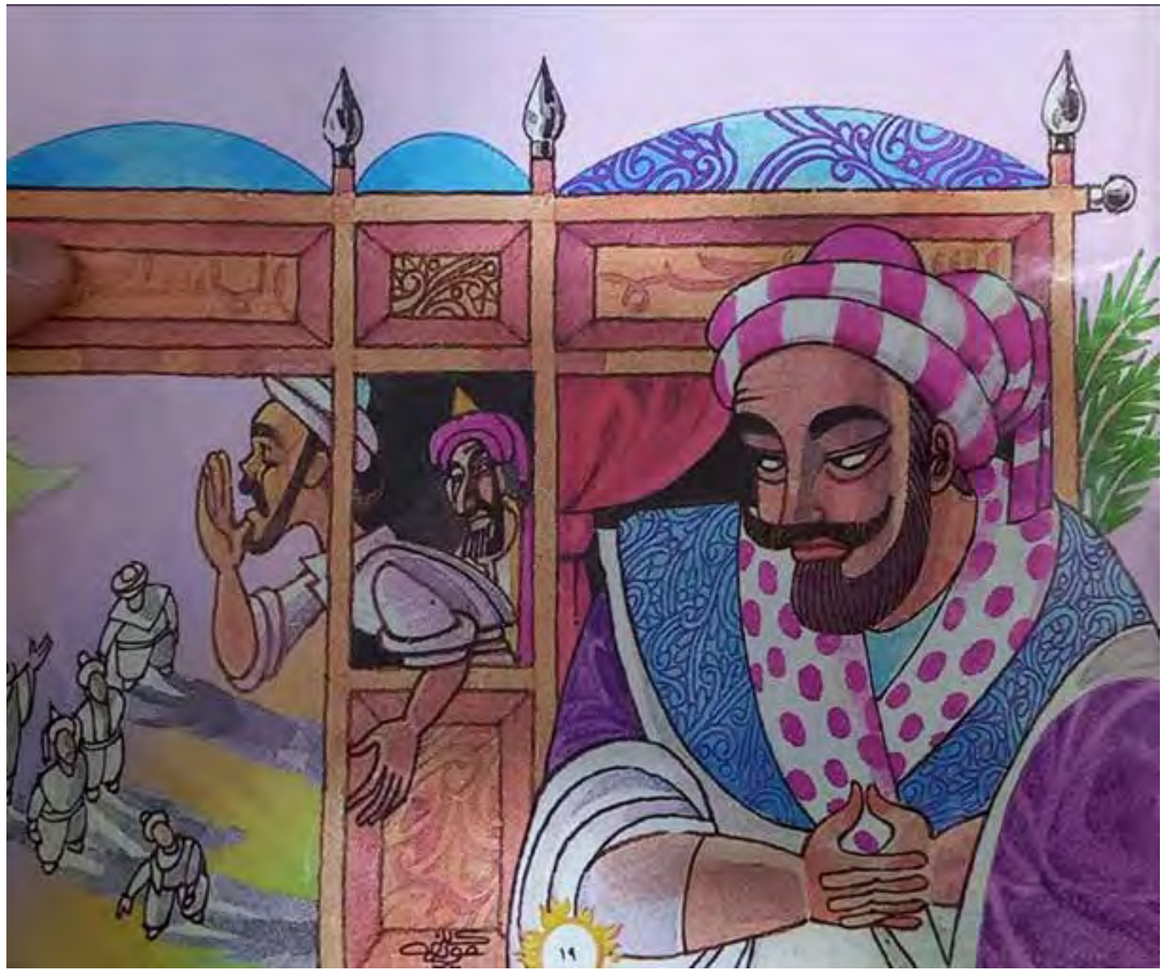

من رسوم مؤيد نعمة في مجلتي

من رسوم مؤيد نعمة في مجلتي

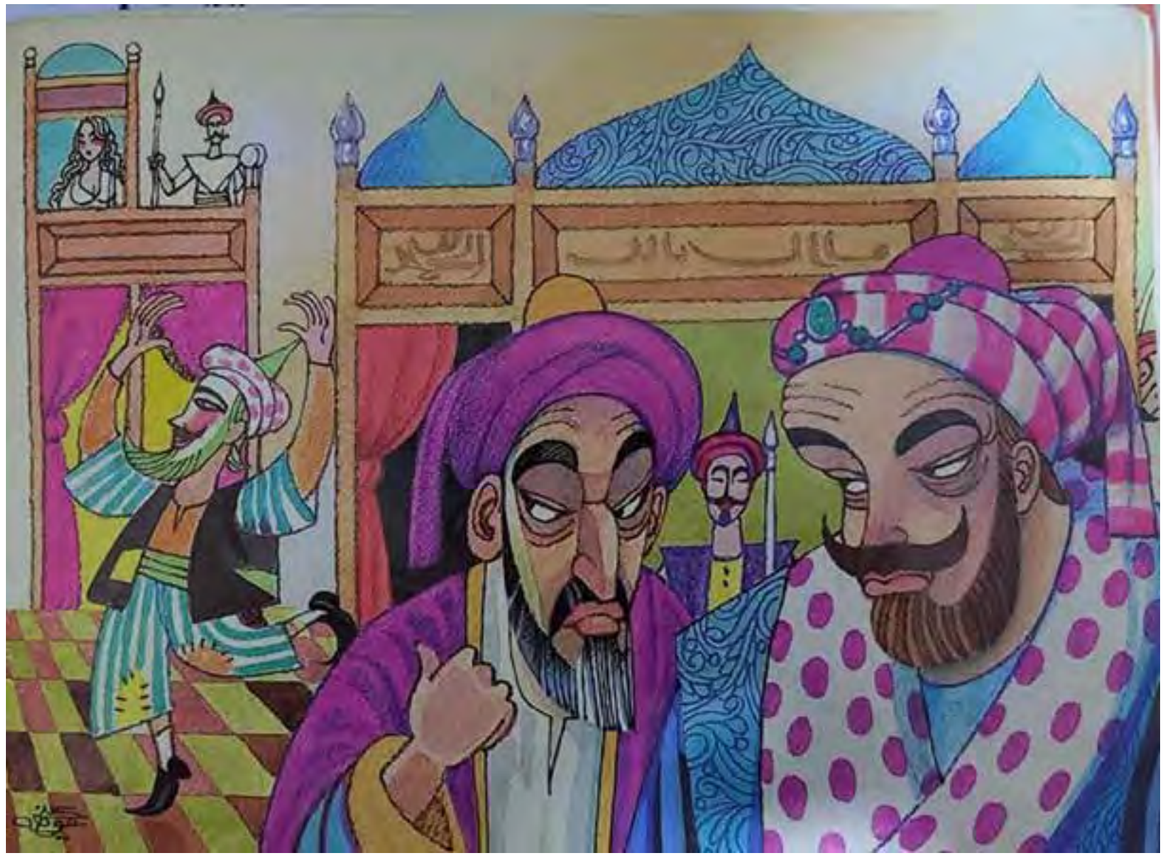

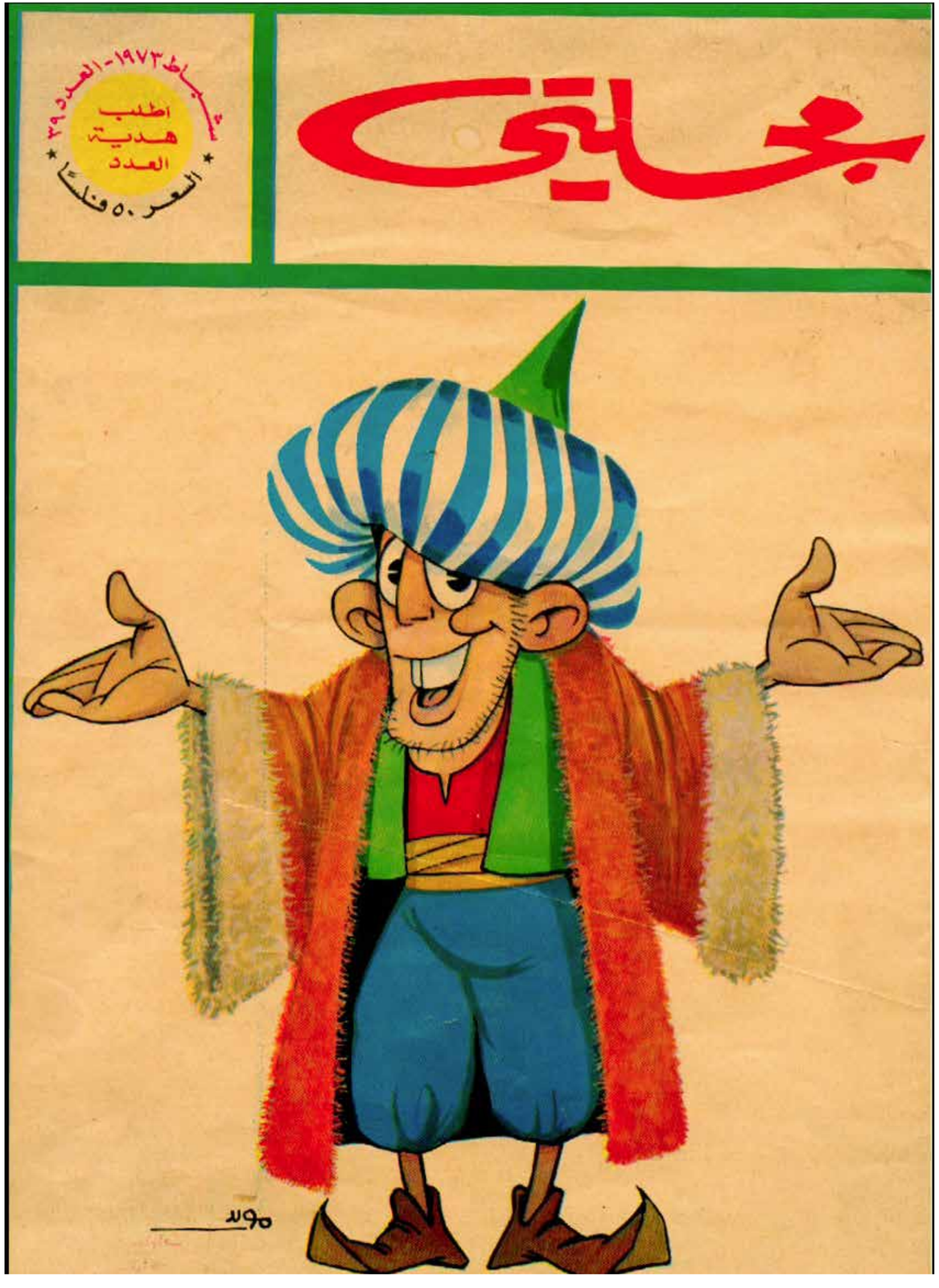

دار ثقافة الاطفال
جلنار
العدد (٨) السنة الرابعة عشرة الاثنين ٢١/٢/١٩٨٣

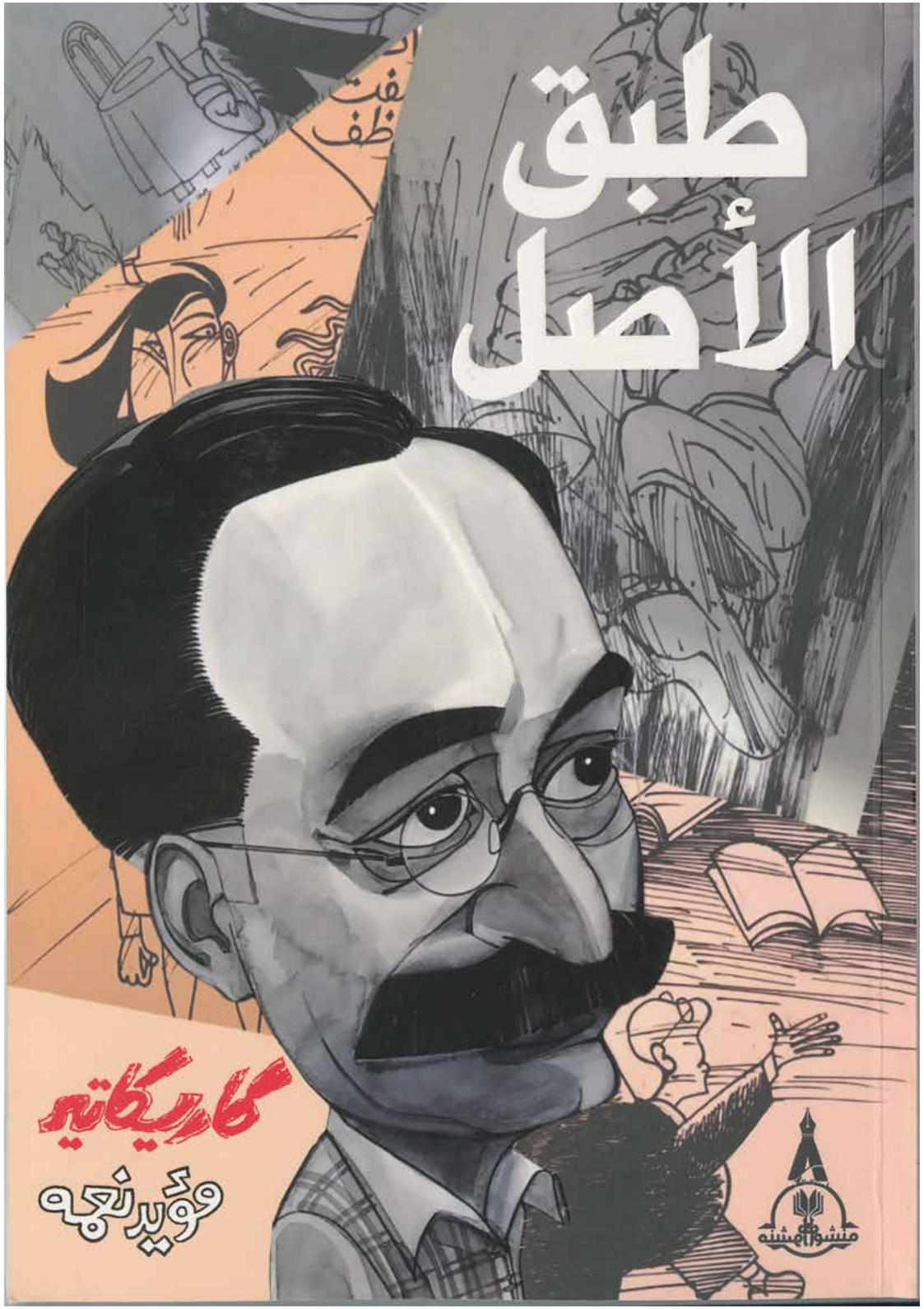
طبق الأصل
كاريكاتير
فؤيد نجمه
منشورات المشنه

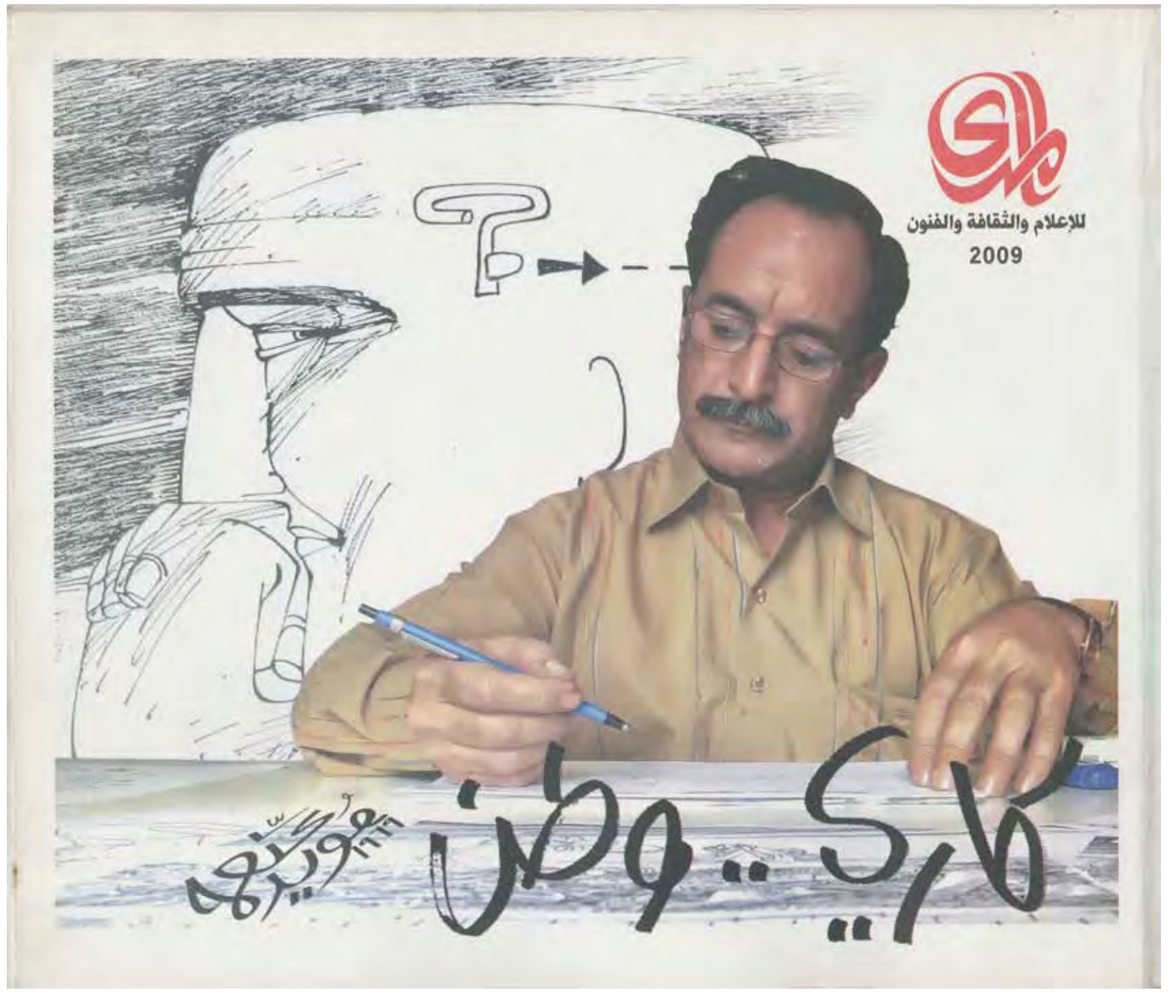

بغداد في ٧-٧-١٩٨١

صديقي العزيز عمار

تحياتي واشواقي لرؤياك وسماع اخبارك والصدفه وحدها هي التي حملتني الى دائرة بريدك لاستلام اول رساله منك .

عزيزي

يبدو انك لم تسمع عن التحاقي بالجيش منذ ١٩٨٠/٩/٧٠ ولحد الان حيث الحرب والانتصار في واحده من جبهات القتال ضد اخبث اعداء البشر .. اعداء البشر .. رجال الدين في ايران . على اي حال انا في خان نوضف وبداية مستقبلك المشرق حقاً .. اضحك واعمل واعشق واهضم الامور جيداً ولا تدع لحظة واحده تهرب منك دون استفاده .

عمار

اليوم هو الاخير من اجازتي المتواضعه .. اليوم هو الثاني من الشهر الثاني لسنة ١٩٨١ وانا اتوق شوقاً للعوده الى الرسم وعملي وشاريعي ..

واعلم بأن « دار الفكاهة والهزل » في بلغاريا قد اختارني قبل شهر من الان واحداً من ٥٠ فناناً عالمياً (رسامي الكاريكاتير) لدراسة حياتهم والتعرف على اسلوبهم في الرسم والكتابة عنهم في واحده من نشرات الدار المهتمة برسامي الكاريكاتير

وانا جاهز ومتحمس (الى حين) .. واني من الموت بأعجوبه مرتين ولا اعلم كيف ستكون الثالثه منقطع عن الرسم نهائياً .. ادهن كثيراً .. احمت .. افكر .. اذا اصبحنا لكن لم اصل الى اليأس . طبعاً انت محسود على وضعك بكل صعوباته وغرائبه وحتى الموت يكون لذيذاً قرب عن تحب انساناً او عملاً ...

الموت هنا شاق وبشع ومع ذلك فهي تجربة مزيدة بالنسبة لي لو اتيحت لي الحياة بعدها ..

سأهب الكثير وسأعمل اكثر واواصل ما بدأت ونلتقي مرة اخرى وفي زمن اقصر ونتجاذب اطراف الحديث ونسافر دون ملل .. فقط لو اتيحت لي الحياة .

عزيزي

سأخرج اولاً بجروح الجيش العراقي منتصراً وسأخرج اكثر بعودتي الى الرسم والكاريكاتير .

هذا هو حالي وهذا ما وصلت اليه ولك مني السلام .

المخلص

مؤيد نعمة

بغداد ص.ب ٧٨٠٢٢

رسالة من مؤيد نعمة الى صديقه عمار داود 1981

في قاعة الخط للاستاذ هاشم الخطاط في معهد الفنون عام 1968 نبيل يعقوب..مؤيد..ثامر الخفاجي..كاظم شمهود وسعدي الموسوي

في نادي الاكاديميه عام 1974 مع الاستاذ اسماعيل الترك ويظهر فيها مؤيد..نبيل ناري، طارق العزاوي ..نبيل يعقوب وثامر الخفاجي.

مؤيد نعمة مع نماذج من اعماله الفخارية

مؤيد نعمة، سعد شاكر واسماعيل فتاح الترك في الاكاديميه 1975

من اليمين مؤيد نعمة، محمد علي برين ، عبد الكريم سعدون ، خضير الحميري، شهاب الحميري ، قاعة بغداد ، شارع حيفا ، معرض لجنة الكاريكاتير – نقابة الصحفيين العراقيين. 1989

دعوة خاصة الى حفل زواج الفنان خضير الحميري في بيته وقوفا من اليمين الصف الثاني : ضياء الحجار، علي المندلاوي، شهاب الحميري، مؤيد نعمة، عبد الكريم سعدون. الصف الاول من اليمين: خضير الحميري، عبد الرحيم ياسر، محمد علي برين. 1988

مؤيد نعمة ، عامر رشاد ، سعاد سليم ، وليد نايف محمد ، قاعة اكاديمية الفنون الجميلة ،، مناقشة رسالة شهادة ماجستير الفنان ضياء الحجار – 1990

اكاديمية الفنون الجميلة ، مؤيد نعمة مع الاساتذة الفنانين: سعد شاكر ، نزار الهنداوي ، اسعد عبد الرزاق مع بورترية له ، اسماعيل فتاح الترك – 1974

ثامر الخفاجي ومؤيد نعمة في نادي اكاديمية الفنون 1974

نجم الربيعي.ميسر القاضلي، صلاح جياد، مؤيد نعمة، بسام فرج، حميد ياسين، اديب مكي، فاضل العزاوي، ابراهيم السعيد، طالب مكي عام 1969 بمناسبة مرور سنه على تأسيس مجلتي

من اليمين رائد نوري، مؤيد نعمة، عبد الرحيم ياسر، نزار سليم، موسى الخميسي، بسام فرج. المتحف الوطني للفن الحديث. بغداد 1976 تصوير جاسم الزبيدي.

مؤيد نعمة غير مؤرخة

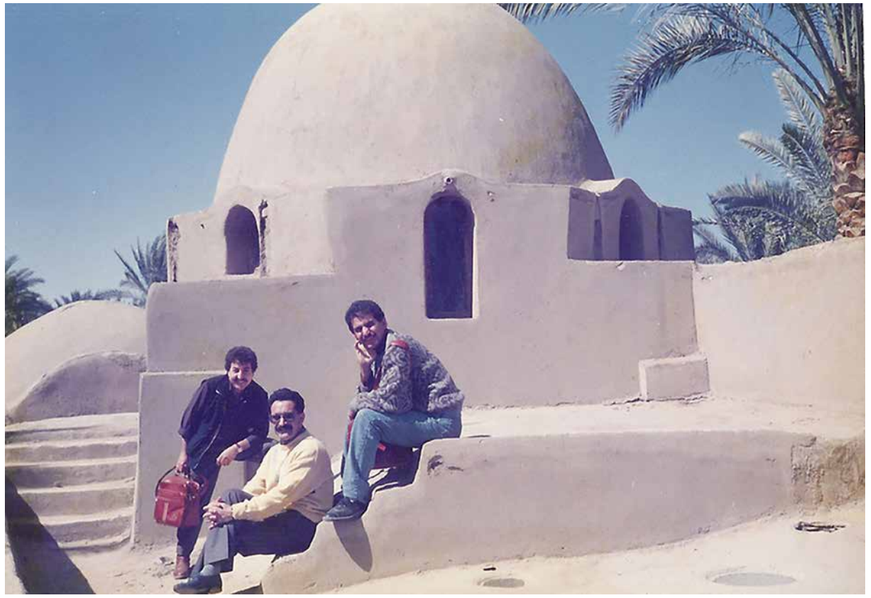

اذار 1990 القاهرة ، معرض العالم الثالث ، ويبدوا فيها وقوفا من اليمين الفنانين ، حسن المصري ، حمودة محسن جابر ، مصر ، مؤيد نعمة ، وليد نايف محمد ، العراق ، طوغان ، سمير عبد الخالق و تاج ، مصر الجالسون ، ابراهيم ، مصر ، علي المدلاوي وعبد الرحيم ياسر العراق ، اسملوطي مصر.

مؤيد نعمة في مسكنه مع الفنان
اديب مكي في ضاحية الفحيص- عمان 2001

عبد الرحيم ياسر، مؤيد نعمة
وعلي المندلاوي في مصر 1990

اثناء رحلة مع الفنان المصري الراحل
جميل شفيق الى مسكنه الصيفي الاسكندرية
1990 مصر

مؤيد نعمة، غير مؤرخة

مؤيد نعمة مع ثامر الخفاجي في معهد
الفنون عام 1969

في الاكاديميه عام 1974
ثامر الخفاجي ومؤيد نعمه وزوجته

عباس فاضل، مؤيد نعمة ،خضير الحميري مقر مجلة الف باء في شارع المغرب. 1987

بمناسبة معرض الكاريكاتير المصري في بغداد- فندق فلسطين ميريديان 1987
من اليمين رسام الكاريكاتير العراقي فؤاد حسون، فالمصري جمعة فرحات، مؤيد نعمة، وليد نايف ، الصحفية العراقية نرمين المفتي، رسام الكاريكاتير المصري زهدي، خضير الحميري، رسام الكاريكاتير المصري احمد طوفان.

اللجنة التحكيمية لمسابقة الف باء للكاريكاتير 1987
عباس فاضل، مؤيد نعمة، شيرين الراوي، خضير الحميري.

فيصل لعيبي مع بسام فرج
في القطاع الصيني، لندن

بسّام الساخر

فيصل لعيبي

عندما فكرت بوضع هذا العنوان : " بسّام الساخر" ، ظهر لي أنه يشبه الى حد بعيد الصوت الموسيقي لإسم الفنان حمدان الساحر ، شيء له طعم ورنّة تجعلك تحتفظ به مهما طالت الأيام وامتد بك العمر، والسحر مثل السخرية في مفعوله . كان الفنان حمدان الساحر يردد في أحدى اغانيه : " رمانتين بفد إيد ما تتلزم " ، مختصرا لنا حكاية الحياة وتقلباتها وإستحالة السيطرة عليها وهي أيضاً سخرية ممن يظن العكس . والسخرية أو الضحك هنا يشبهان البكاء، كما ردد مرة أبو الطيّب الذي رام ملكاً فخذله القدر في لحظة فارقة مضحكة ومبكية معاً لأنه مع كل قصائده البليغة حول الشجاعة والإقدام ، لم يستطع أن يدافع عن نفسه عندما حوصر من قبل من هجاهم وكال لهم ما يثير غضبهم. شيء من الغرابة أو الإغتراب وربما الغربة، وهذ اما نمر به هذه الأيام، ألم تعزلك الكرونة عن كل ما حولك وتجعلك تشعر بغربة و بما لم تكن تشعر به من قبل ؟.

الغربة عالم يكتنفه الغموض ، تذهب إليه وانت لا تملك غير الإرادة التي قد تخذلك هي الأخرى أيضاً عندما تحتاجها، والغربة ليس في الإبتعاد عن الأوطان والأهل والخلاّن، فقد تشعر بها وانت في وطنك وربما حتى وانت بين أهلك المقربين. شيء لا يمكن وصفها و الغربة أيضاً، هي ان تشعر بانك تختلف عن بقية الناس، ولهذا يمكن تسمية المبدعين عموماً وخاصة الذين يثيرون المتاعب في مجتمعاتهم ويطرحون أسئلة مختلفة بـ " المجانين " . الإرادة هنا تصبح مثل البوصلة لصاحبها ، يهتدي بها ويتبع خطاها، فعندما كنتُ طفلاً قررت ان اصبح رساماً ، وتتبعت هذا القرار حتى نهايته، فهل توصلت للرسم الذي تصورته في طفولتي ؟ لا أعلم وقد لا أعلم حتى نهاية العمر. لكننا في كل الأحوال نتبع خطى الإرادة أو المقدر و المكتوب كما يسمونه العامة عندنا.

في عام 1964 قُبلنا في معهد الفنون الجميلة ، الرائع صلاح جياد المسعودي والمدهش حسن شويل وكاتب هذه الحروف، وكانت لنا سمعة حميدة بين الطلبة كبصريين وكرسامين معاً. بعد سنة او اكثر تعرفنا على الأخ سامي الربيعي ، الذي كانت له إهتمامات متنوعة وخاصةً ما يتعلق بالطفل وثقافة الأطفال . كان الصديق سامي متحمساً لإصدار مجلة للأطفال وفاتحنا بالأمر، كنا، الراحلون الفنانون حسن شويل ، بسّام فرج ، صلاح جياد و الذي لا يزال حيا يرزق فيصل لعيبي صاحي، – يا لحزني وانا اتذكر هؤلاء الاحبة الذين رحلوا واحد تلو الآخر في الغربة التي أصبحت بالنسبة لنا غربتان – وفي هذه الجلسة تعرفنا على الصديق بسّام، وبسرعة تآلفت قلوبنا وكأننا نعرف بعضنا منذ سنين . لقد رسمنا كل مواد المجلة وعلى ورق شفاف

وكل منا اخذ موضوعاً خاصاً به وأذكر ان المجلة كانت بإسم علاء الدين او شيء من هذا ، لكن هذه التجربة لم ترى النور لضعف الإمكانيات، فنحن طلبة في المعهد ونعيش في القسم الداخلي وبسّام من عائلة كادحة بالكاد تستطيع تدبير امورها وسامي يعول على مجنون و مغامر مثلنا يملك المال والرغبة في جعل هذا الحلم يتحقق ، بعد ان يأس من الجهات الرسمية في تمويله . لكن المجانين عادة يندر ان نجدهم في طبقة المترفين و خاصة في عالمنا المتخلف هذا.

ذات يوم جاءني الصديق الفنان الراحل أيضاً إبراهيم زاير ليخبرني بوجود وظيفة رسام في صحيفة ، فقدمت طلباً وقبلت فوراً بعد ان راى المشرف العام على المشروع وأسمه علي منير وهو مصري الجنسية – جاء مع تقلبات الأوضاع في العراق بدعوة من حكومة عبد السلام عارف الذي كان قد جلب عدد كبير من الأشقاء المصريين الى العراق بما فيهم جنود وضباط لتدعيم حكومته التي تشكلت بعد إنقلابه على حلفائه في حزب البعث الذين شاركهم الإنقلاب الدموي على حكومة الزعيم عبد الكريم قاسم، حيث كان لعبد الناصر اليد الطولى في هذين الإنقلابين المشؤومين وكبدا العراقيين عشرات الألوف من الضحايا والشهداء من خيرة ابناء الشعب المدافعين عن قيم المدنية والتحضر والديمقراطية – في هذه الجريدة، التي كما يبدو تمثل رأي الإتحاد الإشتراكي في العراق، وجدت كادرها يتكون من معظم جماعة " مقهى المعقدين " * الذين هزتهم الجرائم التي إرتكبها نظام ٨ شباط الدموي الأسود عام 1963 . مثل الشاعر مؤيد الراوي الذي كان سكرتير تحرير الجريدة حينها والكاتب المسرحي عارف علوان الى جانب الفنان عامر العبيدي وكذلك كان هناك الكاتب سهيل سامي نادر و الشاعر عمران القيسي، وما ادراك ما عمران القيسي. لكن بعد فترة تم تاميم الصحافة وتشكلت المؤسسة العامة للصحافة التي تشرف عليها وزارة الثقافة والأرشاد وقتها، فتم تنسيبي الى مجلة إلف باء ضمن فريق عملها المؤسس ، فإلتقينا مجدداً الراحلان صلاح جياد وبسام فرج والعبد الفقير. فتوطدت العلاقة فيما بيننا مجدداً وكنا لا نفترق إلا في إنتهاء الدوام فنذهب صلاح وانا الى مقهى ام كلثوم لترطيب الأعصاب ويذهب بسام الى مقهى المعقدين لإثارة الأعصاب ،حيث ينتظره دعاة الثورة الدائمة والوجوديين واللامنتين كما يطلق عليهم وقتها.

في ذلك المقهى كان بسام يتسلح بالأفكار والحكايات لصفحتيه في إلف باء الأسبوعية ، لأنه كثيراً ما يحير بالمواضيع التي عليه تناولها ، فتأتيه النجدة ممن حوله من الأصحاب مثل الراحل الفنان الفوتوغرافي جاسم الزبيدي او صلاح جياد وغيرهما من العاملين في مؤسسة الصحافة إذ يمدونه بالأفكار فيطير فرحاً ويامر لهم بالشاي واحياناً نفر كباب لكل واحد منهم.

كانت ألف باء في بدايتها اكثر مرونة وإنفتاحاً لكنها بعد إنقلاب 17 – 30 تموز عام 1968 تحولت الى مجلة تأتمر بأوامر حزب البعث وخطه الفكري والسياسي، ولهذا فقدت شيئاً من لمعانها الأول وحياديتها النسبية في تناول

الأمور،

أصبح بسام وكل من على شاكلته من الخارجين عن السرب يشعرون بالقبضة التي بدات تشتد على نوع المواضيع المراد نشرها أوالتثقيف بها .لكنهم كانوا يجدون دائماً ثغرات للتعبير عن انفسهم بشكل مقنع وغير ملفت للنظرعموماً .

بسام شخصية ودودة ، مسالمة، ينصت كثيراً لمحدثه وهو قليل الكلام عموماً ، ومن جميل الصدف ان الرسام الكبير غازي كان يعمل في دار الجماهير للصحافة – صار إسمها هكذا بعد إسقاط نظام عبد الرحمن عارف ، ولهذا فكنا نحن العاملين في هذه المؤسسة نعيش مع مبدَعَيْن لكل واحد منهما طريقته الخاصة وشخصيتهَ المتميزة، لكن غازي وقتها كان يخط العناوين وبعض الموتيفات وليس رساماً ساخراً، بعد ان فقد حماسته الأولى ، وربما أدرك ان أسلوبه لم يعد مناسبا للمرحلة الجمهورية ، وهي " جمهورية خاكية " حسب تعبير عبد السلام عارف ، لا تحب النقد ولا السخرية أبداً فرضيَ بما هو موجود لسد الرمق وقد ظهر ذلك بوضوح في رسومه الأخيرة خلال الحرب العراقية – الإيرانية ، وربما كان عدم قناعته بما يرسم سبباً في عدم إهتمامه بالرسوم التي نفذها بناءً على طلبات النظام بضرورة مساهمة الجميع في دعم الحرب والدعاية لها او تمجيدها.

كان غازي الرسام ملك الرسم الساخر في العراق في المرحلة الملكية وقد جذب الجميع، الملكيين ومعارضيهم اللبراليين والديمقراطيين وحتى اليساريين ، وهو في هذا يشبه الفنان المدهش عزيز علي ، حيث كانت الفترة تتحمل مزاجهم ونقدهم ووجهات النظر التي يطرحونها، وكان أسلوبه النقدي ينصب بالأخص على القضايا الإجتماعية وامراض المجتمع والخرافات والشعوذة والعادات السيئة والفقر والجهل او المرض مع بعض الرسوم التي تندد بالإستعمار عموماً . ويبدو ان غازي شخصياً لا يميل الى المواقف السياسية الحادة ولا تسمح مجلة قرندل بمثل هذا المزاج في رسومه على الأغلب ، لكنه حدد مكانته الفاصلة بين الهواية والبساطة واحياناً السذاجة التي عرف بها الرسم الساخر قبل ظهوره حيث قدم لنا الفن الساخر المرسوم بأحسن صورة ممكنة وبإسلوب اخاذ لا يضاهيه فيه أحد . وكانت الواقعية الساخرة بوصلته وهدفه معاً. اما بسّام فقد خطى الخطوة التي لم يخطوها غازي في الرسم الساخر، وربما لم يدركها، وأقصد تحديث الرسم الساخر، وهي المهمة التي اخذ بسّام على عاتقه القيام بها وقد فعل ، فتخلص الرسم الساخر مع بسّام من تاثير الفنان غازي وانتقل الى الحداثة مباشرةً .

انا هنا لا أريد تجاهل فناني الرسم الساخر الذي جايلوا بسام ولكني وبسبب رحيله اود التركيز عليه، لأن هناك عدد لا بأس به من الفنانين قد مارس هذا الفن بوجود بسام وقبله احياناً، مثل الفنان الراحل إبراهيم زاير، الذي كان يتمتع بشخصية محبوبة ومتفتحة وظريفة معاً ولا يزال موضوع إنتحاره يحيرني

الف باء ـ ٢١

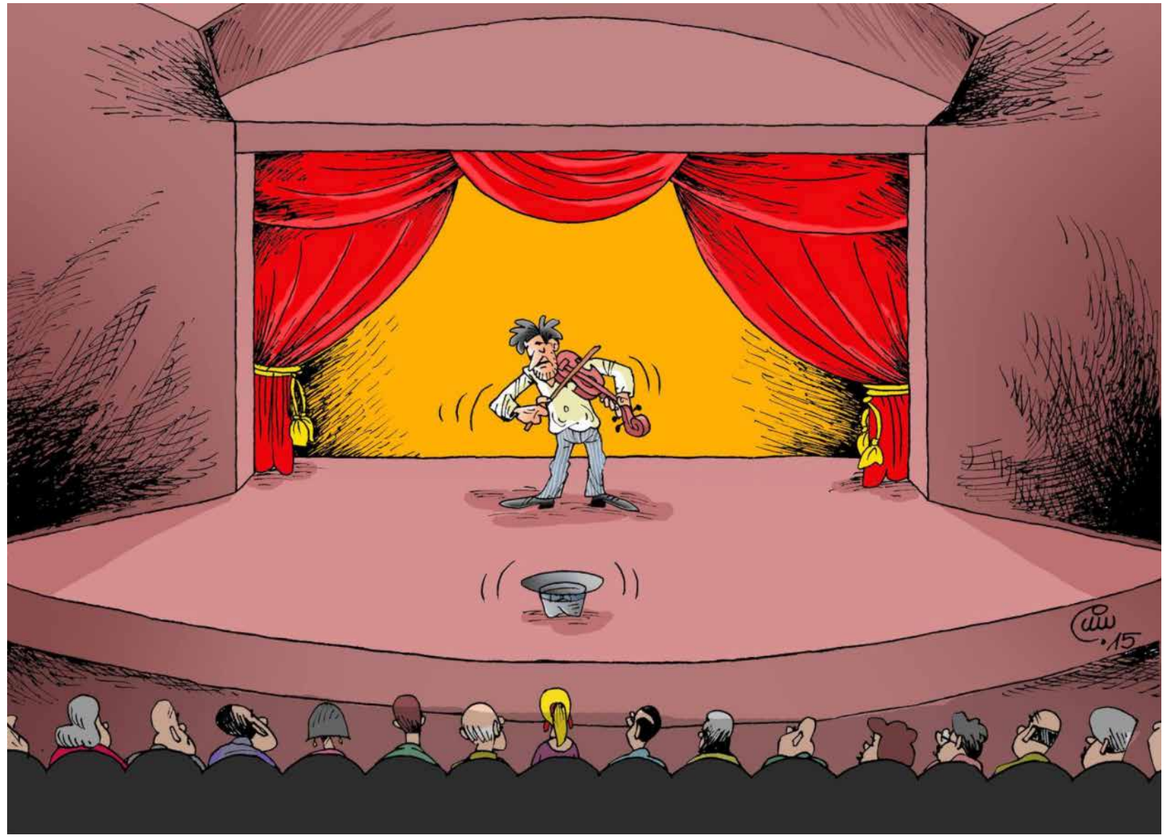

حتى الان لأني اعرفه جيداً وشخصيته لا تنم على أي أثر من التشاؤم او فقدان الأمل . خاصة بعد زواجه وإستقراره النسبي وهناك شك في حكاية موته بالنسبة لي، ربما تُعرف في المستقبل.

لقد تحول الفلاح ،المواطن وجهاز الدولة البيروقراطي عند بسام الى شخصيات تحمل مواقف ورؤى فلم يعد الفلاح ذلك الجاهل والساذج التي يمكن الضحك عليه او جعله أضحوكة للجميع، كما اصبح المواطن ياخذ ادوار مختلفة ، فهو مرة ثوري ومرة إنتهازي ومرة مرتشي ومرة عميل ، مرة سكير ومرة حكيم ، تبدلت الأدوار والأقنعة والمهام وصار الموضوع السياسي أكثر وضوحاً وجرءة وأصبحت الدولة و رموزها محط نقد ومساءلة ولو عن طريق الضحك والسخرية.

خطوط بسام بسيطة سهلة قليلة التفاصيل ليس فيها حذلقة ولا تعقيدات الرسم الساخر السابق عليها وأحياناً يكتفي بالرسم الذي يعبر عن نفسه بدون تعليق، وقد ادخل بعض التحسينات على رسومه من خلال إستخدام الشبك وبعض حيل اللصق (الكولاج) التي ظهرت في رسوم الصحف الأجنبية عموماً ، فيضفي على الرسم رونقاً مختلفاً لم يألفه الرسم الساخر العراقي من قبل.

ولما كان بسّام رساماً ساخراً ويتناول القضايا السياسية الساخنة، فهذا يعني ان له رأي خاص بما يجري حوله وليس هذا فقط ، بل عليه ان يختار موقف ما من بين المواقف التي يجدها امامه وتشغل بال المواطن ولها علاقة بالوطن وعموم الناس. وهكذا نراه ينحاز الى القوى التقدمية والديمقراطية واليسارية بالذات، ومع انه يسمع كل يوم شكاوى زبائن مقهى المعقدين وتأوهاتهم ونقدهم لليمين واليسار " التقليدي " كما يسمونه، إلا انه عرف تماماً تشخيص القوى التي يجب ان ينحاز لها، فكان إنتماؤه الى الحزب الشيوعي الحل الأمثل لفنان يقف مع الناس ويدافع عنهم في مضامين رسومه وسلوكه اليومي . وهنا عليَّ الحديث قليلاً عن من يعيب على الفنان إلتزامه بموقف سياسي او إنتمائه الى حزب سياسي، بحجة أن الإلتزام يفقد الفنان حريته ويقيده بتوجهات الحزب الذي ينتمي إليه، وينسى هؤلاء نوعية الحزب المقصود وكذلك سياسته ومواقفه واهدافه، إضافةً الى ان الفنان ليس بوقاً أو ببغاء في هذا الحزب، كما يعتقدون ، وإنما مساهم في سياسة ذلك الحزب ولو من خلال فنه ، ولهذا فان إستقلال الفنان المزعوم عن السياسة هو في الحقيقة إلتزام من نوع آخر وموقف إيديولوجي آخر ، لا يختلف عن موقف الفنان الملتزم بحزب او خط فكري معين. الفنان إنسان يعيش في بيئة معينة وتهمه ما يجري فيها من أحداث ولا بد له من إتخاذ موقف ما حيال هذه القضية او تلك.

برز بسّام فرج كفنان، في الفترة التي رافقت إنقلاب ٨ شباط الدموي والفاشي الذي قادته القوى القومية – حزب البعث والناصريون – وساهمت فيه كل قوى الردة الداخلية وحتى بعض مراجع الدين الشيعة والسنة معاً الى جانب دول الجوار، التي كانت قد أزعجتها منجزات ثورة 14 تموزعام 1958 وتوجهاتها الديموقراطية، خاصة في بداياتها،

وقبل تراجع قادتها عن نهجهم الديمقراطي.
كما لعبت الـ (سي آي أي) دوراً مفصلياً في هذا الحدث الذي لا نزال نعاني من تبعاته ، فبعد ان صرّح أمين سر حزب البعث علي صالح السعدي بكونهم قد جاءوا بقطار امريكي في إنقلاب 8 شباط عام 1963 ، فإن الذي يحكموننا اليوم والمتنفذون في مفاصل الدولة قد جاءوا على ظهر دبابات الأمريكان والبريطانيين عام 2003.
كانت الأفكار الثورية قد إنتشرت خاصة بعد نجاح ثوار كوبا في إسقاط الدكتاتورية في بلدهم وظهور مفاهيم الثورة الدائمة و الكفاح المسلح وحرب العصابات وتكتيك حصار الريف للمدن أو المركز والأطراف في الأدب السياسي وقتها، إضافة لمفاهيم الأوروكومينيست وغيرها من المفاهيم التي تعكس نفاذ صبر الثوريين مع كثافة الهجوم الإمبريالي الواضح والمكشوف على منجزات الشعوب واهدافها في التحرر والإستقلال والتمتع بخيراتها وقد ساعد ظهور منظمة التحرير الفلسطينية وتبنيها الكفاح المسلح على ترسيخ مثل هذه القناعات والتصورات في بلداننا العربية .
فهذه المفاهيم والرؤى والأفكار ساهمت بقدر ما في بلورة تصورات بعيدة عن ما تَطَبّعَ عليه اليسار العربي في المنطقة وظهر في محاولات لتهجين بعض الأفكار او ترويضها بناءً على ظروف بلدانها،.
في هذا الجو إكتمل وعي الفنان بسّام ومن خلاله بدأ يقدم مواضيعه التي إصطبغت بالصبغة السياسية اكثر من معالجة المشاكل الإجتماعية العامة. وقد سار على هذه التصورات جيل من الكتاب والشعراء والفنانين وحتى السياسيين من الحزبيين . لكن الأحزاب اليسارية وخاصة الشيوعية منها كانت غير مستوعبة لمثل هذا التغيير في المزاج وغير قادرة على تفهم أسبابه الحقيقية أوربما لا تريد معرفتها، و حتى على المستوى الأوروبي نجد من وقع فيه من احزاب عريقة مثل الحزب الشيوعي الفرنسي في موقفه من أضراب الطلبة في باريس عام 1968 وكذلك موقف الحزب الشيوعي الجيكو – سلوفاكي من حركة الإحتجاجات في براغ و نعرف ما جرى لمسيرات الهيبيز في شوارع نيويورك وواشنطن..
كان فقيدنا الراحل بسّام فرج في محاولاته وما انجزه من نتاج فني ثمين، الجسر الذي عبرعليه الجيل الذي تلاه وتاثر به ومد أفق الرؤية ووسع مداه الى ما نراه اليوم من تنوع باذخ ومميز ومثير للدهشة لدى العديد من مبدعينا من فناني الرسم الساخر ، إبتداءً من الراحل مؤيد نعمة و السلسة الذهبية التي تشكل اليوم حركة مؤثرة وفاعلة وتلعب دوراً مهما في فضح قوى الفساد والتخلف والظلام وتساهم مساهمة فعالة في تدعيم مفاهيم المواطنة والدولة المدنية والتقدم والسلام ولكثرتهم أخشى ان انسى منهم أحداً فأُتَهَمْ بالتحيز مع تحيتي وإفتخاري بهم جميعاً

مقابلة مع

الفنان بسام فرج

أجرى الحوار: مجيد خليل

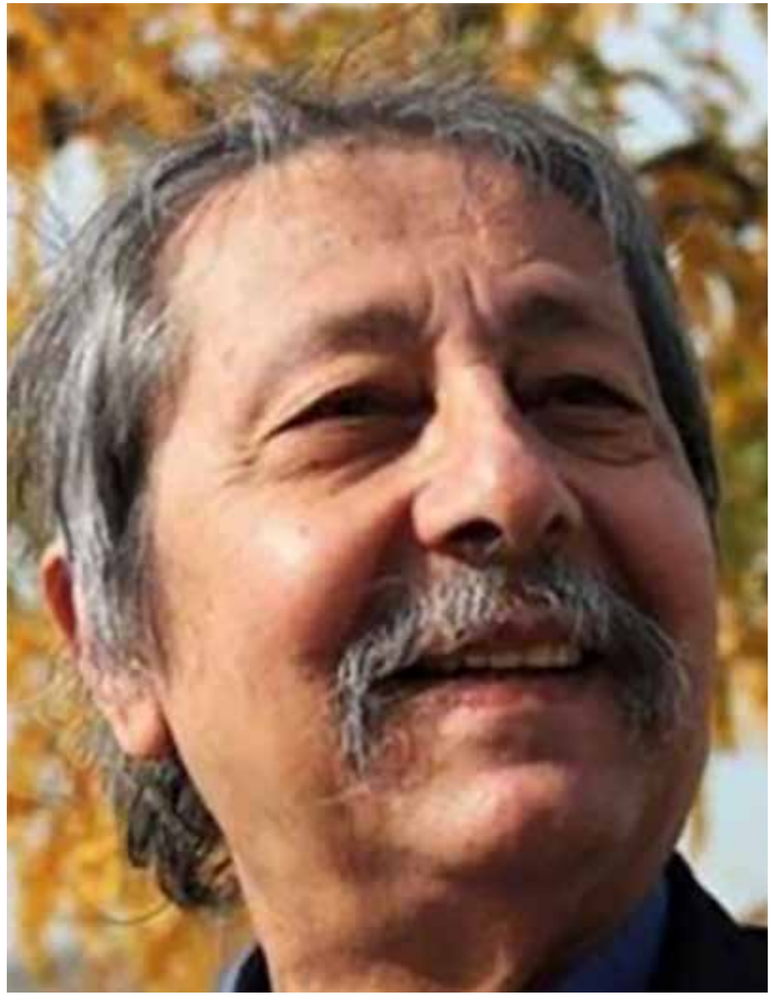

* حدثنا عن بداياتك الفنية ، متى وكيف تعرفت على عالم الكاريكاتير ؟

– لا أستطيع تحديد بدايات الرسم لدي بالدقة .. ولكنني أتذكر عشقي للرسم وعلاقتي الحميمة بأقلام الألوان منذ الصغر .. وتطورت هذه العلاقة مع اللون والشكل عند دخولي المدرسة الابتدائية ولم تتوقف حتى هذا اليوم .

بتقديري أن الموهبة تولد وتنمو مع الطفل .. ومن المحتمل أن يفقدها بعد مرور فترة فترة زمنية معينة ، أو تصبح قابلة للتطوير إن لاقت العناية اللازمة ..

أما بالنسبة إلى دخولي عالم الكاريكاتير فهو يعود الى المراهقة من حياتي ، إذ كنت معجبا جدا ومتابعا جيدا لرسوم فناني الكاريكاتير العراقيين في فترة الخمسينات من القرن الماضي ، وأذكر منهم الفنان غازي عبد الله وحميد المحل وعلي فتال والأسدي وغيرهم . ومنذ ذلك الحين أصبح يراودني هذا الحلم الجميل ، بأن أصبح في يوم ما رساما للكاريكاتير .. وقد رافق نمو وعيي السياسي ازدياد الحاجة الى التعبير عن أفكاري بطريقة تتلاءم مع قدراتي الفنية المتواضعة نوعا ما آنذاك . في ذلك الحين بالذات أصبح الكاريكاتير عندي حاجة ملحّة أكثر مما هو ترف يمكن الاستغناء عنه ببساطة .. وقد تعمّق لدي هذا الشعور تدريجيا مع مجئ البعث الفاشي الى السلطة في العراق وحتى هذا اليوم .

* بمن تأثرت من رسامي الكاريكاتير ؟ وهل

هناك مدارس واتجاهات لهذا الفن ؟

– لابد لي من الإشارة هنا الى أن الكاريكاتير العراقي يستند الى تراث يضاهي تراث الكاريكاتير في المنطقة ، فقد صدرت في مدينة البصرة أول صحيفة ساخرة في العراق باسم – مرقعة الهندي – لصاحبها أحمد حمدي أفندي في 21 تشرين الثاني من عام 1909 .. وأول رسم كاريكاتيري بريشة رسام الكاريكاتير العراقي الرائد عبد الجبار محمود والذي نشر على الصفحة الاولى من العدد الاول من جريدة – حبزبوز – لصاحبها ورئيس تحريرها نوري ثابت في 29 أيلول من عام 1931 ، بعد ذلك احتلّ الساحة آنذاك عدد من الفنانين المبدعين كغازي الرسام وحميد المحل وآخرين ممن تبعوهم . وكما ذكرت سابقا فقد كانت بداياتي في رسم الكاريكاتير تقليدا لخطوط غازي (بالتمام وليس الكمال). بعدها اكتشفت مدرسة « صباح الخير » و« روز اليوسف » ، فاتجهت الى تبسيط الشخوص والخطوط والنكتة .

ثم أكتشفت بعد ذلك وعن طريق الصدفة مجلة « ماد » الامريكية التي أصبحت أقتنيها باستمرارمن مكتبة مكنزي الشهيرة في شارع الرشيد آنذاك .. ومن خلال الاستمرارية والاستغراق في العمل الصحفي اليومي استطعت أن أجد حلقة الوصل بين المدرسة التقليدية في الكاريكاتير العراقي الذي كان شائعا في فترة الخمسينات من القرن الماضي وبين الاسلوب الشائع في الوقت الحاضر . هناك في فن الرسوم الكاريكاتيرية مدارس واتجاهات وأساليب مختلفة ومتعددة من حيث الأسلوب والشكل والموضوع ، يضاف الى ذلك تفاوت في درجات روح الدعابة والسخرية التي تميز بين شعب وآخر .ومن هذا المنطلق يمكننا تحديد هوية رسامي الكاريكاتير على أختلاف أجناسهم وانتماءاتهم القومية والفكرية .

* هل يمكننا الحديث عن مدرسة عراقية للكاريكاتير ؟

– لغرض الإجابة على هذا السؤال علينا أن نكون دقيقين في سرد الأحداث التي مرّت على شعبنا وعراقنا الحبيب . فخلال القرون الاربعة الماضية من تأريخنا الحديث مرّ بلدنا بأبشع وأقسى فترة شهدها وادي الرافدين على مرّ العصور . وأنطلاقا من هذا الواقع الاليم نتوصل الى حقيقة لا مجال للنقاش فيها ، وهي « لاثقافة في ظل المسدس » ، وهنا عليّ أن أكون أكثر وضوحا ، إذ يتحتم علي أن ألقي مسؤولية ما حصل من جرائم وتخريب وما يعيشه شعبنا الان من تخلّف وردّة في القيم الاجتماعية والفكرية هي نتيجة سياسات القمع والارهاب والتصفيات الجسدية التي كان يمارسها النظام البعثي . وعلى هذا الأساس أستطيع القول جازما بأن فن الكاريكاتير العراقي قد أصابه ما أصاب الثقافة العراقية ككل ، وربما أكثر ، لأن الكاريكاتير لايمكن أن ينمو ويتطور الا في ظل الأنظمة الديمقراطية فقط . أما في الأنظمة الشمولية فهو ممنوع ومحرّم . وعلى هذا الأساس فقد اعتزل من اعتزل من الفنانين ، وهاجر من هاجر ، ومات كمدا من مات ، وبهذا انعدمت شروط قيام مدرسة عراقية لهذا الفن ، ولكنني متفائل

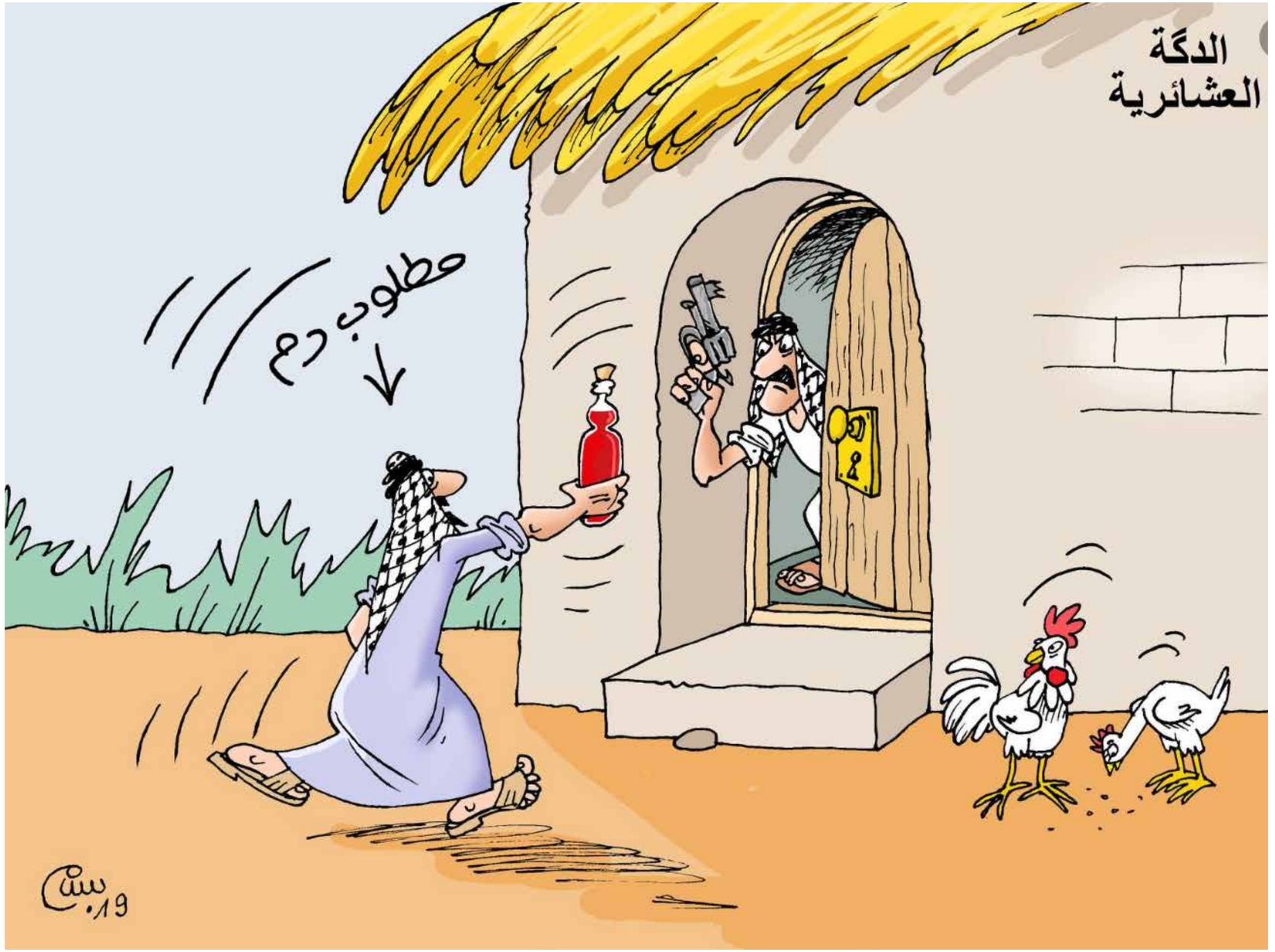

بقيام هذه المدرسة ذات الطابع العراقي البحت ، وهذه المدرسة ستكون من نتاجات الجيل القادم الذي تربى على قيم اجتماعية جديدة ، قيم الديمقراطية ومسايرة التطور الحضاري في العالم ، سيما بعد اكتساب هذا الجيل من الفنانين خبرات كبيرة في العديد من المنافي في هذا العالم الواسع .

* ما الرسالة أو الوظيفة التي يؤديها فن الكاريكاتير ؟

– إن فن السخرية الهادفة هو فن شائع في العالم المتحضر ، ولا يخفى على المتتبع دور هذا الفن في المجتمعات المتطورة في فضح سياسات الحكومات التي تنتهج ممارسات هي ضد مصالح شعوبها ، وهذا ما يحصل في الانظمة الديمقراطية والليبرالية في الغالب ، أما في ظل الانظمة الديكتاتورية والفاشية فمصير رسام الكاريكاتير هو التصفية الجسدية والسجن والنفي . وبهذا أستطيع القول جازما بأنه ليس هناك فن كاريكاتير في الأنظمة الدكتاتورية ، وعلى الفنان أن ينحاز الى جانب شعبه ، لأنه ضمير الشعب في محنته .

* هل ترى أن الكاريكاتير تجسيد للنقد أو الكلمة الساخرة ؟ وهل من علاقة بينه وبين الأدب ؟

– الفن والفكر والثقافة رسالة ومهمة تقع على عاتق الفنان أو الكاتب ، وهناك شواهد كثيرة على سقوط فنانين وأدباء في شباك الدكتاتوريات ، وكان مصيرهم الانزواء والانقراض ، ويكاد فن الرسوم الكاريكاتيرية أن يتحمل القسط الأكبر من المسؤولية في هذا المجال ، بسبب شعبيته أولا ولما يمتاز به من وضوح في طرح الفكرة ثانيا . ولكن في النتيجة هناك علاقة وثيقة بين الكاريكاتير في الرسم والكتابة في الأدب .وهذا ما يبدو في كتابات موليير وبلزاك وبرناردشو من جهة ، وفي شعر ابن الرومي والمتنبي والكثير من شعر الهجاء العربي ، وخصوصا ما جاء به الشعر الجاهلي من صور كاريكاتيرية .

* كيف يمكن لفنان الكاريكاتير أن يتخلص من مقص الرقابة الحكومية ؟

– ليس هناك في الأنظمة الديمقراطية مقص للرقابة... ففي هذه المجتمعات يمتلك رسام الكاريكاتير الحرية المطلقة في التعبير عما يفكر به، أما في الدول التي تسيطر عليها أنظمة دكتاتورية ذات عقلية شمولية فهي لاتمتلك مقصاً للرقابة وإنما سكيناً أو مسدساً كاتماً للصوت يخمد أنفاس رسام الكاريكاتير...

أنا أذكر في فترة الستينات، كنت آنذاك أعمل في صحيفة «صوت العرب» و«صوت العمال»، وكانت مواد الصحف تحت رقابة صارمة من قبل لجنة مشكلة داخل وزارة الإعلام آنذاك تشرف على مواد الصحف قبل إرسالها الى المطابع ، وغالبا ما كانت المساحة المخصصة لي في الصفحة الاخيرة تظهر فارغة وعليها عبارة (حذفه الرقيب)..

أنا اعتقد بأنه ليس بمستطاع فنان الكاريكاتير الهروب من مقص الرقابة الحكومية ، وذلك لسبب بسيط جدا وهو أن ريشة الرسام يجب أن تكون واضحة جدا لغرض إيصال الفكرة الى بسطاء الناس ، وإلا فقد الكاريكاتير مهمته ، ولهذا السبب يكون الكاريكاتير مستهدفا أكثر من غيره للتدقيق من قبل عيون الرقابة الحكومية .

* تركت وطنك مرغما ، كيف كان ذلك ؟ ما الخبرة التي حصلت عليها خلال سنوات المنفى ؟

– إن مسألة غياب الديمقراطية وفرض الاحكام العرفية على الصحافة وحرية النشر من قبل النظام البعثي الفاشي ، وممارسته لسياسة البطش والقمع ضد كل ما هو تقدمي وجميل أرغم الكثير من رجال العلم والثقافة

على مغادرة البلد والبحث عن ملجأ يحويه في هذا العالم الواسع يعيش فيه بأمان من ملاحقات السلطة الدكتاتورية آنذاك ، مما أدّى الى فقدان فرص الإبداع والعطاء للوطن طيلة الأربعين عاما من استيلاء العفالقة على مقاليد السلطة في العراق.

تركت الوطن وكلي أمل أن أعود اليه في فترة أقصاها عام واحد أو عامين لا أكثر، ولكن يبدو أن الرياح كانت تجري بما لا تشتهي السفن . فسياسة الحزب الواحد كانت قد بدأت بنشر مبادئها اللاإنسانية ،والسلطة تزجّ بالآلاف من المواطنين في السجون ، وتقيم كرنفالات الإعدامات في الشوارع وتشعل نيران الحروب ، والحصار الظالم الذي فرض على شعبنا نتيجة الحماقات التي كان يرتكبها النظام ، لذا فقد قررت البحث عن عمل يتناسب مع قدراتي الفنية ، لذلك إتجهت طارقا أبواب ستوديوهات أفلام الرسوم

المتحرّكة ، ولم يكن من السهل اقتحامها من قبل الرسّامين المجريين ، فكيف الحال معي أنا القادم من بعيد ، بالإضافة الى أنني لم أكن أجيد لغة البلد في ذلك الحين ، وقد نجحت في الامتحان الذي كانوا يجرونه لكل متقدّم ، وقد اجتزت الامتحان بتفوّق وتمّ قبولي رسّاما مبتدئا في بداية الامر ، وبهذا النجاح تحققت طموحاتي في هذا المجال ، ثم ابتدأت فيما بعد أتطور في العمل حيث تلقيت عرضا من القناة التلفزيونية رقم ١ للعمل فيها ، تركت الستوديوهات بعد ثماني سنوات أتقنت فيها العمل لأبدأ بتطبيق ما تعلمته من تقنيات في تحريك الشخوص على طريقة الفنان العالمي والت ديزني حيث عملت جنبا الى جنب مع أشهر المخرجين المجريين في هذا المجال ، بدأت العمل في التلفزيون لمدة تسع سنوات كمصمم أول في قسم الكرافيك (قسم أفلام الرسوم المتحركة). بعد ذلك قمت بتأسيس شركة لإنتاج أفلام الرسوم المتحركة (ستوديو دانا) مع أحد المواطنين العراقيين المتواجدين في بودابست آنذاك حيث كانت هذه الشركة تنتج أفلاما للأطفال على حساب مؤسسة الإنتاج الخليجي المشترك في الكويت ، وقد اضطررنا الى إغلاقها بعد وفاة مديرها المرحوم الأستاذ عبد الوهاب سلطان .

* واصلت إبداعك في الغربة ، كيف كان ذلك ؟ وكيف تقيم نشاط الكاريكاتير المعارض للنظام في الخارج وحتى لحظة سقوطه ؟ هل ساهم الكاريكاتير سوية مع الوسائل الاخرى في فضح سياسات النظام البائد المعادية للديمقراطية ومصالح الناس ؟

– الكثير من مثقفي تلك الفترة كان يعاني من قلة أو انعدام وسائل النشر المعارضة للنظام آنذاك، فيما عدا صحيفة « طريق الشعب » التي كانت تحرص دوما على فتح أبوابها أمام الأقلام الشريفة .

بعد ذلك اتسعت رقعة مجالات النشر في صحافة أحزاب وتجمعات المعارضة في الخارج ، حيث بدأت أعمالي تظهر على صفحات هذه الصحيفة أو تلك كمتنفس لي للتعبير عما يجول في خاطري من مشاعر هي في الأساس محاولات لفضح النظام الدكتاتوري .

كما سبق وأن ذكرت تفاصيل صعوبات النشر التي كانت تواجه كتاب وصحفيي المعارضة ، الى جانب عدم فسح المجال لهم من قبل الصحافة العربية آنذاك ، مما اضطرّ الكثير منهم للجوء الى الأعمال الحرة التي لا تمتّ بصلة الى العمل الصحفي أو الأدبي أو الفني لا من قريب ولا من بعيد . بالنسبة لي فإنني اعتبر نفسي محظوظا نوعا ما ، لانني نجحت في استغلال الفرص التي أتيحت أمامي في مجال العمل الفني .. فقد استطعت الدخول والعمل في واحد من أكبر الستوديوهات لإنتاج أفلام الرسوم المتحركة في أوربا (ستوديوهات بانونيا) ، وتدرّجت في العمل من رسام مبتدئ . تطوّرت بعدها خبراتي الفنيّة في هذا

مربيات

ـ مدري لويش كل سنه تجيني دعوة لمهرجان المربد!!

● مهرجان المربد (الثاني) !! ●

اديب لاديب ـ وأن چان هذي مثل
ذيج ٠٠ خوش مرگه وخوش ديج !!

● سوق عكاظ وسوق الهرج ●

ـ مـ ٠٠ (هَرَجْ) ٠٠ آن ـ

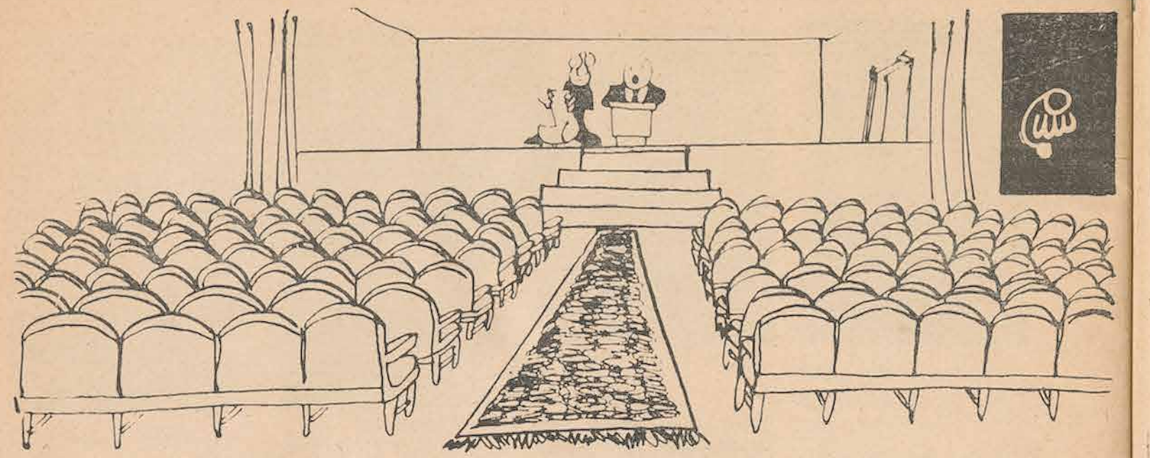

ـ والان يلقي عليكم الشاعر فلان الفلاني قصيدة
عصماء !!

شاعرة لشاعرة ـ شتگولين ٠٠ يرهم هذا النفوف
ويه هالقصيدة ؟!!

أديب لاديب ـ كل (مهرجان)
وانت بخير وعافية !!

المجال بحيث كنت مؤهّلا للانتقال من هذه الستوديوهات الى التلفزيون المجري – كما ذكرت سابقا – لأحتلّ هذه المرّة موقعا مهمّا كمصمم أوّل .. الى جانب ذلك كله فقد كنت حريصا على الدوام على إقامة معارض الكاريكاتير في بودابست أثناء أحتفالات الجالية العراقية في هنغاريا في المناسبات الوطنية لفضح النظام الدكتاتوري آنذاك ، وفيما بعد واصلت تقديم أعمالي الكاريكاتيرية بانتظام الى صحافة المعارضة الوطنية في الخارج كطريق الشعب وجريدة بغداد وجريدة المجرشة الساخرة ومجلة الدستورية وغيرها من الصحف والمطبوعات التي كانت تصدر خارج الوطن .

رسام الكاريكاتير في تلك الفترة كان يعاني من حالة الاختناق ، فكما ذكرت سابقا : ليس هناك وجود للكاريكاتير في ظل الأنظمة الدكتاتورية .. وعلى هذا الأساس يكاد يكون فن الكاريكاتير العراقي في تلك الفترة من الزمن في داخل الوطن معدوما ، فهجرة الفنانين الى الخارج واعتزال الآخرين ولجوء الباقين منهم على الساحة الى معالجة الأوضاع والظواهر الاجتماعية فقط ، الى جانب محاباة النظام وتكريس مفهوم العنف بإيعاز وتوجيه مبرمج من قبل دوائر الثقافة التابعة للنظام ، وكذلك تكريس مفهوم العنف وتبرير سياسة السلطة في الحروب العدوانية التي تشنها على دول الجوار ، وإلقاء تبعة الحصار والدمار الذي لحق بالوطن على غيره ، مما أثر على مسيرة هذا الفن تأثيرا كبيرا وتخلفه عن التطور الذي كان يحصل فيه منذ نشوئه الى يوم مجئ سلطة البعث في العراق .. إلا أن رسام الكاريكاتير العراقي في المنافي استطاع من تطوير هذا الفن عن طريق اكتسابه الخبرة من خلال احتكاكه المباشر وتأثره بالفنانين العالميين والمدارس المختلفة في هذا المجال ، وكذلك استخدامه للتقنيات الحديثة التي دخلت عالم الرسم التي كانت محرّمة على الرسام العراقي في الداخل . وأغلب فناني المنفى عملوا ويجد على فضح النظام من خلال الرسوم البالغة القسوة من حيث السخرية في مختلف في صحف المعارضة العراقية في الخارج آنذاك .

* هل ترى أن التزامك الحزبي كرفيق شيوعي

يعيق أو يقيد حرية إبداعك ؟

– إن قضية الايمان بمبادئ معينة قضية ذاتية بحتة ، أيّة مبادئ كانت ، وهي تعتمد في الاساس على نمط وعي الفرد وطريقة تفكيره ، وهي بتقديري – في نفس الوقت – خاضعة لتربية هذا الفرد وتأثير محيطه في تحديد هويته الفكرية . ولا أعتقد أن انتمائي الحزبي يؤثر تأثيرا سلبيا على فني كرسام كاريكاتير ، بل العكس هو الصحيح ، إذ كان – على الدوام – يلازمني شعور بوجوب تقديم الأفضل لغرض إنجاز هذه المهمة الإنسانية بشكل يخدم انتمائي .

* يرى البعض تضادا بين السياسي والثقافي ويرون ألا يرتبط أو يرتهن المثقف لحزب سياسي ، فماذا تقول ؟

– أنا لا أتفق مع هذا على الإطلاق ، إذ أن كلا الجانبين يسيران جنبا الى جنب بشكل متوازي ، وهما يتمّمان أحدهما الآخر، أي بمعنى أن رجل السياسة يجب أن يمتلك حسّا ولغة تساعدانه على الحوار ، الى جانب امتلاكه القدرة على توسيع دائرة معارفه الشخصية .. وكذلك بالنسبة إلى المثقف الذي يعي الأوضاع الاجتماعية بشكل جيد ويعمل على تكريس هذا الوعي في خدمة الآخرين . عليه أن يجد حلقة الوصل التي تربط بين عملية الابداع من جانبه والقبول من قبل المتلقي من جانب آخر .. وبتقديري أن حلقة الوصل هذه هي القدرة المتفاوتة لدى هذا المثقف أو ذاك في تحليل الظواهر والعقد الاجتماعية . وبخلاف ذلك فإن هذا الكاتب أو الفنان قد وقع في مأزق لا يمكنه الخروج منه بسهولة .

* بعد سقوط النظام ، شهد وطننا حرية واسعة في مجال الإعلام وصدرت صحف ومجلات بأعداد هائلة إضافة الى الإعلام الالكتروني ، ماتقييمكم للكاريكاتير ودوره فيما يجري من أحداث ؟

– بلا شك أن هناك تغييرا ملحوظا في المجال الصحفي قد حصل في العراق بعد سقوط النظام السابق ، ولا شك أيضا أن عددا كبيرا من الصحف والمجلات قد صدر في بغداد وبقية المحافظات ، الا أننا نبالغ – على ما أعتقد – إذا ما تحدثنا عن حرية الصحافة في الوقت الحاضر، وأن المجال مفسوح أمام

الصحفي العراقي للكتابة بحرية مطلقة للتعبير عما يجول في خاطره ، وإلا كيف نفسّر حالات الاغتيال والقتل والتهديد التي تعرّض ولا زال يتعرّض لها العشرات من الصحفيين والعاملين في مجال الإعلام ورموز الثقافة خلال السنوات الخمس الاخيرة. وهل سيعفى رسام الكاريكاتير من العقاب فيما لو نشر كاريكاتيرا عن هذا أو ذاك ؟ عن هذه الفئة أو تلك ؟ أو عن هذه الميليشيا أو تلك ؟؟ إذن العبرة ليست في إعطاء إجازات إصدار الصحف لتمتلئ أكشاك باعة الصحف بها ، وإنما بتوفير وضمان سلامة الصحفي ومنحه الضمانة اللازمة بعدم تعرّضه لأية تهديدات أو مضايقات قد يتعرّض لها هو أو أفراد عائلته بسبب مقال ما ، نشره أو رأي طرحه ، أو – لاسمح الله – تجرّأ ورسم رسما كاريكاتيريا في إحدى الصحف تعرّض فيه لفئة من الناس أو انتقد مظهرا سلبيا ما .. فلا غرابة أن نلاحظ أن الصحف العراقية اليوم تكاد تخلو من الكاريكاتير ، كما أن هذا الوضع يعيق رسام الكاريكاتير في المنفى من العودة الى وطنه للمشاركة في عملية البناء . هذا مايجعلني اعتقد بأن رسام الكاريكاتير العراقي يفضّل نشر نتاجاته على مواقع الانترنيت دون مقابل ، أو النشر في صحف دول الجوار على أن يخاطر بحياته وحياة أفراد عائلته من خلال النشر في الداخل على صفحات الصحافة المحلية .

* بسبب ممارسات النظام القمعية والتشويه الذي لحق بالمجتمع على المستوى الاجتماعي والثقافي ، هل ثمة أمل برسامين للكاريكاتير يصلون ما انقطع ؟ وما هو مستقبل فن الكاريكاتير في رأيكم ؟

– إن عملية بناء الديمقراطية في عراقنا ليست بالبساطة التي قد يتصورها البعض ، ولكنني كلي ثقة بأن مستقبل الديمقراطية سينتصر على قوى الظلام وعصابات الإرهاب .. ولا بدّ لي هنا أن أذكر أن حتمية انتصار الديمقراطية واندثار قوى الإرهاب مسألة لا تقبل الجدل، آنذاك سيتوفر عنصر الأمان للصحفي ولرسام الكاريكاتير الحرية في التعبير عن رأيه بكل صراحة ، سيما وأن هناك عدد من الكفاءات الفنية التي تبشّر بازدهار هذا الفن في العراق ومدّ الجسور بين الماضي والحاضر .

تعيش في قلب كل من احبك يا بسام

موسى الخميسي

* البدايات

كنت أحاول جاهدا أن أكتب سيرة واحد من اعزّ أصدقاء العمر وهو بسام فرج؛ بلغة تقترب من الذات، وتبتعد عنها في اللحظة نفسها، وهو تصور نابع من كون الكتابة تجربة تسعى إلى تأريخ ندوب الروح وكوامنها، وفتح كوّات وثقوب في مسامات المشاعر، حتى تعزف كورال الألم والأمل، وتمنحني القدرة على أن أطلّ على خبايا حياة صديق عامرة بالالم والفرح والوعود والمهارات التي برزت منذ بدايات الستينيات في القرن الماضي، وهو صديق لازلت للان اهمس بإذنه ، بان أعماله ، هي أشبه بعملية " رش الفلفل "على جروحنا، فنان استطاع ان يفضح أنظمة الاستبداد التي ناءت بكلكلها على المشهد السياسي العراقي ما يزيد على نصف قرن من الزمن. هواجس وافكار وتأملات وطموحات، كانت تتوطن في وجدان ذلك الشاب النحيل المبدع ، الذي كان يدرك مبكرا طريق امتلاك المعرفة التي تضيء العتمات وسبيل العاطفة، وتحفز حالة المتمرّد عن السائد، لا يتم الا من خلال خلق جغرافيات جديدة لم يتمكن السابقون من فتحها واكتشافها في الذات والعالم،بعد ان شعر وهو شاب مراهق، بان الواقع العراقي لم يعد يسمح ببقاء شخص مغاير برأيه وفكره، يقول رأيه بصراحة وما يفكر به عن مأساة شعبه ،وهنا مكمن إبداعية المبدع وتجلّ من تجليات السَّبْق في ابتداع أفكار وجدها في

كراسين يحملان رسومات فنان الكاريكاتير الراحل غازي عبد اللّه البغدادي ، لكنه ادرك وبشكل مبكر بان قدرة المبدع الحدسية تستطيع اجتراح عوالم جديدة، ومتجددة في الإبداع لهذا الفن الساخر الجميل، فبينما تتواتر الحكايات ويضاف إليها من خيال الفنان وبعض تفاصيل الوقائع، يُنتج الرسم الكاريكاتيري أثره في النفس، وتتجلى البطولة الإنسانية في أنقى صورها، بعد سلسلة طويلة من التضحيات والعذابات الحياتية. ورغم اختلاف البيئات الاجتماعية، إلا أن الحكاية الشعبية تحقق مغزاها باختلاف البيئات التي عاش في وسطها هذا المبدع، واستطاع بحكمة وذكاء دمج الحراك الشعبي المعارض للديكتاتورية وسلطة السلفية المتخلفة مع السياسي، فاصبح عن حق " بوصلة" المضطهدين والفقراء في مجال الاعلام المقروء، يستمد منهم الثبات في الموقف، والدلالة والاشارة الى ما هو خطأ وما هو صائب، في إصرار ملتزم على الامساك بجمرة الحقيقة، مهما كانت حارقة، لا يكلّ ولا يهدأ في ايقاظ الضمير العراقي.

بسام كان يدرك بان العبور الى عوالم جديدة في الابداع يختلف وفق سياقات تاريخية وحضارية واجتماعية وثقافية، هذا العبور تحقق من خلال تجارب موسومة ومبصومة بسمات وبصمات ، تتسم بالعمق ابتدأ بالانتماء السياسي لقوى اليسار العراقي ، في فترة تاريخية شهدت بعض الانفتاح . ولعل الطفرة الجوهرية في معظم النتاجات الإبداعية التي حققها بسام فرج، كانت تحفر في أرض الوطن، وما تثيره من اسئلة حارقة ومارقة، لا تستسلم لكوابح العنف والتسلط وقمع الرأي، وإنما استطاعت تخطى العوائق والموانع؛ لتوقد جذوة البحث الأبدي عن عشبة خلود الحياة والإبداع . لذلك أعتبر أن الرحلة في أهوال تيه الانظمة السياسية ومكابداتها ، من أبرز المحدّدات المهمة لعملية نقد لاذع وخلاق يمتلك صفة التخفي ، يمجّد قيم الإنسان العراقي دون سواه، وهنا مطمح الإبداع القح والجدير بالديمومة. وقد تمكّنت عبْر رحلتي المتواضعة مع صديق العمر بسام فرج، أن أقف عند تخوم هذه التجربة منذ بداياتها الاولى الذاتية ، في تشابك وتوالج وتواشج واعجاب . رحلة اتسمت معالمها على الدوام، بالتنقيب عن وسيلة أسلوبية ناجعة .

إن سيرة الكتابة عن صديقي بسام محاطة بعوامل الداخل والخارج في وطننا الحبيب، فقد كان الداخل الذي عشناه مشتعلا بالنزيف والقلق والسؤال، كانت الرقابة والمراقبة والخوف هي الطاغية والمستبدة على الخطاب الثقافي والفني، اما الخارج الذي عشناه انا وهو والذي ناهز الاربعون عاما، فقد ابقانا معلقين بهموم الوطن ومتقلباته وكانت الجلبة والصراع والخراب والحروب وحكم الديكتاتورية ومن بعدها حكم الطوائف والسلفيات ، هي السائدة والتي هدمت لحمة العديد من بناءات عراقنا الجميل .

تعرفت على بسام فرج منتصف عام 1961 من خلال صديق مشترك، هو "ضياء السامرائي"، زميل الدراسة في متوسطة المستنصرية للبنين في بغداد يهوى كتابة الشعر، (اصدر كراس شعري صغيرة تحت عنوان قناديل لا تنطفيء عام 1962) حدثني عن بسام الذي كان يسكن بالقرب من بيته في دور عمال مصافي النفط في الدورة. كانت لي

مساهمات متميزة في الرسم، وكان اول لقاء بيننا في مقهى شعبي صغير بالقرب من شارع الجمهورية بمنطقة السنك، يطلق عليه مقهى ابو سامر، اصبح فيما بعد مقر لقاءاتنا. يقف امام هذا المقهى المطلّ على شارع الخلاني الذي يربط شارع الرشيد بشارع الجمهورية، باص خاص ياخذ العاملين وعوائلهم واولادهم من مصافي الدورة الى بغداد وبالعكس وباوقات محددة اثناء النهار. تعرفت في هذا المقهى على عدد من ابطال لعبة كرة القدم امثال اللاعب الدولي عبد كاظم ، باسل مهدي، حسن بلا ، ومظفر نوري ،الذين كانوا يسكنون مع عوائلهم في مصافي الدورة، ويستخدمون نفس الباص في رحلاتهم اليومية من مركز مدينة بغداد الى مصافي الدورة وبالعكس.

جاء بسام بمجموعة من رسوماته على قصاصات الورق لينشرها امامي على الطاولة للاستئناس برأي. كانت رشاقة الخطوط برشاقة جسد بسام الاهيف، فاخرجت له دفتري الصغير ليرى تخطيطاتي، فكانت مغامرتنا في صداقة على نحو لم اكن اتوقعه، وكانت المرة الاولى التي داعبته فيها فكرة التحول الى رسام كاريكاتير. مجال صداقة متقطع، مكون من انحناءات، صعود وهبوط ، من انقطاعات وتحولات مفاجئة للاتجاه. يعدّ بأناة وصبر، لمشاهد سرعان ما يتخلى احدنا عنها، تاركين الاخرين الذين حولنا يتامى، مهجورين. كنّا انا وهو نتحدث عن رسامين مشهورين في صحف ومجلات مصرية ولبنانية ،كانت تصل بغداد بانتظام مثل مجلة صباح الخير، روز اليوسف ،الكواكب، وحواء وغيرها،وجلبت له مجموعة قديمة من مجلات سمير والسندباد المصرية الخاصة بالاطفال، كنت احتفظ بها منذ زمن طفولتي في مدرسة الاشبال الابتدائية للبنين في سوق الشورجة ببغداد ،كنت شريكا لشراء تلك المجلات مع زملائي واصحابي القاص الراحل عبد الستار ناصر، الذي ولدنا وعشنا مع بعضنا في محلة الطاطران الشعبية، وصديق العمر الشاعر الصحفي حسين حسن .الا ان صداقتي ببسام افسحت المجال لرؤية كيف يتعاشق الشر والخير في كمين حياتنا اليومية التي كانت ترزح تحت حكم الفاشيست عام 1963 ونحن نرى مسخ حروبهم الرابض على صدورنا، كابوس يرخى بجناحيه الثقيلين على رؤية وجودنا ويتعطش في كل لحظة لزواله. وكم من مرة اوقفونا انا وبسام حين كنا نمشي سوية ولم ينجدنا ذات مرة من صقيع الخوف ونذائر الشؤم ،سوى صديقنا الشاعر ضياء الذي اكتشفنا بانه احد اعضاء الحرس القومي البعثي. الامر الذي جعلنا انا وبسام ، ننسحب من تجمع ثقافي فني اسسناه سوية قبل انقلاب شباط الاسود بستة اشهر، مخافة الوقوع في مطبات مظلمة كنا انا وبسام ،مرعوبين باجوائها .

لا نفتأ، فيما نحن نقلب مئات من رسوم الكاريكاتير منذ بداية التجربة في الصحافة العراقية ولحد يومنا الحاضر، بان ما قدمه هذا الفنان عن حياة العراقيين منذ منتصف الستينيات من القرن الماضي أن نوافق على أن ما انتجه قلمه الاسود ، في نقد العديد من الظواهر الاجتماعية، يتأتى من الحياة التي عشنا كل تفاصيلها المؤلمة، انه فتح صفحات جديدة في النقد اللاذع، جعلنا مساهمين في اقتحامه. كل شيء لم يسبق له أن وُصف بهذا المزاج الساخر، أو جرى وصفه بهذا التدفق من الادانة والتعري. يقينا انه صراخ صامت لا يحمل الا جبروت القلم الاسود وقدرته على الادانة.

ينتمي بسام فرج إلى جيل من المثقفين العراقيّين الذين نشأوا في ظلّ انقلابات ومؤامرات وحروب وما خلقته وخلفتّه من فضائع وازمات سياسيّة بكل أضرارها الوخيمة . تتحدث معظم اعماله الكاريكاتيرية عن مأساة تلك الحروب خاصة تلك التي عاشها العراقيون طيلة سنوات طويلة وما أفرزته من عذابات وويلات فضلا عن تمخضها عن صراع الانسان في البقاء ومواجهته للموت ومحاولاته التمسك بالحياة ، فكانت اعماله والى يومنا هذا معبرة عن وجهة نظر واحساس الانسان الذي عانى الكثير من الاهوال في رحلته الحياتية والفنية ، وهذه الاعمال وان كانت متزنة وجميلة بشكلها وبتناسق خطوطها واتزان بنائها وايقاعها فهي مشتعلة الوجد في رصد الالم العراقي والتعبير عنه وهذا ما اجاد الفنان في اعماله التي سرعان ما تلامس عواطف المتلقي وتجعله يتجاوب الى آهاتها الموجعة المضنية .

اللوحة الكاريكاتيرية عند هذا الفنان، تحمل كلَّ مواصفات الحلم ،لا سيّما القدرة على اختراق حدود المكان والزّمان وهدم كلّ حاجز بين الواقع والخيال طردًا أو عكسًا ،لكون الواقع بما أضحى عليه من لامعقول تجاوز الخيال نفسه.وقد ترتّب على هذه التّجربة اتّسام لغة الفنان بإشراقات فنّيّة مدهشة . كانت لبسام قضيته الكبرى والمركزية ومن مصلحته أنه تميز بالخروج من آنية الزمن والفكرة. رسم أفكاراً حرّة في فضاء تتعدم

فيه الحرية، وحول قضية واضحة المعالم.
وفي هذا العالم العراقي السفلي الغاصّ بكثرة البشر، اغنياء وفقراء، متدينون وعلمانيون، وتعاقبهم على الظهور في حياتنا كل يوم من على شاشات القنوات التلفزيونية والصحف والمجلات، نقرأ في رسوم هذا الفنان وصفا لتلك الوجوه العديدة، الغريبة الأشكال كلها، ما لا نجد مثيله في أي مكان اخر، قناة تلفزيونية او صحيفة. أشكال من التشوّه في الوجوه والهيئات لا حد لتنوّعها.فلو أتيحت لنا تجميع ذلك ورسم خطوط بيانية لملامح الاشكال وحركات الاجساد، لكّنا امام ما يشبه متحفا للأشكال الغريبة بقباحتها، أحسب أن البراعة في رسمها يشكل ميزة أخرى لقدرة بسام وبراعته. ذاك أنه كان عليه أن يلجأ إلى مخيّلة مغامرة، كما إلى أكثر صنوف المجاز جدّة حتى يبث الحياة في الأشكال المشوهة، أو المقبلة على التشّوه، التي تتوالى له باقوالها وتفاهاتها ورعونتها السياسية، وهي تلحق بخرابها وعبثها وفسادها وطنا وشعبا.

* من كتاب (بسام فرج..سيرة الاحتجاج)

بسام فرج .. فنان كاريكاتير الفكاهة

ياسين النصير

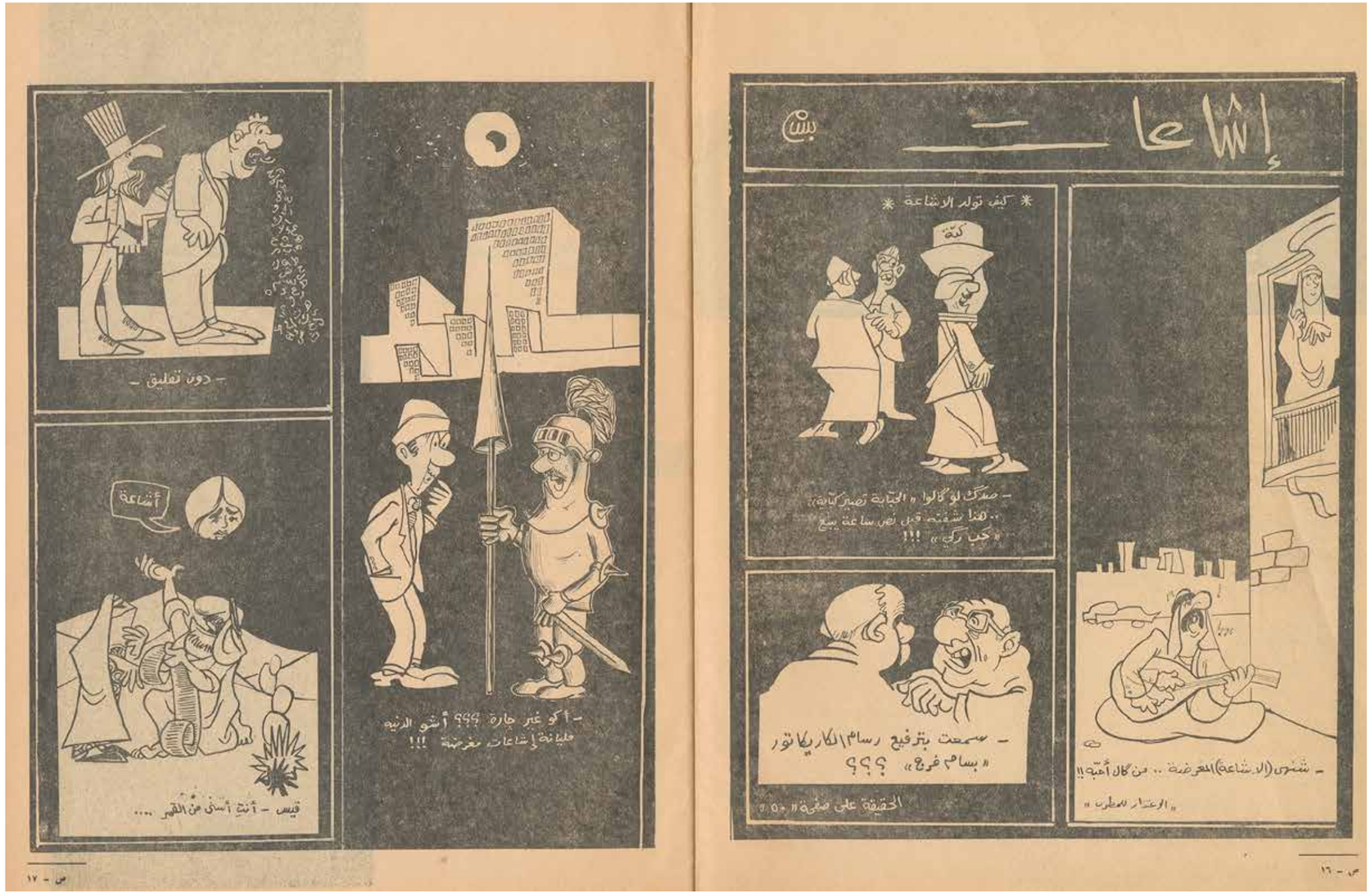

قليل منا يعرف الفنان بسام فرج من أنه كان وزميله المرحوم مؤيد نعمة من أعمدة فن الكاركتير في العراق، أقول ذلك وأنا من أكثر المتابعين لفنهما، حيث يمكنني القول أن بسام فرج بدأ وتحت قلمه حكاية.

يعتمد فن بسام على الرجل الذي يثير المشكل، أو الرجل الكاشف للمشكل، أي الرجل القضية، وهذه نقطة مهمة من أن بسام فرج يفكر كما يجب، ثمة حكاية لهذا الرجل، رجل بحكاية، حكاية عراقية بالتأكيد، ولكنها حكاية تنتقل من الوصف إلى الفعل، ومن الكلام إلى الممارسة، اللحظة التي صور بها هذه الإنتقالة هي التي يجسدها رسما، فتكون المفارقة في سياق بنية الحكاية. ومن هنا لم يتخل هذا الرجل يوما عن هدفه، من أن يعري السيئين. ترافق الحكاية مسيرة الرجل، كأداة للكشف المرحلى لأعمال السلطات، إننا نرى قراءة ميدانية يومية ملتزمة لما يجري في أرض الواقع، هذه القراءة يتصدى لها الرجل. كان بعض الرسامين يتخذون شخصيات شعبية نسائية أو رجالية لكن بلا ملامح خاصة بهم غير أن يكونوا عراقيين، عباس فاضل كفاح محمود مثلا، في حين أن آخرين اعتمدوا الفكر وحملوه الشخصية بمعنى أن شخصياتهم هي أفكار تتوازى مع جوهر الشخصية وموقعها، الفنان مؤيد نعمة أحد أهم المكتشفين لمثل هذه المزاوجة، في حين أن شخصية بسام فرج الفنية هي الرجل الذي يولّد الفكرة، الرجل هنا أسبق من واقعه، لأنه ذلك الكيان الذي شيد عليه الواقع و بنى تصوراتنا عما حدث، رجل ما يطرق أبوابنا ليقول لنا أن الحال الفلانية مدانة.

لاتجد في فن بسام فرج ملامح وجه معين كما يفعل على المندلاوي ومنصور البكري وفيصل لعيبي في بعض لوحاتهم، بسام يذهب لجوهر فن الكاركتير بعد مراحله الأولى، يذهب للفكرة، لتلك القضية التي يحملها المجتمع فيوطنها رجلا ليجسدها تعبيرا بخطوط وكتل، وها أنت ترى أن لا ألوان في لوحات بسام بل الأسود والأبيض هما سيدا اللوحة معتقدا أن الحقيقة لا ألوان لها، وأن الألوان كما كان يعتقد شارلي شابلن تزيف الحقائق. فثمة جدل في اعتماد اللونين الأسود والأبيض، أما المربع الناتج عنهما هو استدعاء ذاكرة المتلقي، وهو ما يمكن أن يكون حوارا جدليا بين اللوحة والمتلقي. نحن هنا أمام خصوصية متميزة في فن الكاركتير العراقي والعربي، أن بساما ليس رساما يملأ صحيفة ما برسومه، بل يتتبع تطورات قضية سياسية وفكرية شائعة، ولذلك تجده حاضرا في كل المراحل السياسية، ممثلة رسومة بهوية الرجل، ناقدا لها، ومتطلعا لغيرها.

لن تجد ما يضحك في لوحة فناني الكاركتير العراقيين وبسام واحد منهم، الحزن والجدية والصرامة هي ما تميزهم، نحن قوم لا نحب أن يرى الآخرون فرحنا، بقدر ما نقدم لهم أحزاننا، في حين أن دواخلنا صاخبة بالفرح. فن الكاركتير العراقي لا يضحك، ولا يبكي إلا نادراً، لأنه أسس على قضية بالرغم من أن الضحك قضية إنسانية كبرى. فن الكاركتير عندنا يحكي حكاية حزينة ويرافق قضية سياسية قاسية، ويصور حال مأساوية، أنه يحاكي ولا يولد مشاعر ذاتية أو ضيقة لما يجري.

في جوهر فن بسام فرج نجد نزوعا نحو الحرية كمضاد للوحة الطبيعية والكلاسيكية والواقعية، نزوع نحو حرية الشكل وحرية البحث عن طاقة المخيلة المتجسدة في غرابة الشكل وانحناءات الخط وتسويد بقعا من اللوحة، هذا النزوع مرده إلى روح التمرد الذي دأب عليه الفنانون والشعراء لكسر قوالب المألوف من القول والرسم، وإلا ما معنى أن ينتشر فن الكاركتير في الرسم العراقي بمثل هذا الإنتشار فينشده الفنانون كلهم ويضمنوه لوحاتهم ثم يرسمون لوحات مستقله به كما يفعل الفنان بسام ومنصور وفيصل لعيبي مثلا؟ اليست هذه الحرية تمردا على سياق الرسم الواقعي ومحاولة للتجريب؟ الفنان بسام الذي استقر فنه وتتلمذ عليه فنانون عراقيون، نجده اليوم أكثر ارتكازا من غيره، ثمة استقرار في قوة الخط ووضوح وتماسك بنية الكتلة وشفافية شعرية في فضاء اللوحة، وتكوينات متناغمة تحكي الحكاية، وكأنك تجدها في القضايا التي نعيشها اليوم. هذه الخبرة وقد تحولت إلى فن متماسك وغني، تبعدنا عن أن يصبح فن الكاركتير فنا هامشياً. لا يلجأ الفنان بسام إلى كشف عيوب الشخصية، وهي طريقة كاركتيرية مألوفة لدى العديد من رسامي الكاركتير، كي يضحكوا الناس عليها، ولا يلجأ إلى الغيب أو الفراسة في فهم الشخصية، خاصة الوجوه، لأن فنه ليس فنا لشخصيات معينة ، لذلك، نجد لوحته تمزج بين الشخصية والقضية، الشخصية والهوية، الشخصية والمرحلة، لأن شخصياته عامة وتمثل طائفة أو فئة أو شريحة مهيمنة، كما نشاهدها في هذا المعرض، وأعتقد أن مهمة أن تمثل شريحة بشخصيات معينة، يعني أن تكون قد استوعبت

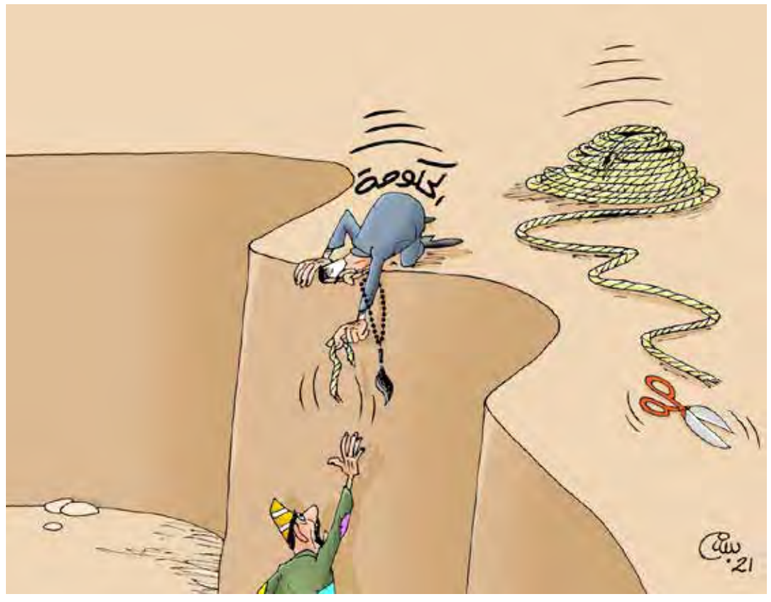

أفكار وسجايا وخصائص وتفكير وهوية هذه الشريحة. من هنا نجد نجاح وامتياز الفنان بسام كبيرا لأنه يبتعد عن محاكاة نماذج عادية فينغمر في محاكاة شخصيات تمثل المجموع.

2

لا يرسم الفنان بسام فرج كي يُضحك الناس، بل يرسم كي يذكر الناس بما يحيق بهم، أنه مشروع لفكرة عليه تقع مسؤولية التنبيه لها، هذه الفكرة أكبر من رسم لوحة أوتذكيربما يدور. يخرج بسام من ظاهرة التذكير بالرسم الخاص إلى ظاهرة اللوحة الفنية، وهي تلك التي تستبطن الفكاهة الحزينة لتصبح مادة سياسية فيها بامتياز. وعلينا أن نميز بين فن الفكاهة وفن الضحك، ففي رسوم بسام نجد فن الفكاهة وليس فن الضحك، الفكاهة شعرية، لها موضوعاتها الإنسانية، وتشمل ليس الرسم بل الأدب والمسرح والرواية، ولنتذكر بخلاء الجاحظ من أنها أدب للفكاهة، وليست أدبا للضحك.

ثمة نقطة جوهرية في فن بسام فرج الكاركتوري، وهي أن شخصياته شبه محددة بعمر معين، وهو ما بين الخامسة والثلاثين والستين، وهذه نقطة جوهرية، أن مثل هذه الأعمار هم من جيل القادة اليوم ، فيشكلون عصب الحياة السياسية في العالم، سلبيين كانوا أم إيجابيين، واختيار هذه الشريحة من الأعمار، تبعده عن التعرض لفئة الشباب، ولفئة كبار السن معاً. إنه يستبعد الطيش وقلة التجربة كما يستبعد الخبرة والحكنة، حيث أن مثل هذه الفئة الوسطية تكون متأرجحة الرأي والفكر والوظيفة والمهمة، وهو ما يعاني منه مجتمعنا العراقي من أن القرار غير مستقر، وأن الشخصية المتنفذة لا تأبه لقانون أو سلطة أو قضاء، شخصيات تجسد الفوضى، وتجسدها الفوضى.

كما أن الفنان بسام لم يتعامل مع شخصيات فاشلة حياتيا أو سياسيا، كي يرسمها حتى نتفكه عليها، بل يتعامل مع شخصيات جادة، وقوية، وصاحبة موقف، ولكنها ممتلئة بالسخرية السلبية لما تفكر به وتعمل، وهي تعتقد أنها على حق، في حين يراها الآخرون فكهة. التعامل النقدي الذي يلجأ إليه بسام مع مظاهر وشخصيات الواقع العراقي هو موقف إيديولوجي يمتلك كل بنيات النص الأخلاقي، أي أنه يتعامل معهم من موقف نقدي ساخر لا يتناول خصوصياتهم، أو خلفياتهم، بل مواقفهم. لذلك لا معنى للفشل عنده ولا للنجاح، فقد تكون هذه الشخصيات موفقة في أعمالها التجارية والاجتماعية والدينة والعائلية، ولكنها غير موفقة في وجودها في بنية الدولة العراقية التي تنشد الحداثة والمستقبلية. كما يلاحظ أن بساما لم يتعرض لرجال الدين ولا للرموز الدينية، فتلك لها موقعها المحترم والخاص، أنه ينتقد من يتلبس لبوس الدين سياسياً وهذا ما يمكن أن يكون موضع تفكه وسخرية، فالفنان بسام يعيد علينا

تشكيل رؤية كيركغارد في الفكاهة، خاصة وأنه يتعامل مع الشخصيات الدينية، أنه لا يسخر بل يكشف، وهو المبدأ نفسه الذي عناه كيركغارد في الفكاهة والسخرية. لذلك لا يعلق ولا يتداخل على الحدث ليبدي رأيا، بل يجسد موقفا، التعليق يبدو فارغا، هنا تتذكر الفنان الكبير غازي الذي يضحكنا على رسومه، لأنه يطلب منا أن نعلق على ما يحدث، في حين أن بسام يطلب منا أن نشاركه الموقف.

تمنح الفترات السياسية الصاخبة فنان الكاركتيرفرصة لأن يبدع، ولحسن الحظ، الذي هو سوء الحظ، أيضاً، أن الفترات العراقية منذ خمسين سنة منحت الفنان الكاركتيري فرصا كبيرة لأن يتألق، وينتج وينضج ويجدد، ولهذا شاع عندنا فن الكاركتيرالسياسي، وتعدد فنانوه واعتمدته الصحافة والفنون والفضائيات، وأصبح فنا لا يستغنى عنه الشارع العراقي.

صالون المجلة

ربع سكان العراق
تحت خط الفقر
خط الفقر
تخفيض سعر
صرف الدينار
21.

الفساد
بشر 21

"حزام بغداد"
بشر 21

• سلاح منفلت •
الطرف الثالث
بشر 21

شريعة الشعيط والمعيط
21

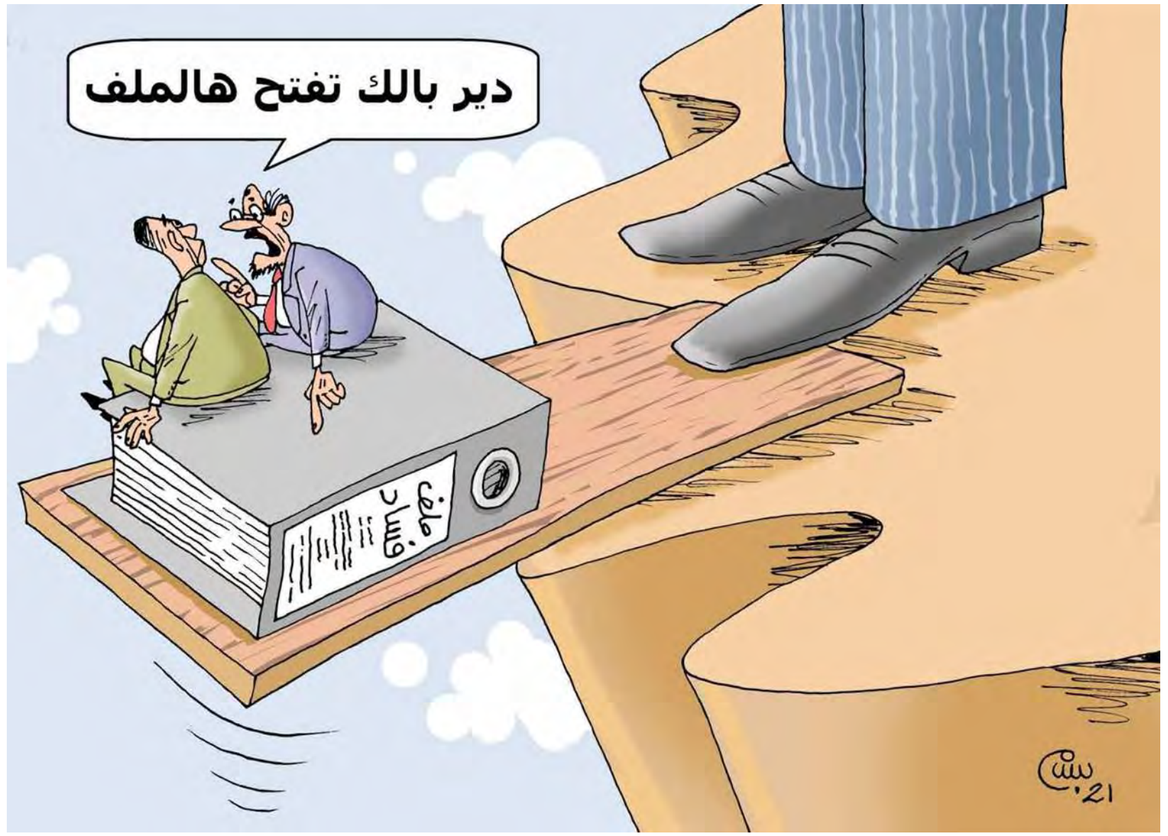
دير بالك تفتح هالملف
ملف فساد

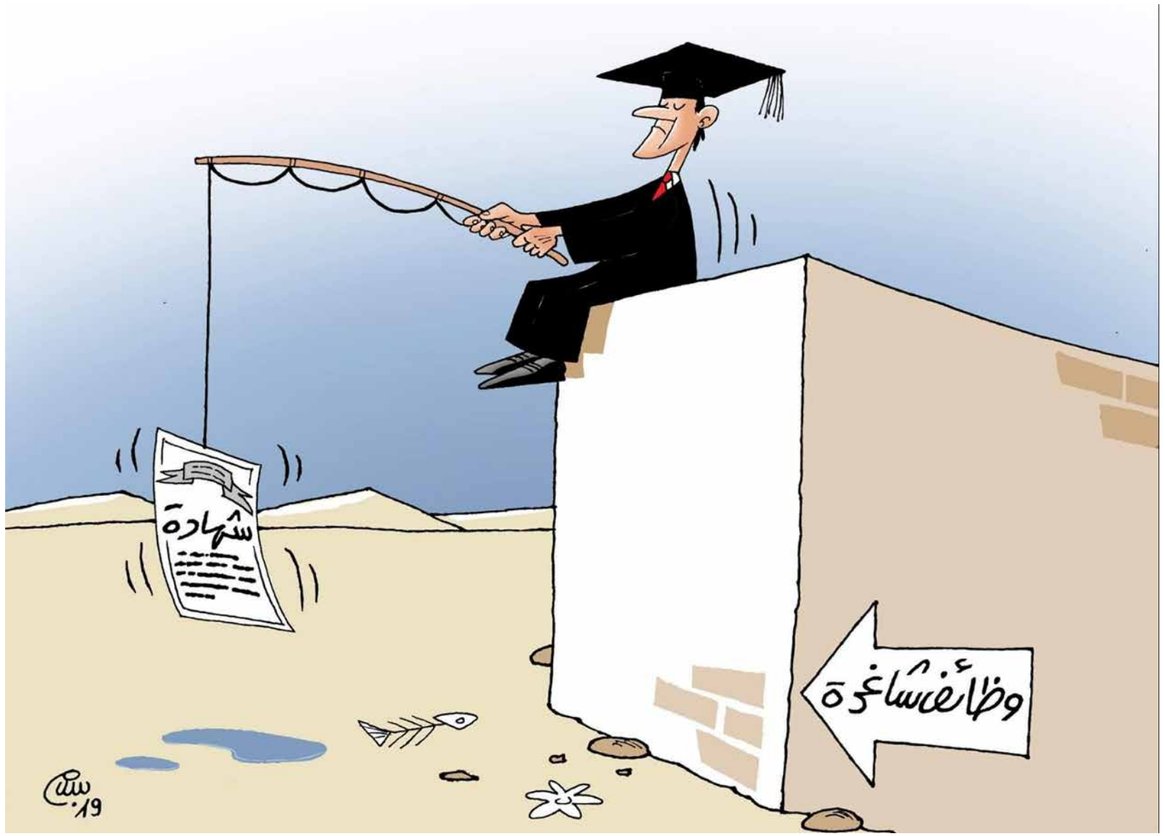
شهادة
وظائف شاغرة

حقوق الإنسان
بشير 21

الأصلاح
فشل
فشل
البرنامج الحكومي

شايف شعاراتهم .. شعارات مغرضة
هدفها القضاء على العملية السياسية
وظائف
حاءكهرباء

• يواش .. وين رايح .. خللي نتحاسب •
أستقالة
مسؤول

اني أشوف إيجاد لقاح ضد وباء الولاء لدول الجوار
هوايه أفضل من إيجاد لقاح ضد وباء كورونا
لقاح كورونا
20

• أرتفاع معدلات البطالة •

• وضع النقاط على الحروف •

• وضع النقاط على الحروف •

وثائق

الفنان ميران السعدي، خالد ناجي والفنان بسام فرج
1966.

الفنان بسام فرج، الكاتب غسان كنفاني والفنان ابراهيم زاير. بيروت 1972

الفنان بسام فرج. بغداد 1971

الفنان بسام فرج ، الفنان فؤاد الطائي وصالح علي الكردي. بغداد

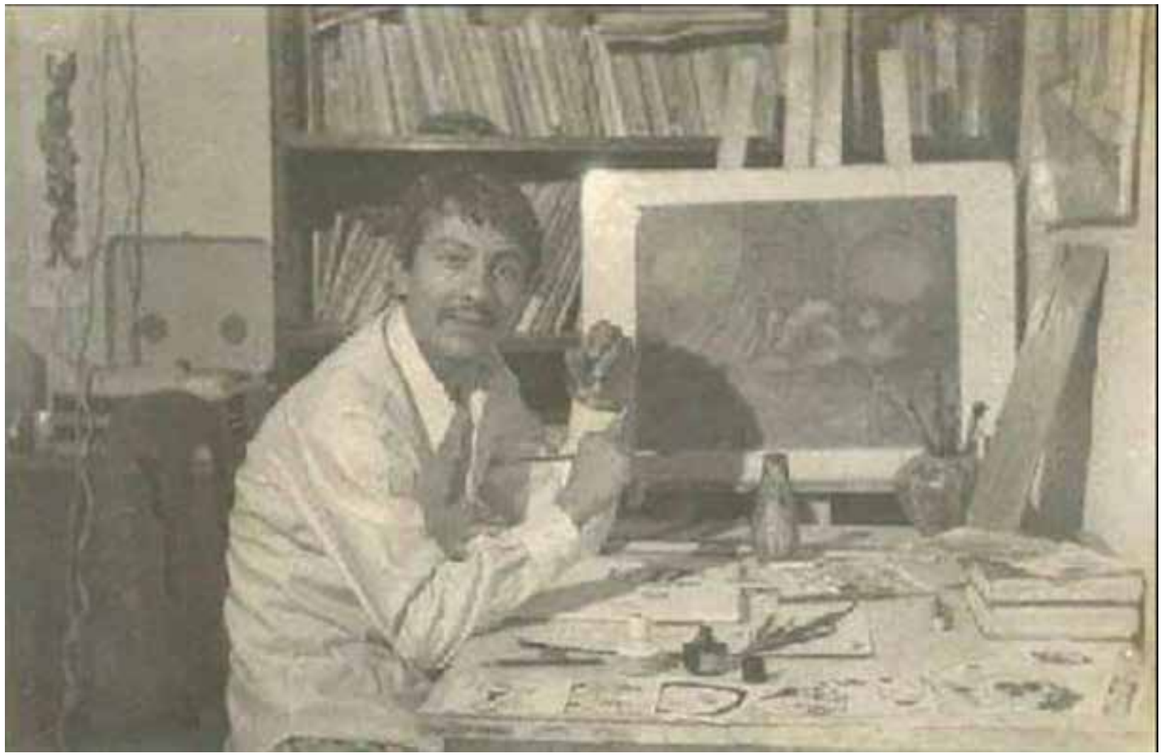

مجلة الكلمة، العدد الأول
1972 أرشيف العزاوي، لندن

نموذج لنقد مهرجان شعري

شاكر حسن آل سعيد

الرؤية التشكيلية في شعر المربد لعام ١٩٧١

. . . . . .

ايها الكاهن الحجري . . البغي المقدسة الان
في الطائرات مضيفة او سكرتيرة في المكاتب
مر المغول على ثديها الجبلي ، اسمها اليوم غير
اسمها السومري ، ولكر لي في انحناءة حاجبها
رحلة في هشيم الزمان ، انتشرنا معاً في دخان
المجامر ، في اي آجرة وجهها ؟ وجهها في غبار
الخيول التي خلفتها ، التصقنا وباركنا الكاهن
الحجري ، انفتلنا على مغزل الفالس ، يطفو
على وجهها اللهب الزحلي ، الذراعان ينفتحان
على جانبيها طويلا . . . . . .

من تفاصيل (الرباعية الثانية)
حسب الشيخ جعفر

شاكر حسن آل سعيد ، ولد عام ١٩٢٦ في بغداد . تخرج في دار المعلمين العالية عام ١٩٤٨ . تخرج في معهد الفنون الجميلة عام ١٩٥٥ . من عام ٩٥٥ ـ ٩٥٨ اقام في باريس بقصد الدراسة والاطلاع . ساهم في تأسيس جماعة بغداد للفن الحديث . انجز المعارض الشخصية عام ٩٥٣ ، ٩٦١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ في بغداد . اشترك في معارض جمعية الفنانين . اشترك في المعرض العراقي في الهند ومعرض ترينيلا في نيودلهي . اصدر الكتب التالية : ـ ١ ـ الخصائص الفنية والاجتماعية لرسوم الواسطي عام ٩٦١ ، ٢ ـ دراسات تأملية ٣،٩٦٧ ـ البعد الواحد ١٩٧١ كما نشر كثيراً من المقالات والبحوث الفنية في المجلات العربية .

بمقدار ماكان مهرجان المربد الشعري لعام ١٩٧١ مناخاً فكرياً وقف عنده الشعر الحر على قدم المساواة جنباً الى جنب ازاء الشعر العمودي كان ايضاً ، وفي نفس الوقت ، الفرصة السانحة لجمهور الشعر العربي ، ونقاده ، على السواء لكي يتذوقوا ويناقشوا معاً الشاعر العربي المعاصر ، ويدرسوا موقفه من مسألة الابعاد الشعرية ، وبالتالي ، ومن زاوية نظر معينة ليتعرفوا على الرؤية التشكيلية في الشعر العربي المعاصر .

وبمعنى آخر يمكننا ان نقول ان الفرصة كانت سانحة لتقيم تقنية الشاعر المعاصر من حيث معاملته للغة الشعرية ، لا على انها وسيلة لطرح الصور الانفعالية « التعبيرية » او العقلانية « المجردة »، ولا على انها لحظة انعتاق لاشعورية « سوريالية » خارج التقاليد الشعورية في الفن ، بل على انها بناء تصوري وحسي للعالم المرئي ، وبوسائل لغوية وجمالية منبثقة من طبيعة هذا الفن الذي يمر اليوم بازمة مخاض جديدة كالتي مر بها منذ مطلع الخمسينات من القرن الراهن . فبعد قرابة خمس وعشرين سنة ، وحينما ظهرت الحاجة في الشعر العربي لكي يتبوأ مستواه العالمي ، متجاوزاً الحجاب النفسي للذات الفردية والاقليمية نحو افقها الانساني بل العالمي وخلال مايدعى اليوم بالشعر الحر ، ترهص تطلعات جيل من الشباب عند مطلع السبعينات بعملية رصد وصهر وبلورة غير مرتجلة للخامة الشعرية من اجل ترسيخ الاسس الجديدة للقصيدة التشكيلية ، وضمناً

للتقاليد الحسية في الشعر المعاصر . وهذا مايجعلنا في موقف المشاهد الحدي اثناء تذوقنا للرؤية التشكيلية عبر هذا الفن غير التشكيلي . والواقع ان مثل هذه الرؤية الجديدة هي بالأساس انعكاس طبيعي له أنماطه الاخرى الموازية ، في المجالات الفنية الاخرى . ذلك ان مسألة « مناقشة الابعاد الفنية لذاتها » من جهة وتخطي حدود الفن الواحد نحو عوالم فنية اخرى من جهة اخرى هما المناخ والتضاريس الطبيعية التي تنمو وتترعرع فيها كل هذه المغامرات الجمالية والتقنية، والتي يمارسها الفن العربي اليوم في شتى الميادين الفنية هناك على سبيل المثال اتجاه محلي في ميدان الفن الموسيقي متبلوراً خلال محاولات جديدة تجعل من الصمت وليس النغم حجر الاساس في اللغة الموسيقية . (١) وهناك ، ايضاً ، مساهمات فناني البعد الواحد من مقتبسي الحرف خلال الرؤية التشكيلية (٢) ان مفارقة الفنان للنغم نحو الصمت ، واستعارة الفن اللغوي من قبل الفن التشكيلي (نقطة) انطلاق جديدة ومن اجل اكتشاف مفردات لغوية تساهم في تكوين ظاهرة فنية معاصرة متميزة . وهذه الرؤية « الابعادية » بالذات هي التي توازي الى حد بعيد الرؤية التشكيلية ، التي نحن بصددها في مجال الشعر الحر .

* * *

مايدفعني حقاً الى طرح هذه المسألة في عالم الفن اللغوي « وبالذات الفن الشعري » وفي حدود موضوعية مهرجان المربد هو

احترافي الشخصي للفن التشكيلي . ذلك ان رؤيتي للعالم من هذه الزاوية هي رؤية تشكيلية . وبالتالي فان « سماعي » و « تذوقي » للشعر يستمد نفسه قبل كل شيء من هذا السياق . فكرسام ، لم يكن لي بد من سماع القصيدة العربية التقليدية العمودية والحديثة ذات الكيان الحر على انها بناء تشكيلي . اي اني كنت ارصد الابعاد التشكيلية بل بناءها التشكيلي في القصيدة المسموعة او المقروءة كنت احاول ان اعيشها « كظاهرة » مكانية وهي الزمانية الحضور. ومن هذا المنطلق بالذات تحدد موقفي اول باول من قضية الشعر وشعرائه المربدين .

ولكن لابد لي ايضاً قبل ان اذكر رأيي فى هذا النوع من الاسلوب الشعري ان امهد له بايضاح « منظوري » فى تذوق الشعر عموماً . اي اني اعين موقفي منه منذ البداية .

* * *

١ ـ يعتمد ، اول مايعتمد ، الشعر ، عندي . كفن مسموع او مقروء وليس كفن مرأى على نوع « الاثر » الذي يتركه الشاعر نفسه ، سواء اكان ما يتلقاه من النوع الذي يتوغل في النفس عن طريق حاسة (السمع ـ الذهن) او عن طريق حاسة (البصر ـ الحنجرة ـ الذهن) فالشعر فى كلتا الحالتين هو ظاهرة انسانية تأملية .ولابد من وعي مثل هذه الظاهرة قبل كل شيء عن طريق

كيانها اللغوي المحسوس به ، اي من خلال تجسده وليس عن طريق كيانه الثقافي المرموز به ، اي من خلال ترجمته . صحيح اني افهم واتمثل فى آخر الامر شعورياً (وربما لا ـ شعورياً) ما يطرحه امامي الشاعر ولكن لابد مع ذلك من ان استوعب الشعر من جميع ابعاده :ـ

حضوره التجسدي « التفني » وحضوره الحسي « اي الانفعالي» ثم حضوره الفكري « اي الرمزي ـ العقلاني». وعلى الحضور التجسدي تتوقف جميع التداعيات الشعورية او اللاشعورية الاخرى . ذلك ان فى صميم (التقنية الشعرية » تكمن مفاتيح وعيي له انا الانسان المتذوق وهو اما ان يكون وعياً « سمعياً » او « نطقياً » على السواء . فاذا كان مايهتم به الشاعر هو ان ينجز اثرا يعتمد على ابعاده الغنائية فان كوامن تذوقه تستمد ، والحالة هذه ، من نفس طبيعة غنائية . اي على كونه بناءاً من (الحروف المسموعة كنبرات صوتية وليس كعبارات مفهومة ذهنياً) فحسب اساسها الموضوعي هو حقيقتها كاحساس بالاصوات عن طريق جهاز السمع البشرى ،ومن خلاله الكفاءة الموسيقية الكامنة في الاذن بمواصفاتها المادية وفي الدفاع او بالاحرى في المنطقة الدماغية المختصة

بتقييم الاصوات كنغم وايقاع ونظام في تداخل الاصوات وفترات الصمت الخ .. اما اذا كان مايتركه الشاعر من اثر مدون يعتمد على معطياته التي يتم الاحساس بها عن طريق جهاز النطق ... (اهتزازات اوتار الحنجرة من القراءة الصامتة ، وحركات اللسان والبلعوم وسقف الفم وباقي اعضاء الجهاز النطقي في القراءة الخ) فان طبيعة مثل هذا الشعر تبدو والحالة هذه مختلفة منذ البداية عما يمكن تصوره السامع من ابعاد ، وبالتالي من كيان محسوس به .

هناك ، اذن ، شعر مسموع ،

وهناك شعر مقروء .

ولكن كل هذا يبدو بعيداً عن كونه عالماً مرئياً : اي ذا ابعاد تشكيلية . والواقع ان وجود الشعر كأثر انساني ماغير مشروط بكونه اثراً مرئياً البتة الا من خلال وجوده الحرفي وبالتالي اللغوي ، كنص شعري مدون وهو ان لم يتشكل داخل مسألة الابعاد المكانية كتكوين تشكيلي فهو يظل والحالة هذه اثراً شعورياً فحسب ، اي غير مشروط بالمسافات نفسها ولكن بالشعور الذهني بها ، فلا يظهر الا بواسطة الزمان نفسه كأثر مسموع او مقروء . ومع ذلك فان التشبث بطبيعة

النص الشعري يفتح المجال امامنا للاحساس بمكانية هذا العالم ، ومن هنا كانت محاولات (غليوم ابو ليونير) (٣) في مطلع القرن العشرين حول ادخال طريقة كتابة القصيدة الشعرية بمثابة الارهاصات الاولى لظهور القصيدة التشكيلية اذا صحت التسمية .

بيد ان في مثل عصرنا الراهن ، الذي يبدو فيه الوجود الانساني متجاوزاً لشروط انسانيته نحو لا ـ انسانيته بكل ثقة يتخذ الشعر مشارفه وجسوره بل معارجه اللا انسانية منذ مفارقته الجديدة لبعديه التقليديين اللذين ذكرناهما وهما البعد السمعي والبعد النطقي .. منذ فاجعته الحتمية لكيانه المسموع او المنطوق به . ومن هنا فلنا العذر في التماس ما يمكن نعته بالشعر المرئي ، على انه ظاهرة في تجاوز الاطار اللغوي نحو العالم البصري ، ومنذ المحاولات الاولى في وضع اسس الشعر المدون ، وهو الذي يحس به عن طريق تدوينه ، لاسماعه ولا النطق به . [illegible] الى المحاولات الراهنة لتحوير البناء اللغوي له تحويراً مستمداً من مناخه التدويني ، لا كنص مقروء فحسب بل « كوعي محدد » ... كشرائح انسانية ، وكانطباع حسي عن العالم الانساني والطبيعة على السواء ، مما يجعله لحد ما شبيهاً بعالم كتاب الموجة الروائية

الجديدة اليوم . (٤)

* * *

٢ ـ واذا كان الشعر في ابسط اشكاله علاقة احتجاج على عزلة الانسان ، بل الكائن الحي ، بل عزلة الذات عن عالمها الخارجي فهو اذن مجرد (آهة) او رنة اعجاب . انه غنائية الصوت المسموع الى الحد الذي تتوحد فيه ترنيمة أم وهديل حمامة مطوقة وهدير الموج ، اي انه ظاهرة مسموعة . ولكنه قد يبدو ايضاً بشكل موجة مائيـة وحركة جناحي فراشة طائرة ، والتواءات نهر منظورة من الجو ، او وضع الطبقات الصخرية في المناطق الجبلية فهو ظاهرة مرئية . اعني ان ما كان منذ البدء خارج ابعاد الفن الشعري ادائياً سرعان مايصبح من كيانه منذ ان يتجاوز الفن الشعري نفسه ذاتيته . ولا اعني بذلك تلك الصور التي يترجمها الشاعر بوسائله اللغوية ، ولكن ظهور وسائله اللغوية نفسها كصور مرئية . ومثل هذا التجسيد لن يتم ما لم تتوفر للشاعر وسائله الخاصـة في استعمال اللغة استعمالا موضوعياً جديداً ، اي باللجوء الى صياغة هي من الغنى البلاغي الى الحد الذي تستطيع به ان تخرج عن شرنقتها كلغة مسموعة او مقروءة على السواء الى كونها لغة منظورة او ذات كيان « ابعادي » (هناك بالطبع من نفس المنطق شعر صوفي او روحي) وهـذا

هو بالضبط ما اعنيه من انها لغة لنسميها تجاوزاً لغـة تشكيلية . صحيح أن ظاهرة الشعر هي قبل كل شيء ظاهرة لغوية الا ان خصائصها المتميزة تبدأ من اعتبارنا اياها نظاماً لغوياً معيناً ، (كما يعتبر بلاغياً كونهـا كلاماً موزوناً ومقفى ـ الخليل بن احمد الفراهيدي) ؛ ومع ذلك فان الروح الشعرية تظل شيئاً آخر غير الوزن والقافية فالوزن وسيلة سماعية « موسيقية » ، اما القافية فوسيلة نطقية مقروءة انها تبدأ ، هي الاخرى ، من كونها تجريداً في الشعور الانساني ، ورؤية كونيـة للعالم . وهـكذا ، وعبر كل من الوزن والقافية والشكل الشعري للغة يتم العبور نحو التشكيلي .

لقد كان الوزن والقافية ، اذن ، ثم الشكل اللغوي ، او الصيغة المسموعة والمقروءة والمرئية « كحرف فكلمة فجملة فمقطع » للشعر هي العناصر الثلاثة الرئيسية لهذا الفن . فمن خلالها تتم صلة الشاعر بالعالم اولا « كزمان » معبر عنه بالايقاع في مختلف اشكاله الموسيقية (وزن شعري عروضي فغنائية وما يمكن ان يتم ضمن ذلك من بناء في عالم يستمد نظاماً من النظام الموسيقي نفسه) وثانياً كموقف انساني او حضور جسدي في التعبير وليس التلقي (لان سماع الشعر هو حضور جسدي سلبي اما

قراءته او النطق به فهو حضور جسدي ايجابي) ، ففي ذلك يتم التقاء الشاعر بالاشياء من خلال التحكم المتمثل « بالقافية » ، والتي يلتزمها الشاعر عند حدود الموضوع الزخرفي او المجرد او المحدد للقصيدة (لاحظ ان القافية هي العلامة الوحيدة ، والعلاقة الوثيقة معاً ، بين الشاعر كانسان والاخلاق كعالم خارجي ، ونظام يتعامل معه هذا الانسان ، واخيراً كشكل لغوي وطريقة في الاعتماد على البلاغة ، وهي المادة الاولية ، التي لابد منها لتوسيع الرؤية الذاتية للفنان نحو العالم .

ان حقيقة الشكل اللغوي الشعرية الاخيرة هذه هي التي يمكننا من عندها دراسة ما اسميناه منذ أول المقال بظاهرة الشعر التشكيلي لأن الابداع الشعري مهما كان انما ينطلق من هذا المنطلق ... من هذا الكيان الذي يحاول اي شاعر ان يشيده بشكل ما وان يستخرج بواسطته مفرداته اللغوية الخاصة او اسلوبه فى التعبير سواء اكان اسلوباً سماعياً او نطقياً او مرئياً . بهذا المعنى اذن تصبح رؤية الشاعر للعالم الخارجي رؤية مفتوحة نحو الكون :- ذاتية ثم اجتماعية ثم كونية يمتزج من خلالها عالم الانسان بالكائنات بالاشياء . وبمقدار ما يطور استخدامه للايقاع (كموسيقى خارجية

او داخلية) والالتزام الانساني (القافية واشكالها الجديدة) تطوراً يتفق والافق الحيوي الجديد حيث العالم الانساني بعد من ابعاد العالم الخليقي .

* * *

٣ - لقد عكس مهرجان المربد لعام (١٩٧١) ،وبصورة ظاهرة ، واقع الشعر المسموع اكثر من سواه . وقد ساعدت بالطبع طبيعة المهرجان الخطابية على اظهار ذلك كل المساعدة . فقد كان الشاعر يقرأ شعره ، ويتخذ كل امكانياته الخطابية والتمثيلية للوصول الى اسماع الجمهور المنصت والمنفعل . ومع ذلك فان القاء الشاعر لشعره هذا لم يكن سوى وسيلة واحدة من وسائل التعبير الاخرى الممكن اتخاذها . اعني انه كان يحاول ان يهيء للسامعين مناخاً سماعياً يحيط بالقصيدة الشعرية . ولا يعيش في داخلها . مثلما لو تنسى للقاريء ان يقرأ القصيدة بنفسه . وهذا لايعني ان انواعاً اخرى من الشعر لم تكن في متناول يد الجمهور وان كانت تظهر احياناً بمظهرها غير التام وما كان اشبه ماقدم بمعزوفات موسيقية يشترط منها اول باول براعة العازف وليس التأليف فحسب . ولهذا السبب فان القصيدة التشكيلية بالذات كانت تفقد الى حد بعيد شروطها الموضوعية في التذوق لانها لم تكن لتتفق تماماً والخطابي فى اداء الشعر . وليس من قبيل المصادفة ان لايجيد شاعر عقلاني (كحسين مردان) او حسي (كحسب الشيخ جعفر) القاء

قصيدته لان واحدها كان ينطلق من منطق شكلي أو نصف شكلي للقصيدة . وبنفس المقياس ، وبالمقابل ، يمكننا ان نعلل فنقول : انه بمقدار ماكان شاعر بارع فى التجويد بشعره (كيوسف الصائغ) او (محمد الفيتوري) او (عبدالرزاق عبدالواحد) او (خليل الخوري) يقترب من الجمهور على الرغم من ابتعاده عنهم من حيث طبيعة الاداء كأن يلجأ الى وسائل « تقنية » في قراءة الشعر لتشحذ من امكانيات السماع وان لم يقترب ذلك ببناء داخلي سمعي للقصيدة. كان شاعر واحد من جانب آخر يوحد ابعاده الثلاثة ،من وزن وقافية وشكل شعري مؤكداً على العنصر الموسيقي في شعره فتجيء محاولته منسجمة كل الانسجام مع طبيعة المهرجان الخطابية ومعنى ذلك انه لم يستغل الاداء بل يحسنه (وان استغله فهو مصير طبيعي متناسق وشعره) اقول . . . لم يستغل التجويد بشعره بل قدم لنا شعراً سماعي البناء (يعتمد في تكوين الشكل الشعري اللغوي على جمالية الايقاع والنغم وتهيئة الفن الشعري ليكون فناً محسوساً به سمعياً ، مكوناً نظامه اللغوي الخاص على اساس كفاءة الذوق الموسيقي ونظامه وهكذا كان شعر (بلند الحيدري) مترعاً بجذره الصوتي حتى حدود الحرف . وليس الكلمة أو الجملة فحسب . تجيء اذن محاولة « الحيدري » وهو يعتمد على الايقاع في بناء صوره الشعرية من طرفها البعيد المتغلغل حتى الكيان الزماني لوسيلة التعبير تطويراً للبعد الزمني في فن الشعر وشكله اللغوي لكي تصل

به آخر المطاف الى بحث متناسق في « التصويت الشعري » فيبدو مساهماً ، بذلك به في ميدان التجديد مساهمة فعالة لم يطورها احد قبله كما طورها هو ولكن بحث هذا ، بلاشك ، بحث يظل خارج نطاق الرؤية التشكيلية .

اين ، اذن ، يمكننا ان نجد البناء التشكيلي للقصيدة المربدية ؟؟ ثم الا يظل المشور على موقف الشاعر التشكيلي مناطاً بمدى تكون الصور الشعرية في الوصف ـ ولطالما انعكست فى ارجاء الشعر العمودي والشعر الحر في مرحلته التعبيرية خاصة عند بدر السياب وعبدالوهاب البياتي ونازك الملائكة ـ صوراً جذابة ، وملونة كالتي يصل اليها بلند الحيدري نفسه او احمد عبدالمعطى حجازي فى نماذجهما الشعرية المربدية ولكن بصورة عرضية لانها لم تتعد كونها محاولات فى الترجمة وليس التأليف بصدد طرح قضايا رؤيوية بشكل (رومانسي) كملامح طبيعية او انسانية معينة. ؟؟ ان ذلك ليس بالامر المجدى ، طالما ان المحاولة في التشكيل لم تنبعث من داخل القصيدة ـ في كيان الحرف والكلمة والجملة وفي ارجاء الوزن والقافية ـ بل فرضت من الخارج ، فهي لاتزال فى هذا السياق محاولات رومانسية النزعة وليست واقعيتها .

المسألة ، اذن ، ليست مسألة استعارة اللغة التشكيلية ، ادبياً وان كانت في البداية تفترض نظم الشعر ولو بنفسية رسام او نحات او مهندس معماري اي بنفسية انسان مولع شعورياً بالابعاد المكانية

ويرى كل شيء في العالم من خلال الالوان والسطوح او الاحجام او الفراغ . انها في صميمها حضور (للمرئى) من داخل الحرف والايقاع ، ومن داخل الموقف الانساني للقافية انها تتطلب حضوراً من الداخل لقضية غريبة على العالم الشعري رغم ان طبيعة هـذا الفن تبدو على طرفي نقيض منها اي من طبيعة الفن التشكيلي . ومع ذلك فان خيطاً من خيوط الاشعاع الفكري الجديد كان سيبزغ عند احد شعراء الموجة الثالثة ، وهو (حسب الشيخ جعفر) . فعنده يكتسب الشعر مزاجه الفذ الجديد ، وذلك لسببين على الاقل الاول هو اعتماده على توحيد القصيدة وحدة تكون منظورة كسطح تصويري ، وذلك من خلال لغته الشعرية وزمانية اوزانه بصورة لاتجزيء القصيدة الا حينما يفترض هو ذلك من خلال مسطحين شعريين او ثلاثة او اربعة محددة بتفاعيلها وليس بقوافيها اما السبب الثاني فهو نزعته (التفريدية ـ المجردة) بالمعنى التشكيلي (٥)

انه لايرسم لنا بتاتاً المنظر كأن يقول كما يقول الجواهري :ـ

سلام

على جاعلات النقيق

على الشاطئين بريد

الهوى

لعنقي

من صبية لاتشيخ

ومن شيخة دهرها

تصطبى

تقافز

كالجن بين الصخور

وتندس تحت مهيل

النقا

فالرسم هنا هو محاولة في التعبير (الطبيعي) وليس (المجرد) ليس من غياب للملامح الشخصية والموضوعية للطبيعة بل ان الطبيعة تبدو في كامل بهجتها من خلال صوت الضفدع وقفزاته الانيقة . كما انه ـ اي الشاعر الذي نحن بصدده ـ لايرسم الموضوع الانساني او الصورة الشخصية مثلما يفعل مثلا المتنبي فيقول :ـ

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي

واسمعت كلماتي من به صمم

انام ملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جراها ويختصم

كلا ، وانما هو يصف لنا مقطعاً خليطاً من (لقى) مبعثرة هنا وهناك (للمنظر) و (ملامح الانسان) و (الاشياء) معاً . فهو يقدم لنا (شريحة) من العالم . او بالاحرى انه يملأ بحروفه رؤيا مستمدة من عالم مرئى لاحدود له . انه لايعتمد في نفس

الوقت على رسم الملامح الظاهرية ولا يرتبها ترتيباً منطقياً بل يكتفي « برصد »عدة نقاط مشاهدة ليس بينها أحياناً من صلة فى التكامل بل فى « التواجد » . وعالمه ، من ثم ، عالم معاش باجمعه من الداخل ، ومرصوف بانطباعات عفوية ، حسية ومرئية وليست عقلانية متصورة . انه يقدم لنا شريحة ككل الشرائح الاخرى للحياة . منظورة من خلال جهاز كالمجهر او التلسكوب الا انه يلتقي حدود المسافات والازمنة فيما بينها وهكذا لم يكن اذن (حسب) ليوغل في زمانية القصيدة (بدلالة الايقاع اللانهائي الذي يطور فيه الى درجة بالغة شعر البند إلا لكي يحدد مكانيتها او لحظة مشاهدته المدانة للحاضر المستحضر من حضور (القشور واوراق الخس) و (الفخذين الممتلأين) و (الذراعين اللذين ينفتحان الى جانبي الجسم) و (مخزن باتا) و (امرأة تبكي ضاحكة عبر الزجاج) و (مرور آخر الباصات) الخ . . من صور ملتقطة ومجموعة بمهارة فائقة ضمن اطار تجريدي في رؤية العالم الواقعي : ـ او عالم (الضحك البكاء) على حد تعبيره فهو اذن لايصف من خلال وجوده التشكيلي (المنظر الشخصي) الا بمقدار مايجرد كل منهما اي (المنظر) و (الشخص) من وجوده المستقل ليؤلف من كليهما آخر الامر كياناً جديداً مرئياً بصورة حية بحتة. وهذا هو ماعنيت بنزعته (التفريدية ـ التجريدية) ، فان لهذا الكيان المرئى الجديد طبيعة مجردة لانها تحتضن الخليقة من غير زاوية نظر معينة ما . فهي الطبيعة وهي الانسان وهي الاشياء .

و (تفريدية) لانها ، مع ذلك ، تبدأ لامن زمانية الخليقة المتأملة بل من حضورها المكاني . وكل هذا يجعلنا نقطع بالقول في ان هذا الوجود الفذ للقصيدة لا ينبثق من بعدها السمعي او النطقي ولكن من بعدها اللغوي بالذات . صحيح ان موسيقى القصيدة الداخلية مسموعة ، ومن الممكن تلقيها بوضوح ولكنها تكاد تخلو من كيانها البلاغي . بل انها لاتكون الفكرة الاساسية للاسلوب الفني كما هي مثلا عند الشاعر (بلند الحيدري) في حين ان الاعتبار النطقي او حضور (القافية) كتصميم لغوي، وموقف انساني يتخذه الفنان يتحرر الان من الاطار التقليدي الذي يتبع من اجله نظام التفاعيل فتصبح مجرد (حواجز) غير مرئية تحدد المقطع او المقطعين او الثلاثة فهي تقوم بدور ثانوي في تشييد القصيدة . لانها تضمحل كتاكيد حرفي في نهاية كلمة .

وعلى كل حال فليس ثمة كيان في تجريديته(للقصة) او (الانفعالية) ايضاً بمفهومها التقليدي كما هي عند شعراء الموجة الاولى من الشعر الحر .

(١) راجع شاكرحسن ال سعيد ، البعد الواحد ص ١٢٣ مطبعة ثنيان ١٩٧١ (٢) نفس المصدر السابق (٣) والاس فاولى : عصر السوريالية (ترجمة خالدة سعيد) راجع ماكتب عن الشاعر المذكور في الكتاب وكذلك ماكتب عنه في كتاب . Surrealism , by Patrick Waldberg (٤) اي مدرسة الن روب غرييه وناتالي ساروت من كتاب القصة القصيرة ، منتصف القرن العشرين (٥) يقرب معنى (تفريد ـ التجريد) عندي هنا من معنى الاصطلاح الصوفي : التجريد (وهو ان يتجرد المتصوف بظاهره عن الاعراض ، وبباطنه عن الاعواض) والتفريد (وهو ان يتفرد عن الاشكال ، وينفرد في الاحوال) راجع الكلاباذي التعرف لمذهب اهل التصوف باب (٥٢) ص ١١١ .

بغداد

وصف الجاحظ بغداد فقال :
(قد رأيت المدن العظام ، والمذكوة بالاتقان والاحكام ، بالشامات وبلاد الروم وغيرها من البلدانِ ، فلم أر أرفع سمكا ، ولا أجود استدارة ، ولا أنبل نبلاً ، ولا أوسع أبواباً ، ولا أجود فصيلاً، من الزوراء مدينة المنصور.)

• فساد بخط أحمر •